
رواية
خلف ستار الموت
أحمد مسعد

خلْف سِتار الموْت

أحمد مَسعد (المُدوِّن)

الكتـــــــاب: **خلف ستار الموت**

المـــؤلـــــف: **أحمد مسعد**

تصميم الغـــلاف: **إسلام مجاهد**

المراجعة اللغوية: **عبدالحليم جمال**

اسكتشات داخلية: **شادي سيد عتاب**

رقـــم الإيـــداع: 14776 / 2018

الترقيــم الدولــي: 978 - 977 - 779 - 202 - 8

الإخــراج الفنـــي: **مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع**

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

dreidibrahim@gmail.com

إبداع

العنوان: 10 ش هدى شعــــــراوي، وســـط البــــلد، القاهـــــرة

هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

ibda3bookstore@gmail.com

خلْف سِتار الموْت

أحمد مَسعد (المُدوِّن)



إهداء خاص

إلى هؤلاء الذين غابوا خلف ستارِ الموت

إلى هؤلاء الذين غادروا عالمنا.. إلى هؤلاء الذين زرعوا فينا الحياة ثم رحلوا.. إلى هؤلاء الذين غيَّروا العالم وغيرونا.. إلى الذين أجبرونا على تذكُّرهم كلما رأينا أثارهم في عالمنا.. إلى كل أحبائنا وكل أصدقائنا.. إلى شهداء الثورات والمجاعات والحروب.. إلى الذين ماتوا في سبيل تحقيق أحلامهم.

وإلى الغريب.. إلى الذي أضاء شمعة دربي.. إلى المعلم والأب الذي كان سبب في كل حرف كتبته وسأكتبه.. إلى/

د. أحمد خالد توفيق (العَرَّاب)

سلامًا على روحك الطيبة أيها الأب.

في البداية كان الظلام.. وكان هو مولود الظلام.. ثم كان النور.. فخرجت الملائكة من رحم النور.

ثم كان فجرُ البناء.. فأضاءت النجومُ الكون.

تمرد مولود الظلام.. وحارب لأجل أن يبقى الظلام.

حارب كي تبقى الفوضى والدمار.

فوزَّع الإله خلقه على أبعاد ستة.. وانحصر الظلام في بُعدٍ سابع.. ونُفي إليه مولود الظلام.

لكنه وجد طريقه بعد ذلك للخروج.

فوهب الإله المعرفة والقوة المحرَّمة إلى البشر.

فانتصر مولودُ الطينِ على مولود الظلام.

وحرَّم الإله استخدام تلك القوة المُحرَّمة على البشر.

لكن البشر حفظوها في مخطوطات.. فامتدت إليها أيادي أعوان الظلام, وبدأت الحرب اللانهائية.

(فصل صراع الظلام والنور.. كتاب مخطوط الظلام)

(٠)

عالم الموتى(البرزخ)

وجدْتُ نفسي فجاةً أقف داخل بهو قصر الحامي في عالم الموتى، وأمامي يطفو حماة الشرق الأربعة، في يد كل واحد منهم صولجانه الخاص، وفي كل صولجان يوجد حجر الستار الخاص بكل حامٍ، ما عدا واحدًا منهم فقط؛ فلقد كان صولجانه فارغًا من أي حجر. في اللحظّة التالية طار الحجر الذي كان بيدي والتصق بالصولجان الوحيد الذي لم يكن مُرصّعًا بأي حجر. رأيتُ الأربعة ينظرون إليّ نظراتٍ باردة وثابتة كعادة الحماة جميعًا، أطوالهم تُجاوز الثلاثة أمتار وأشكالهم مهيبة.. ظللنا على هذا الوضع لثوانٍ قبل أن يستهل حارس الشرق الرابع:

-أنت مذنب بالعبث في ستار الواقع.. خَرْقِ قوانين الستار.. سرقة حجر الحامي.. التعالي على سلطة الحماة.. هل لديك ما تدافع به عن نفسك؟

لم أعرف ما عليَّ فعله أو قوله، لكني استجمعت شجاعتي وقلت:

-نعم، لديّ ما أدافع به عن نفسي، أعطوني الفرصة فقط لأحكي.

تبادلوا بعض النظرات الخاوية قبل أن يعودوا لينظروا نحوي لتُضيء أحجارهم الأربعة في وقت واحد بضوء أخضر، ثم قالوا سويًا:

-احكِ.

-سأحكي.

*****

لأجل ماري

شبح مرآة.. قاتل متسلسل.. ضابط شرطة.



(١)

-بداية كل شيء-

٥- يونيو- ١٩٧٨ (ليلاً)

كان الطفل خالد, ابن السابعة, جالسًا أمام شاشة التلفاز التي امتلأت بخليط من اللونين الأبيض والأسود بدرجاتهما، بينما ترامت حوله بعض الألعاب البلاستيكية والحيوانات القُطنية.. قبل أن تنادي الأم بصوت يجمع بين النعومة والصرامة:

-خالد, قمْ لتغسل أسنانك حالاً؛ فلقد حان موعد نومك.

-لكني لا أريد الذهاب للنوم.. دعيني أرجوكِ.

قالها خالد الصغير مُتوسِّلاً، فقالت الأم بتعب:

-كل يوم نفس الكلام! اذهبْ بسرعة لتغسل أسنانك ولتنمْ.. لا أريد أي نقاش.

طرقت الكلمات أذن الصغير.. فنهض عن الأرض مُستسلمًا, وتوجه إلى الحمام مباشرةً، ودلف إلى داخله قبل أن يشرع في ضغط قابس الكهرباء لتضيء لمبة الحمام.. شدَّ الكرسي البلاستيكي الصغير الموضوع في أحد أركان الحمام حتى يصعد فوقه ليتمكن من رؤية وجهه الصغير بالمرآة, و.. في تلك اللحظة انغلق باب الحمام فجأة وبقوة, حتى كاد صوت انغلاقه يصم أذن الصغير.. ثم انطفأ نور الحمام, فسقط الظلام ثقيلاً على المكان، ليتحطم شعور الأمان بداخل الصغير, فلم يتبقَ سوى الخوف.. والرعب. صرخ الصغير بكل ما في أحباله الصوتية من قوة.. وفقد توازنه من أثر الصدمة ليقع من فوق الكرسي الصغير وسط الظُلمة.. لكن ما حدث بعدها كان غريبًا؛ إنه لا يشعر بالأرض!

إنَّ جسده مُستمرٌ في السقوط وسط الظلام.. يسقط إلى ما لا نهاية.

*****

٤- أكتوبر- ١٩٩٧

جلس خالد بجوار مخطوبته مريم على الضفة الشرقية للنيل, وقلبه يكاد يقفز من داخل صدره لشدة فرحته، لا يعرف من أين يبدأ الكلام، وما الذي يجب عليه قوله. نظر نحوها فوجدها توجِّه بصرها نحو قرص الشمس الذي أوشك على الغروب، فراح يراقب النسيم وهو يداعب خصلات شعرها اللامعة.

استجمع شجعاته بعد قليل وقال:

-لقد حصلت على ترقية في العمل.

التفتت نحوه وابتسمت بصدق:

-هذا الخبر يستحق أن نحتفل به.

ابتسم قبل أن يعود ثانيةً إلى صمته، فاتسعت ابتسامتها وسألته:

-لم أعتدك خجولاً وصامتًا هكذا! هل أنت بخير؟

قال متلعثمًا:

-أنا فقط سعيد, سعيدٌ جدًا أننا أصبحنا مخطوبان وسنتزوج قريبًا.

ابتسمت حتى ضاقت عيناها فاستطرد:

-عرفت أنكِ تحبين فيروز.. أهذا صحيح؟

قالت: -ومن لا يحبها؟

وافقها قائلاً:

-أنا أيضًا لا أسمع إلا أغانيها.. إنها عظيمة.

التفتت ببصرها نحو مجرى النيل تراقب المراكب الشراعية وقالت:

-أتعرف.. لطالما حلمت بمركب شراعي, لا أحلم بأن أركبه, بل أحلم بأن أمتلكه.. أن أسافر بها عكس مجرى النهر.. من الشمال إلى الجنوب, حلمٌ طفوليٌ ساذج أليس كذلك؟

قال بسرعة:

-بالعكس, إنه حلمٌ جميل.. أحببت حلمك وسأحققه لك يومًا.

تجنّبت النظر إليه وأبقت عينيها معلقة بمشهد النيل تحت الغروب, وراحت تتمتم في خفوض:

-بكتب اسمك ياحبيبي عالحور العتيق.. بتكتب اسمي يا حبيبي عارمل الطريق.

ابتسمت ملامح خالد ولمعت عيناه, وراح يتمتم معها بصوت خافض حتى لا يعكر صفاء صوتها العذب:

-وبكرة بتشتي الدني .. عالقصص المجرحة بيبقى اسمك يا حبيبي واسمي بينمحى.. بيبقى اسمك يا حبيبي واسمي بينمحى.

*****

١٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) ١:٠٠ص (المقابر)

استيقظْ لترى الظلام من حولك وتشعر به يغلِّفك ويخنقك.. أشعر بالجفاف يشقُ طريقه عبر حلقك.. وبالموت يغزو خلايا جسدك. أعلم أنَّ الأرض من تحتك صلبة وقاسية, ولكن هذا مصيرنا جميعًا يا عزيزي.. مرحبًا بك

في الجانب الآخر, فأنت ميت وجميع من حولك أموات, لكن مهلاً! هل تسمع هذا؟ هناك شخصٌ أو شيءٌ يجول بين جدران القبر.. هل هما ملكيْ الحساب؟ لكن هيئته لا تبدو لك كملَك.. الزم الصمت فأنت ميت, وعليك الالتزام بقواعد الأموات؛ فالموتى لا يتكلمون.

راقبه في صمت من خلف ستار الموت، بينما يقوم بجمع ما تبقى من رفات وعظام شخصٍ ما إلى داخل كفن قديم وبالٍ.. راقبْه في صمت وهو يحمل بين يديه ذلك الكفن ويقوم بوضعه مع ما بداخله من محتويات إلى داخل حقيبة قماشية صغيرة.. راقبْه في صمت بينما يشقُّ الأنفاس خروجًا إلي عالم الأحياء، واستمعْ إلى صوته بينما يقول:

-قريبًا.. سوف تعودين.

ثم يُعيد غلق باب القبر عليك أنت ومن معك من الأموات من جديد.

*****

١٢- ديسمبر-٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ٣:٠٠ ص

كانت عقارب الساعة تشير للثالثة بعد منتصف الليل، الظلام والصمت يحتضنان المنزل كأمٍ حنون. أقدام صغيرة لفتى في الثانية عشر من العمر تتجه ناحية الحمام.. خطواتٌ حذرة تحاول تجنُّب إيقاظ من في المنزل, خطواتٌ تحاول جاهدة أن تحافظ على الصمت المُطبق في أرجاء الشقّة. أمنيةٌ واحدة كانت تجول في عقل الفتى صاحب الخطوات, أمنيةٌ راح يهمس بها في نفسه...

-أرجو ألا يستيقظوا.

ظل يتقدم بثبات حتى وصل إلى باب الحمام، فتح الباب بهدوء مُتجنبًا صوت

الصرير المُزعج للمفاصل الحديدية الصدئة.. يحاول باستماتة الحفاظ على السكون الذي يلف الموجودات.

دلف إلى الحمام ووقف أمام مرآة الحمام, وضع يده الصغيرة بداخل ملابسه ليُخرج شمعتين كان قد قام بإخفائهما داخل جيب بنطاله الأيمن, ثم من جيب بنطاله الأيسر, أخرج علبة كبريت ليقوم بإشعال الشمعتين. أشعل الشمعتين الواحدة تلو الأخرى, ثم وضع الأولى في الجهة اليمنى من المرآة والثانية في الجهة اليسرى.

أمسك بورقة مطوية قد أخرجها من جيبه وقام بفضها، ثم شرع يقرأ ما كُتِب فيها:

-يا ماري الدموية.. يا ماري الدموية.. يا ماري الدموية.

لهب الشمعة يتراقص في جنون على ألحان الهواء البارد في تلك الليلة المظلمة.

-يا ماري الدموية.. يا ماري الدموية.. يا ماري الدموية.

بدأ هامسًا ثم بدأت نغمة صوته تعلو وتتصاعد, الصمت يتمزق بينما الظلام يزداد قَتامةً.

-يا ماري الدموية.. يا ماري الدموية.. يا ماري الدموية.

أصبح النداء أقرب للصراخ, ولم يعد الظلام قادرًا على احتوائه.

-يا ماري الدموية.. يا ماري الدموية.. يا ماري الدموية.

لم يعد هناك مجالٌ للتراجع؛ فقد كسر صوته حدود الظلام.

-يا ماري الدموية.. أنا قتلت أطفالك!

ثم لا شيء!

-هاهاه.. حسنًا.. لا شيء.. لم يحدث شيء, كنت أعرف ذلك.. إنها مجرد لعبة سخيفة.

قالها ثمّ أشعل أنوار الحمام, وهو مستمرٌ في الضحك.

حدَّث نفسه قائلاً بصوتٍ هامس: هاهاه .. كنت أعرف أنهم مجموعة من الحمقى والجبناء، المهمّ في الأمر هو أنني فزت بالرهان، فلقد فعلتها، وأثبتُّ لنفسي قبل أن أثبت لهم أنها مجرد لعبة سخيفة..

أطفأ الشمعتين، ثم تحرَّك ناحية المطبخ ليشرب كوبًا من الماء، حتى يعود إلى فراشه الدافئ. فتح زجاجة بلاستيكية وراح يتجرع ما بها من مياه.. وهو يحمد الله بأن صوته العالي لم يوقظ أحد, لكن في تلك الأثناء تناهى إلى سمعه صوت الآلاف من قطرات الماء تصطدم بأرضية الحمام، فجرى ناحية الحمام لينظر في الأمر، فإذا بعينيه تصطدمان بالدُش وقد تساقطت منه قطرات الماء لتُغرق الحمام بأكمله!

وقف ينظر للماء المتساقط على أرضية الحمام كزخات الشُهب في دهشة دون أن يُبدى أية حركة، تساءل في قرارة نفسه عن سر فتح الدُش دون أن يلمسه أحد!.. راح ينظر ذات اليمين وذات الشمال باحثًا عن أحد أفراد الأسرة.. لكن من الواضح أن الجميع لا يزالون نيام!

تحرر الفتى من دهشته، وتقدم ببطء ليغلق الدُش, ولكن نظره وقع دون قصد على المرآة المُعلَّقة على الحائط المقابل للدُش، فاصطدمت عيناه بآخر شيء قد يتمنى فتى في مثل موقفه أن يراه؛ كانت المرآة تعكسُ وجهًا لإمرأة ذات عيون بيضاء، ووجهًا مُشوَّهًا ينسدل فوق جزء منه شعرٌ أسود مُشعث، وترتدي ملابس بيضاء مُضرجة بالدماء، كانت تقف أَسفل الدُش بينما تتساقط

فوقها قطرات الماء!

ظل الفتى ينقل بصره بين المرآة والدُش, لكنه لا يجد أحدًا يقف أسفل الدُش! استمر المشهد للحظات اعتمر الرعب فيها وجه الفتى الصغير قبل أن.. يختفي كل شيء! لا امرأة مخيفة ولا أثر لقطرة ماء واحدة، وكأن شيئاً لم يكن!

لم يدرِ الفتى ماذا يفعل, وما حقيقة ما رآه منذ قليل.. هل كان يحلم؟ توقف عقل الفتى عن التفكير, لم يجد شيئًا يفعله سوى الصراخ؛ لذلك ظل يصرخ ويصرخ ويصرخ من دون توقف.

*****

الساعة ٣٠ : ٢ ص

جلست الأم بجوار ولدها الصغير على السرير تحاول أن تهدِّئ من روعه لتعرف منه سبب استيقاظه في تلك الساعة و سبب كل ذلك الصراخ الذي ملأ المنزل بالفزع، راحت تمسح على شعره، وتناديه بصوت حنون عسى أن يستجيب لها، ظل الفتى مُتدثِّرًا بالأغطية وهو يُحملق في فراغ الغرفة وأمارات الهلع تغزو وجهه.

شعرت الأم بالرعب من ذلك الوضع الذي أمسى عليه صغيرها، كما شعرت أيضًا بالملل من محاولاتها المستمرة معه لكي يتكلم, قررت أن تقوم بمحاولة تركه والعودة إلى غرفتها لتختبر ردة فعله، فقامت من مجلسها قائلةً:

-حسنًا.. سأذهب وأتركك وحيدًا, تصبح على خير.

وبينما هي تهم بالخروج من الغرفة، شعرت بشيء يشدُّ ملابسها! أدارت رأسها, فإذا هي يد الصغير تجذبها في توسل لتمنعها من الخروج، عادت الأم

إلى مجلسها، تسأله في حنو وعطف جمّ:

-أخبرْني ما الأمر.. وما الذي يؤرقك؟

هنا انفجر الصبي في البكاء.. حكى لها عن اللعبة.. عن الرهان, عن ما شاهده في مرآة الحمام، والأم تستمع إلى كل ذلك باهتمام. في البداية كان اهتمامها بكلامه اهتمامًا مصطنعًا، لكنه بدأ يجذب انتباهها رويدًا رويدًا, بينما مشاعر الرعب والدهشة والغضب تتبادل الأماكن فوق ملامحها.

انتهى الصبي من حكي قصته، فنظرت له الأم نظرة حانية وقالت:

-ربما كنت تحلم أو تتخيل.

ردَّ الصبي قائلاً :

-لا يا أمي, أنا متأكدٌ بأن ما رأيته حقيقي, صدقيني.. أنا لا أكذب.

الأم في حيرة من أمرها.. إنها تعرفه جيدًا؛ هو لا يكذب, ترى ذلك في عينيه المذعورتين.. لكنه طفل, الأطفال خيالهم واسع.. هذا ما حاولت أن تقنع نفسها به. ليس لديها الكثير لتقوله.. صمتت للحظات ثم قالت:

-حسنًا.. لتنمْ الآن, ويوم الغد يومٌ آخر تنسى فيه كل ما حدث اليوم، وسيكون بالنسبة لك كابوسًا عابرًا لا أكثر.

تنهدت في إرهاق والتعب بادٍ عليها, همت بالوقوف للذهاب إلى غرفتها، فجذبها الصغير مجددًا بكل ما يمتلك من قوة يتوسل إليها أن تبقى معه حتى يستطيع النوم. إنه خائف.. هي تشعر بذلك, يده تقبض على منامتها وترتعش خوفًا، استسلمت لرغبته، جلست بجواره على الفراش تحتضنه, تداعب خصلات شعره الخفيفة حتى استرد مجددًا شعور الأمان واستغرق في النوم، فنهضت الأم عن الفراش، وقامت بإغلاق الأنوار، ثم خرجت من الغرفة،

لتترك الصبي الصغير نائمًا في سكون.

ذهبت الأم إلى الحمام لتُلقي نظرة على ما فعله الصغير هناك، فوجدت شمعة مثبتة بجوار مرآة الحمام قد تم إخماد لهيبها، فالتقطتها بينما تجول بنظرها في أرضية الحمام بحثًا عن الشمعة الأخرى* [1]،لكنها لم تجد أي شيء! لقد أكّد لها صغيرها أنه كان بحوزته شمعتان.. فأين ذهبت الأخرى؟ لم تُعِرْ الأمرَاهتمامًا، وذهبت لتكمل نومها في سكينة.

*****

الساعة ٤:٠٠ ص

الظلام يجعل كل ما بداخله ساحرًا.. هناك نوعٌ خاص من السحر يُصيب كل تلك الأشياء التي يغلّفها الظلام, سحرٌ يصيب قلوبنا قبل عيوننا.

تُضئ المرآة الكبيرة المُثبّتة فوق الكومود المقابل لسرير الفتى الصغير بلون أحمر قانٍ، مصحوب بضوضاء معدنية كالتي تصدرها الشوكة الرنانة تصمُ الأذان، استيقظ على أثر ضوضائها الفتى مفزوعًا حائرًا كمن استفاق ليجد نفسه في مكان غريب عنه. جال بعينيه مفزوعًا في أرجاء الغرفة, حتى وقعت عيناه على المرآة التي استبغت بلون الدم. لم يُفزعه ذلك بقدر ما أفزعه (السلويت) أو الظل الخاص بجسد امرأة تقف أمام المرآة وتنظر نحوه، لم يستطع تَبَيُّن ملامحها في الظلام, لكنه تبيّن بصعوبة شعرها المُشعث والفستان الأبيض الذي ترتديه. بدأت تقترب منه بخطوات وئيدة عطّلت تدفق الدم إلى مخه من أثر الرعب, فبدأ هو الآخر يلتصق بالحائط الخلفي للسرير، أصبحت تقف أمامه مباشرةً الآن.. أخرجت شمعة من اللامكان ثم أشعلتها بلمسة منها، فأضاءت الشمعة ليكشف الضوء الأصفر الملتهب عن

---

(١) (حكى الصبي لوالدته عن اللعبة وعن طقوسها وعن أنه استخدم شمعتين في تنفيذ طقوس اللعبة).

أبشع وجهٍ رآه الفتى في حياته؛ وجهٍ يعرفه الفتى جيدًا، وجهٍ رآه منذ ساعة تقريبًا يلوح فوق مرآة الحمام!

صرخ بكل ما لحنجرته الصغيرة من قوة, لكنَّ أحدًا لم يسمعه. بدأت تلك المشعوذة تزحف على حافة السرير بفستانها الأبيض المُضرج بالدماء مستعينة بمخالب يدها اليمني, بينما تمسك الشمعة باليد اليسرى، ما زال الفتى يصرخ, و لكن شُلّت جميع أطرافه وأصبح عاجزًا عن الحراك، وهي لا تزال تزحف فوق جسده.

إنها الآن فوق قدمه, إنها الآن تزحف فوق باقي جسده, تمزِّق أمعاءه بلا رحمة, بينما تحفر أغنيات الدم والموت على وجهه الصغير بمخالبها السوداء، وقد كفَّ الفتى عن الصراخ.. هذا واقعي؛ فالموتى لا يصرخون.

لقد أدرك الصبي الصغير أخيرًا أنَّ الأمر ليس مجرد لعبة، لكنه أدرك الأمر متأخرًا جدًا.

إنه ليس الأول.. وبالتأكيد ليس الأخير أيضًا. في مكانٍ ما من هذا العالم, هناك أحمق آخر يقف أمام مرآة الحمام، ينادي ثلاث عشرة مرة بنغمة مُتصاعدة حتى تُصبح المرة الثالثة عشرة أقرب للصراخ.. ينادي روحًا مجهولة.. غاضبة:

(يا ماري الدموية.. يا ماري الدموية.. أنا قتلت أطفالك)

*****

(٢)

١٣- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا)_(منزل أسرة السيد عمر)

وقف الرائد خالد الشاذلي وسط غرفة صغيرة بأحد البيوت البسيطة يجول ببصره في محتويات الغرفة، بينما رجال المباحث والطب الشرعي يقومون بفحص كل أركان الغرفة دون أن يتركوا إنشًا واحدًا دون فحص, وفي خلفية ذلك المشهد صوت الأم الناحبة يزيد المشهد قتامةً وحزنًا.

استدار المقدم خالد وتحرك عدة خطوات ليقف أخيرًا قبالة الأب الصامد, الذي راح يحاول تهدئة روع زوجته، ونظر لهما نظرة هي مزيج من الحزن والأسى، قبل أن يستعيد ملامحه الجادة ويقول:

-أستاذ عمر.. هل تسمح لي؟ قلبي عندكما, لكن اعذرني; أحتاج لبعض المعلومات عن الحادث.

رفع الأب عينيه اللتين تجمد فيهما الدمع, وردَّ بجفاء:

-لقد حكيتُ من قبل.

توقع خالد ذلك الردُّ الجافي من الأب, لكنه حاول مجددًا, وحاول في تلك المرة أن يجعل نبرته أكثر هدوءً:

-أعرف ذلك, لكن ما أخبرتنا به يخلو من بعض الدقة والتفاصيل.

لاحت دمعة فوق ملامح الأب, ثم ارتمى على أحد الكراسي محاولاً جمع دموعه وهو يحكي:

-استيقظنا في الثانية صباحًا على صوت صراخ قادم من جهة الحمام, فهلعت

زوجتي وهرعت تتفقد الأمر, لتجد..

صمت الأب قليلاً قبل أن يُكمل:

-لتجد ولدَنا واقفًا أمام باب الحمام وهو يصرخ، فحاولت زوجتي أن تهدئ من روعة لتفهم منه سبب صراخه لكنه لم يُجب، ذهبت به إلى غرفة نومه, لتعود بعد نصف ساعة تقريبًا لتخبرني بأنّه قد نام وبأنّ صراخه كان ناتجًاعن استيقاظه ليلاً وجلوسه وحيدًا, مما سبب له بعض الخيالات عن عفريتة تطارده.

انتحبت الأم, وهي تسمع كلام زوجها, قبل أن يُكمل:

-عُدنا بعد ذلك إلى النوم لنستيقظ بعد ساعة تقريبًا على صوت صراخ الولد مرة أخرى، فطلبتُ من زوجتي أن تذهب لتفقُّد الأمر؛ فربما عاودته رؤية العفاريت مرة أخرى, فنهضت زوجتي لتذهب إلى غرفة الطفل, لأسمع صوت صراخها هي الأخرى بعد ثوانٍ معدودة يعلو في الخارج, فهرعت أنا أيضًا إلى غرفة الولد لأتفقد الأمر.. فإذا بي أرى زوجتي تصرخ أمام غرفة نوم الصغير, وعندما دخلت إلى الغرفة لأعرف سبب صراخ كل من في المنزل, تعالت صرختي أنا الآخر؛ فقد اصطدمت عيني بالمشهد الذي تراه الآن.

توقف الأب عن الكلام بينما تنهمر العبارات بغزارة فوق ملامح الأم, فقرر المقدم خالد أن يكُف عن استجوابهما, ثم وقف أمام مدخل الغرفة يتأمل تفاصيل الغرفة المرعبة، كما رآها الأب عندما حضر ليعرف سبب صراخ زوجته.

رجال الشرطة الذين يجوبون الغرفة.. سرير الطفل غارقٌ في الدماء.. تتوسط الدماء قطع صغيرة مُقطعة من لحم, يكاد خالد يُجزم أنه لحم الطفل, لكن جثة الطفل نفسها غير موجودة!

الأغرب من كل ذلك والأكثر رعبًا، هو أن المرآة المقابلة للسرير قد شُرخت وتحطّم نصفها وغرق النصف الآخر في لطخات من الدم.. وقد رُسمت العديد من الرموز الغريبة في أرجاء الغرفة, لكنه, ومع بعض التدقيق في النصف السليم المتبقي من زجاج المرآة, شعر وكأن لطخات الدماء تشكل كلمة مفهومة.. كلمة مثل ملوى، أو ربما هي ياري! اقترب من المرآة, دقق النظر أكثر وقرأ الكلمة... إنها ماري!

*****

١٣- ديسمبر- ٢٠٠٦ (عصرًا)_(منزل أسرة السيد عمر)

نظارات بإطار معدني رفيع.. شعر بني خفيف.. عيون عسلية.. جسم نحيل. تلك هي الصفات التي تميز الصحفي الشاب إبراهيم مراد، تخرّج منذ عامين فقط من كلية الإعلام.. لكنه, ولشدة ذكائه, وسعيه مع بعض الوساطة, إذا أردنا أن نكون موضوعيين، تمكّن من الحصول على وظيفة في إحدى الجرائد المعروفة.

يشمُّ إبراهيم الخبر الجيد على بُعد أميال.. وكان من الصعب عليه أن يترك حادثًا كحادث اختفاء جثة ذلك الطفل دون أن يكتب عنه؛ لذلك انتظر أمام منزل أسرة السيد عمر والد ذلك الطفل, حتى تأكد من رحيل أغلب رجال الشرطة, وعلى رأسهم الضابط خالد الشاذلي.. والمعروف عنه شدة كرهه للصحافيين، وعدم سماحه بدخولهم لأي مكان يكون هو المسئول عن التحقيقات به، يعرف أنَّ لديه الحق كصحفي في الدخول.. لكن إبراهيم لا يحب المشاكل.. إبراهيم يفضل أن يعمل في صمت، يحب أن يختطف الخبر من بين براثن الأسد بينما هو نائم، لكن من دون الدخول معه في معركة مباشرة أبدًا.

بعد أذان العصر, قرر إبراهيم أنه قد حان الوقت للصعود وأخذ بعد التصريحات من الأسرة المنكوبة، صعد سلم المنزل شاعرًا حقًا بأنه على موعد مع خبر مميز عن أي خبر كتبه مُسبقًا، وكم كان شعوره صادقًا!

*****

١٤- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا)

رجلٌ في الثلاثينات من العمر، جلس على أحد كراسي الأنترية المهترئ بشقته الخاصة في أحد أحياء القاهرة القديمة، فانغرس جسده داخل الأنترية، وشعر بنفسه يغوص داخل أنسجة الكرسي.. لقد اهترأ هذا الأنترية بفعل مرور الزمن، ولم يعد صالحًا للاستخدام الآدمي.

أمسك بين يديه جريدة أخبار اليوم، وفضها، ثم راح يمرُّ بنظره بسرعة فوق عناوين الأخبار والمقالات، أخبار الرياضة..أخبار الشارع..أخبار النجوم.. شكاوى الناس..إعلانات..تسالي ..موضوعات سياسية.. ثم المزيد من الإعلانات.. ثم أخبار أخرى بلا قيمة, لكن وبينما هو يتصفح الجريدة, عَثر على خبر جذب انتباهه. كُتب فوقه كعنوان رئيسي باللون الأحمر(اللعبة التي تقتل)..ثم كُتب أسفل هذه الجملة كعنوان فرعي (قُتل الطفل وسرقت جثته ومن دون أي آثار للاقتحام) ثم عنوان فرعي تشويقي آخر(مَن هي ماري التي ترك القاتل اسمها خلفه؟).. جذب اسم ماري انتباه الرجل.. فقرر أن يشرع في قراءة أول سطور الخبر.

نسمع كل يوم عن قاتل يقتل بطريقة مختلفة أو مجنونة . . نسمع أيضًا عن طُرق مختلفة للقتل وأسباب مختلفة للوفاة, لكن هل سمع أحدكم يومًا عن لعبة تقتل؟ أيمن عمر, طفلٌ صغيرٌ في الثانية عشرة من عمره, تحداه أصدقائه في لعبة كانت نتيجتها أنه خسر حياته .

استيقظت الأسرة المكونة من أب وأم وطفل على صوت صراخ طفلهم فجراً, ليجدا أنَّ الطفل قد اختفى من الغرفة, بينما غرفته غارقة في الدماء والرموز غير المفهومة.

يحكي الأب عمر زيدان عن الواقعة فيقول..

أكمل الرجل قراءة الخبر إلى آخره بينما يرفع حاجبه متعجبًا من ما اعتبره سخفًا، وبعد مرور خمس دقائق، كان قد انتهى من قراءة الموضوع كُله، فرسم على وجهه ابتسامةً ساخرة بركن الفم وهو ينظر على اسم المغفل الذي كتب الخبر.. إبراهيم مراد.

شرع في غلق الجريدة، لكن.. قبل أن يغلقها, جذب انتباهه خبرٌ آخر، خبرٌ يحمل صورةً لفتاة ذات عيون زرقاء, راح يتأمل صورة الفتاة قليلاً.. وركّز بصره على لون عينيها.. استمر على تلك الحال لثوانٍ قبل أن يقوم من مجلسه ذاهبًا للمطبخ، عائدًا وبحوزته مقص، استخدمه في قص الخبر الذي يحوي صورة الفتاة زرقاء الأعين!

*****

١٦- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ١٠م_(سكن المُغتربات)

أربع فتيات تتراوح أعمارهن ما بين العشرين والثالثة والعشرين عامًا، جلسن يُثرثِرْن في إحدى الغرف بأحد مساكن الطالبات المُغتربات بالقاهرة.

أحاديث الفتيات.. غالبًا هي حلقة لا تنتهي من النميمة، يتناولن فيها سيرةَ هذا وسيرةَ هذه.. حبيبَ هذه.. وخطيبَ هذه.. ربما تُخرج إحداهن صورةً لشاب وسيم وتدعي بأنه حبيبها.. بينما تكذِّبها إحداهن، وتحسُدها الأخرى, وسرعان ما تتحول حلقة النميمة تلك إلى حلقة من الأحاديث النسائية الخاصة, وربما حلقة من (السفالة) إذا أردنا الدقة في التعبير.

وبينما هن يتحدثن ويضحكن ويتبادلن الشتائم المختلفة على غرار(يا حيوانة) أو (يا متخلفة), أشارت إحداهن للأُخريات حتى يلزمن الصمت، ثم قطعت الصمت قائلة:

-ما رأيكن يا فتيات في أن أحكي لكُنَّ بعض الحكايات المرعبة؟

تبادلن النظرات قبل أن تقول إحداهن في تحفُّز:

-هيا.. فلتحكي؛ فقد يكسر هذا حاجز الملل الذي نحن فيه.

فقالت الفتاة صاحبة الاقتراح للثلاث فتيات الأخريات:

-حسنًا سأحكي لَكُنَّ عن أسطورة سمعتها قد حكاها لي صديقٌ قديم يعيش في الخارج, لكنها ليست مجرد أسطورة.

أثار الأسلوب التشويقي للفتاة حفيظة وفضول باقي الفتيات, وعلى الأخص تلك الفتاة التي تجلس جهة اليسار, الفتاة ذات العينين الزرقاوين.

*****

١٥- ديسمبر- ٢٠٠٦(نهارًا)

نور، فتاة جميلة تدرس في السنة الرابعة بكلية الإعلام، تتميز بشعر أسود فاحم وعيون بنية واسعة وبشرة بيضاء رقيقة، تمشي بخطوات هادئة بجوار سور كورنيش النيل, وبجوارها شابٌ نحيل ذو عوينات وشعر بني وعيون عسلية، إبراهيم.. تعرَّفت عليه عندما كانت لا تزال طالبة في الصف الأول بكلية الإعلام، انجذبت له منذ اللحظة الأولى، ويبدو أنه انجذب إليها هو الآخر وأُغرم بها، حلمهما منذ سنوات أن يرتبطا بشكل رسمي، لكن والدها رفضه في البداية لأنه لا يزال طالبًا، ورفضه بعد تخرجه مجددًا لأنه ليس مستعدًا ماديًا.

عادةً ما يكونا متشابكا الأيدي أثناء مرافقتهما لبعض، لكن هناك شيءٌ مختلف اليوم.

استهلّت نور الكلام:

-إبراهيم.. أبي مُصِرٌ على أن يخطبني لأقرب عريس مُقتدر يتقدم لخطبتي.

إبراهيم عاجز عن الكلام، يشعر بغصة في حلقة، وألم يعتصر قلبه، هناك شعورٌ بالبرد يزحف على كل جزء من روحه.

تكلّمت نور مرة أخرى:

-إبراهيم.. رد عليّ أرجوك.

نطق إبراهيم:

-أنا عاجزٌ عن الكلام ياحلوتي.. عاجزٌ عن كل شيء.

أنهى إبراهيم عبارته وهو يبتسم بمرارة، فبدأت دمعة تترقرق في عينيها، أسرع إبراهيم يمسح الدمعة عن عينيها، وهو ينظر لها في أسى بالغ, فقالت:

-أنا خائفة.

-ممَ؟ (سألها)

-من أن يأخذوني منك.

سكت قليلاً ثم تنهد وقال:

-للمرة الأولى لا أستطيع أن أطمئنكِ.. أنا خائفٌ اكثر منكِ.

*****

١٧- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا)١٠ص

بينما كان الرائد خالد الشاذلي جالسًا في مكتبه بمديرية الأمن، وصله بلاغ عن وجود جثة لشابة في العشرين من عمرها داخل أحد مساكن الطالبات المُغتربات. انطلق هو وفريقٌ من الشرطة إلى موقع الحادث فورًا، ليجد عددًا كبيرًا من الطالبات الفزعات في استقباله لدى وصوله إلى موقع الحادث. ولج هو وفريقٌ من الشرطة إلى داخل المبنى, فاستقبله بعض المسؤولين عن السكن، والذين شرعوا في سرد تفاصيل اكتشاف الجريمة. استرسلت إحدى المسؤلات عن المبنى, فتحكي قائلةً:

-عندما حضر زميلات الفتاة إلى غرفتها في الصباح ليذهبوا سويًا إلي الجامعة, لم يأتِ لهن أيُ ردٍ من داخل الغرفة.. تعجبنً من الأمر.. ووضعن احتمالاً أن تكون قد غادرت باكرًا دونهم في الحسبان.. لكن عندما سألنً حارس السكن, أجابهنً بأنه لم يرها تخرج من السكن اليوم! قررت إحدى الفتيات أنً هناك شيئًا خاطئًا في الأمر, فصديقتهن معروفٌ عنها ميولها الانتحارية وتهوُّرها؛ لذلك قامت بتبليغ إدارة السكن, وتم اتخاذ الإجراء المُتبّع في هذه الحال؛ وهو اقتحام الغرفة خوفًا من أن تكون الفتاة قد فعلت بنفسها شيئًا, وهذه الأمور اعتيادية عندما تتعامل مع فتيات في هذه السن الحرجة. وعند اقتحام الغرفة, وجدنا جثة الفتاة ملقاة على الأرض أمام المرآة, وقد تم... انتزاع مقلتيها من وجهها!

قالت العبارة الأخيرة وهي ترتعش.. فسألها خالد قائلاً:

-أليس من المفترض أن يكون هناك أكثر من فتاة في الغرفة؟ أين باقي شريكاتها في السكن؟

قالت المسؤلة عن السكن:

-هذا هو المفترض, لكن الفتاة مغتربةٌ جديدةٌ هنا, وتلك الغرفة كانت فارغة عندما حضرت من أسبوع, فأقامت فيها حتى نجد شريكة أخرى لها في الغرفة.

بعد أن أنهت السيدة حديثها, صعد خالد إلى غرفة الضحية هو وفريقٌ من الشرطة لتأمين المكان ومحاصرته، حتى يتم فحصه, دخل إلى غرفة الضحية ليجد جثة الفتاة ملقاة على الأرض أمام المرآة وقد تم انتزاع كلتا عينيها من محجريهما!

بدأ خالد في الالتفاف يمينًا ويسارًا، بحثًا عن أي طرف خيط للقضية, حتى وجد نفسه أمام آخر شيء كان يتوقع رؤيته... شيء أوضح له بعض النقاط, لكنه في الوقت ذاته زاد من علامات التعجب والاستفهام داخل رأسه.. لقد وجد نفسه أمام المرآة, وقد تحطَّم جزءٌ منها, بينما كُتِبَ فوق الجزء الباقي..
(إن ماري سوف تعود)

-؟!!

*****

١٨- ديسمبر- ٢٠٠٦(نهارًا)

رجلٌ في الثلاثينات من العمر، جلس على أحد كراسي الأنترية المهترئ بشقته الخاصة في أحد أحياء القاهرة القديمة، فانغرس جسده داخل الأنترية، وشعر بنفسه يغوص داخل أنسجة الكرسي.. لقد اهترأ هذا الأنترية بفعل مرور الزمن، ولم يعد صالحًا للاستخدام الآدمي.

أمسك بين يديه جريدة، وطفِق يبحث عن خبرٍ كُتِب فيها، لم يستغرق الكثير من الوقت حتى يجد الخبر الذي كان يبحث عنه، فسرعان ما توقفت عيناه

فوق عنوان رئيسي كُتِبَ باللون الأحمر (جريمة في سكن المغتربات).. كُتِبَ أسفل هذا العنوان عنوانٌ فرعيٌّ آخر (سرق عيونها الزرقاء ليتركها جثة هامدة).. سطرٌ آخر بحجم أصغر كُتِبَ فيه (الرائد خالد الشاذلي: إنها الجريمة الثانية من نوعها, وقد يكون القاتل شخصًا واحدًا).. انتهى من قراءة العناوين ليبدأ في قراءة المقال كاملاً.

انتهى من قراءة المقال، ليركِّز لدقيقة في اسم الصحفي الذي دوَّن التحقيق، كان الاسم مألوفًا.. "إبراهيم مراد".

أزاح الرجل الجريدة جانبًا بعد أن أغلقها، ثم قام من مجلسه، ليتجه إلى الثلاجة، ويفتح بابها ببطء.. قد يبدو للبعض رجلاً ألحَّ عليه الجوع, فقام يبحث عن ما يسد جوعه داخل ثلاجته, لكن تلك الثلاجة لم تكن تحوي طعامًا, بل برطمانًا مُغلقًا بإحكام مليء بالفورمالين[١] , يسبح بداخله عينان.. عينان زرقاوان!

*****

(١) مادة الفورمالين: تُستخدم كمادة حافظة للجثث والأعضاء البشرية لأجل التشريح، بالإضافة إلى العديد من الاستخدامات الأخرى.

(٣)

١٧- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ظهرًا)

طوال

ساعتين تقريبًا، ظل خالد ينظر إلى الجملة التي كُتِبَت على المرآة، وحالة من الصمت والتفكير تجتاحه، وبينما هو على تلك الحال، ولج صديقه الضابط طارق إلى الغرفة، ممزقًا حبل أفكاره:

-لماذا كل هذا التفكيو؟ كان يمكنني في هذه الفتوة إنهاء خمس قضايا دفعة واحدة.. لا تنس أنَّ لديك قضية الطفل الذي اختفى.

انتبه خالد لنبرة صوت صديقه المميزة؛ فقد كانت نبرته ذات رنين مميز بسبب لثغته الطريفة في حرف الراء، لكنه رغم ذلك, كان على نحوٍ كبير من الوسامة.. شاب في الثلاثين ذو شارب كث.. بشرة بيضاء.. وشعر بني خفيف بدأ في التساقط لسببٍ وراثي. نظر خالد نحوه بوجهٍ خالٍ من أي تعبيروقال:

-إنهما قضية واحدة.

تعجب طارق:

-ماذا تقصد؟!

-انظر معي .. هنا ناحية المرآة.. مُحطمة بنفس الطريقة.. لكن هذه المرآة! الكلمات مكتوبةٌ بعربية مفهومة.. اقرأ ما كُتِبَ عليها.

أشار خالد للمرآة, فنظر طارق نحوها وقال:

-لقد كُتِبَ عليها إن ماوي سوف تعود, حسنًا.. قد يكون ذلك هو اسم القاتلة.

ماوي.[1]

أخرجت لثغة طارق خالد من وجومه، وضحك لطريقة نطق طارق لاسم ماري ثم قال ساخرًا:

-بعيدًا عن كونها ماري وليس ماوي.. لكني لا أعتقد بصحة قولك.. لا أعتقد أنَّ القتلة يتجولون في الشوارع صائحين بأسمائهم في كل مكان.

لم يعلق طارق على سخرية خالد؛ فقد اعتادها على كل حال, لكنه سأل:

-إذاً في ماذا تفكو؟

-الطريقة الغريبة.. المرآة.. الكلمات المكتوبة مع اختلاف المعنى واللغة.

-إذًا أنت تقصد أنَّ القاتل واحدٌ هنا وهناك؟

-نعم, قاتلٌ قادر على دخول المباني والبيوت وتنفيذ جريمته ثم الخروج دون أن يشعر به أحد.. الكلمات والعلامات أيضًا.. تذكِّرني بالعلامات التي يتركها القتلة المتسلسلون.

-لكن هذا عبث يا صديقي، في العادة يكون للقاتل المتسلسل هدفٌ معين.. كقتل وجال من الدولة، أو قتل مجموعة من وجال الأعمال أو المافيا لأهداف انتقامية، لكن ما الذي قد يويده هذا المعتوه من قتل طفل في الثانية عشوة وفتاة في العشويين!.. الأمو لا يبدو منطقيًا بالنسبة إليَّ.(عرض طارق أفكاره, فاستلم خالد دفة الحديث مجددًا)

-أعلم هذا, خاصة أنه لا يوجد أي شيء يربط بين الضحيتين، مهمتنا الفعلية الآن هي إيجاد هذا الرابط.

(١) طارق ألثغ في حرف الراء.. لذلك ينطق حرف (الراء) (واو)

-وُبَما هو يقتل فقط لهدف الحصول على الأعضاء البشرية.

-فكرت في ذلك قبلك، لكن هناك آلاف المتسولين يملئون الشوارع في بلدنا, ويمكن قتلهم وسرقة أعضائهم بسهولة.. لماذا يعرِّض نفسه لخطر اقتحام سكن مغتربات.. ولماذ العينين فقط؟ (تساءل خالد فقال طارق)

-حسنًا.. هناك احتمالٌ واحد؛ أنه يقتل لهدف القتل.

تعجَّب خالد من ذلك التفسير:

-تعني أننا نتعامل مع مجنون هارب من المصحة؟!

-لا يوجد تفسيو آخو.

-في الواقع أعتقد أنه يمكننا الحصول على ألف تفسير.. فقد يكون ساحرًا مثلاً!

تعجب طارق من كلام خالد الذي بدا حمقًا بالغًا, لكن خالد قال موضحًا:

-لا تتعجب كثيرًا؛ ففي العام ١٨٨٨م.. وُجد في مدينة لندن قاتل متسلسل من نوع فريد ...قاتل خارق للطبيعة كان يقوم بقتل ضحاياه من فتيات الليل.. ثم يشريح جثثهن ليمثِّل بهن بأبشع الطرق التي يمكن أن يتخيلها عقلك.. ثم يهرب قبل أن يمسك به أحد, وكان يقوم بكل ذلك في ثوانٍ معدودة وبدقة شديدة.. وعلى مرِّ الزمن لم يعرف أحد هوية هذا الذي أرعب إنجلترا كلها يومًا من الأيام, لكنَّه كان معروفًا بجاك السفاح.

-جاك السفاح (كرر طارق الاسم كمن يحاول تذكر شيء).. أعتقد أنني قوأت عنه قبل الآن.. لكن حتى هو كان له هدف عندما كان يشوع في القتل..كل ضحاياه كانوا من فتيات الليل والعاهوات, ولم أسمع أنه قام بقتل وجل أو سيدة نبيلة على سبيل المثال.

قال خالد:

-هذا صحيح..لكن لننظر للأمر من زاوية أخرى..على مرِّ السنين كان من أشهر التفسيرات لقضية جاك السفاح هو أنه كان يستعمل السحر الأسود.. وإنَّ قتل الضحية وتشريحها لم يكن سوى طقس من طقوس السحر.

-لقد جُنِنتَ حقًا يا خالد.. أتويد منّا أن نكتب في التحقيقات أنَّ القاتل ساحو؟

-لم أقل ذلك, لكن نحن نتعامل هنا مع شخص يمر عبر الأبواب المغلقة، ليقتل ثم يخرج حاملاً جثة الضحية من دون أن يشعر به أحد ومن دون أن يترك أي أثر لاقتحام.

تمعّن طارق في كلام خالد حائرًا:

-لا أعوِف.. لكن كما قلت أنت.. يمكننا الحصول على ألف تفسيو غيو ذلك.

-حسنًا, دعك من هذا الآن، هل قمت باستجواب الحارس والطالبات في السكن؟

-نعم فعلت ذلك.. الحاوِس يقول بأنه لم يوَ أي شيء.. وينكو معوفته لأي شيء.. كمّا يُأكِّد أنَّه من المستحيل أن يقتحم أحدهم السكن دون أن يشعو به أحد.. لكنني لا أصدقه؛ فهو الوحيد القادو على إنجاح أمو دخول القاتل السكن دون أن يشعو أحد، فهو المسؤول عن كل المداخل والمخاوِج هنا ولديه مفاتيحُها.

-وماذا أيضًا؟ (سأل خالد)

-عوفنا معلومة عن الضحية قد لا تبدو مهمة، الضحية تقود إحدي الحوَكات الطلابية في الجامعة ضد نظام الجامعة.. وقد نُشِوَت صووَتها في جوِيدة يوم ١٤من الشهو الجاوي في موضوع تناول مطالب طلاب تلك الحوَكة.

استمر خالد في أسئلته:

-حسنًا.. وماذا عن الطالبات؟

-علمنا أنَّ الضحية كانت متواجدة ليلاً مع ثلاث فتيات أخوَيات في غوفة إحدهن قبل أن تُقتل مباشوَةً بثلاث ساعات.

-وأين هُنَّ الآن؟

-لا يُودن الحضوو إلى هنا؛ فهُنَّ خائفات.

-سأذهب أنا إليهنَّ إذًا.

هَمَّ خالد بالتحرك, فأوقفه طارق بإشارة من يده:

-لحظة.. قبل أن تقوم بالتحقيق معهنَّ, هناك صحفي يويد مقابلتك ومعوفة وأيك في تلك القضية، الصحفي نفسه الذي كتب عن قضية الفتى الصغيو.

قال خالد ساخرًا:

-ذلك المعتوه الذي راح يكتب عن أنَّ سبب موت الفتى الصغير لعبة شيطانية؟ لقد حوَّل القضية إلى أضحوكة, كمّا أنك تعرف أنني لا أحب الصحفيين.

ابتلع طارق ريقه, وقد احمر وجهه وسأل:

-لمَ كل ذاك العداء لديك نحو الصحفيين؟

أجاب خالد بمقت:

-هؤلاء المزعجين لا يكفون عن تلفيق الحقائق والكذب طوال الوقت.. يبحثون دائمًا عن الخبطة الصحفية.. حتى ولو كانت تلك الخبطة فضيحة تدمر حياة أحدهم.. صراعٌ دائم بين بعضهم بعضًا.. الكل يريد أن يسبق الآخر بخطوة.. حتى وإن لم تتواجد تلك الخبطة.. فعنوانٌ زائف مع صورة

لافتة لأحد المشاهير كفيلة بجذب انتباه القارئ المسكين, الذي يكتشف بعد قراءة الخبر أنَّه قد وقع ضحية لعملية نصب صحفي, أتعرف؟ تلك هي اللفظة المناسبة.. إذا لم يتواجد السبق الصحفي, وُجِد النصب الصحفي.

تنهّد طارق و تنحنح في حرج:

-حسنًا.. يبدو أنك تُكِنُّ لهم الكثير من الكواهية.. لكن..

لاحظ خالد أنَّ طارق محرج من قول شيء, فحثّه على الإدلاء بما في دلوه, فتكلّم طارق:

إنَّ الصحفي قويبي, وعندما عوف أنني صديقك ومعك في نفس القضية أواد أن يقوم بإضافتك لتحقيقه الصحفي.

ابتسم خالد محرجًا من الكلام الذي قاله عن الصحفي, ثم قال لطارق:

-حسنًا سأقابله لأجل خاطرك، ومن ثمّ أقوم بالتحقيق مع الفتيات.

*****

٣١- ديسمبر- ١٩٩٩ (ليلاً) ١٠م

اكتظ أحد المطاعم الساكنة على ضفاف نهر النيل بعشرات الأشخاص الذين قرروا أن يقضوا ليلة رأس السنة في تناول طعام العشاء تحت أضواء النجوم، من بينهم شابة جميلة،يبدو الذكاء جليًا في عينيها المُلونتين.. شعرٌ لامع.. بشرةٌ بيضاء ناعمة، شابةٌ في أواخر العشرينات من عمرها، تجلس وحيدة في انتظار معتوهٍ ما.

زفرت في ملل, ونظرت في الساعة الصغيرة الملفوفة حول معصمها, شعرت فجأة بشخص يقف خلفها, وبيدين خشنتين توضعان فوق عينيها..وصوت حانٍ يقول:

-احذري من أنا؟

ابتسمت ابتسامة واسعة, حتى لم يعد يظهر من وجهها سوى أسنانها اللؤلؤية وقالت:

-كفاك مزاحًا واجلس قبل أن آتي بشخص آخر ليجلس مكانك.

أبعد يده عن عينيها الزرقاوين وجَرى مُسرعًا نحو المقعد المقابل لها على الطاولة وهو يقول متلهِّفًا:

-مهلاً.. مهلاً.. سأجلس.. لماذا تلك المعاملة القاسية؟

أبرزت ملامح الامتعاض فوق وجهها قبل أن تقول بلهجة تحوي الكثير من اللوم:

-هذا لأنك تأخرت عن موعدنا ساعة كاملة.

-أنتِ تعلمين يا حبيبتي.. ليس بيدي حيلة، إنها ظروف عملي الخاصة.. أنا غير مُقيَّدٍ بمواعيد.

-لقد تعايشتُ مع ظروف عملك تلك طوال عام كامل.. لكن حتى هذه الليلة؟

أعاد ظهره للخلف قبل أن يرد عليها مُبتسمًا:

- أتعرفين ما هي الليلة؟ إنها ليلة رأس السنة.. إنَّ أكبر الجرائم وأكثرها وحشية تتم في هذه الليلة من كل عام.. أنا واثقٌ من أنَّ هناك جريمة قتل تحدث الآن على الضفة الأخرى من النيل.. بينما نجلس نحن لنحتفل ونتناول العشاء على تلك الضفة.. أترين هؤلاء الأشخاص حولنا في كل مكان؟ قد يبدو لكِ للوهلة الأولى أنهم سعداء, لكن قد يتشاجر رجل مع زوجته لسبب تافه لدى عودتهما للمنزل، فيقوم بطعنها عدة طعنات في جسده (كان يتكلم بينما يحرك قبضته في الهواء, وكأنه يمسك بسكين خيالية) بينما نحن نجلس

الآن, هناك زوجة مقهورة.. أو ربما هي تظن ذلك. تُعد عشاء ليلة رأس السنة لزوجها المسكين وهي حريصة على المكون الرئيسي فيه؛ السم.

إنه يأكل بعقلها حلاوة كالعادة.. يلفها لفًا حتى يقيِّد لسانها بكلامه, لكن ليس اليوم. اليوم ستثور.. اليوم ستغضب.. راحت تلك الأفكار تدور في عقلها وهي تقول بحزم:

-لكن لا تنس أنَّ اليوم أيضًا هو عيد زواجنا الأول.

-لم أنس, كيف للمرأ أن ينسى اليوم الذي وقع فيه ضحية لأكبر فخ قد يقع فيه رجل؟

احمر وجهها.. كانت قد اعتادت طريقته الساخرة تلك.. لكنها الآن تستشيط غضبًا:

-أنا أكرهك.

-وأنا أحبكِ.

باغتها مبتسمًا, فابتسمت وقد احمرت وجنتاها خجلاً, قبل أن تقول بلهجة أقل حدة:

-ماذا تريد مني بالضبط؟ إلى متى سأتحمل قصصك عن القتلة والمجرمين والجثث المُمَزَّقة؟ أريد أن أشعر ولو لمرة واحدة أنك زوجي وليس ضابط شرطة!

قال لها وهو يعود ليستند بظهره على الكرسي مرة أخرى:

-يا صغيرتي.. هذه هي ضريبة أن يكون زوجك ضابط شرطة.

أيمكن أن أطلب منك طلبًا؟ (قالتها واليأس بادٍ على وجهها)

-بالتأكيد عزيزتي!

-انس, ولو ليوم واحد, كل شيء يتعلق بحياتك المهنية.. وكُن زوجي فقط.

نظر إليها قليلاً متعجبًا طلبها.. قبل أن يمسك بكلتا يديها ليقبلهما ويقول:

-حسنًا حبيبتي.. ليوم واحد فقط.

في تلك الأثناء, تناهى إلى سمعهما صوت فيروز يشدو بداخل إحدى السفن العابرة فوق سطح النيل، ولحظهما كانت أغنيتهما المفضلة "بكتب اسمك"، وكان هذا كفيلاً بأن يُذيب كل ثلوج العالم وخلافاته وقتها، فلقد شرع كلاهما في دندنة كلمات الأغنية معًا.

<<وبتقلي بتحبني ما بتعرف قديش.. مازالك بتحبني ليش دخلك ليش>>

*****

١٧- ديسمبر- ٢٠٠٦ (عصرًا)

وقف خالد أسفل سكن المغتربات يوجِّه الأسئلة كسهامٍ من نار إلى الفتيات الثلاث اللاتي رافقن الضحية قبل مقتلها:

-أين كنتن تجلسْنَ ليلة البارحة؟

تقدمت أكبرهن سنًا, والتي كان من الواضح أنها صاحبة الشخصية القيادية بينهن, وهي تبكي وقالت:

-في غرفتي.

سألها:

-وماذا كنتن فاعلات؟

-كُنا نثرثر ونضحك.. ونحكي الحكايات.. تلك الأمور التي تفعلها كل البنات.

سأل مرة أخرى:

-فقط؟ ألم يحدث أي شيءٍ بينكِ وبين الضحية.. خلافٌ أو ما شابه؟

لاحظ التوتر على وجهها.. كان يعرف أنه يحطم أعصابها بأسئلته المباشرة ولهجته تلك, لكن هذا هو عمله. قالت الفتاة وهي تحاول أن تجمع شتات نفسها:

-في الحقيقة لم يحصل أي شيء.. نعم نعم.. لم تحدث أية مشكلات من أي نوع.

نطقت فتاة أخرى من الاثنتين الواقفتين بجوارها:

-لقد تحديناها في لعبة.

اخترق الفتاة الأخرى بنظراته وسأل بشك:

-لعبة! لعبة من أي نوع؟

فأجابت الفتاة الأولى التي تحدث معها خالد في البداية:

-إنها أسطورة قديمة تتحدث عن ملكة اسمُها ماري، لم تستطع يومًا أن تكون أمًا.. دائمًا ما كانت تفقد جنينها في أشهر الحمل الأولى, ليس هناك شيء أكيد بشأن الأسطورة، يُقال إنها كانت ملكة, أو إنها كانت ساحرة, أو إنها كانت فتاة تعيش في أسرة بسيطة ودُفِنت حية.. ليس هناك شيء أكيد, لكن..

قاطعها خالد قائلاً:

-ماري!..قلتِ ماري؟

قالت بتعجب:

-نعم ماري!

أشار لها خالد بأن تتابع, فأكملت:

-هناك لعبة تتعلق بتلك الأسطورة؛ وهي أن يقف المرء أمام المرآة ثم يقوم بإشعال شمعتين ويبدأ بترديد نداء واحد ثلاث عشرة مرة بنغمة مُتصاعدة، وهو يقول: (يا ماري الدموية) ويمكن أن تصحب النداء عبارة أخرى لاستفزاز شبح ماري وهي (أنا قتلت أطفالك).. هناك احتمالاتٌ كثيرة لنتائج اللعبة.. الاحتمال الذي تأمله الفتيات جميعًا هو أن تظهر صورة شريك الحياة يقف بجوارها في المرآة، أما الاحتمالات الأخرى فكلها تقع في خانة الموت.

وقف خالد محدِّقًا في الفتاة غير مُصدق لما يسمع, إن ذلك يفسر كل شيء تقريبًا.. تكسر المرآة, واسم ماري, والاقتحام, كل شيء، لكن هذا سخف, إن هذا الكلام ضربٌ من الجنون! إن مجرد التفكير فيه يجعل منه ضابطًا أحمق، ويعرضه للفصل من العمل.

استطردت الفتاة:

-بالتأكيد أنا لا أقول إنها قامت بلعب اللعبة وإن شبح ماري هو من قتلها.. هذه سخافةٌ بكل تأكيد.

أبعد خالد نظره عن الفتاة ووجهه خالٍ من أي تعبير.. ثم ترك الفتيات الثلاث وصعد إلى السكن ركضًا فوق الدرج, حتى وصل إلى الغرفة التي قُتِلت بها الفتاة، والتي امتلأت بالكثير من رجال البحث الجنائي والعساكر. أزاح خالد كل من في طريقه حتى وصل أخيرًا إلى المرآة التي وُجِدت أمامها جثة الفتاة. جال ببصره ذات اليمين وذات الشمال، فلم يجد بجوار المرآة ما جاء ليبحث عن, لا وجود للشموع التي حكت عنها الفتيات الحمقاوات!

-كما توقعت, إن هذا هراء.

حدَّث بها نفسه وابتسامة ارتياح ترتسم فوق وجهه.. تحرَّك خطوة للخلف, فشعر بشيء يُدهَس تحت حذاءه.. وسمع صوت تَكَسُّر!

نظر نحو قدمه.. ورفعها عن الأرض لينكشف له الشيء الذي تحطم تحت وطأة حذاءه؛ كانت شمعة كبيرة قد تكسَّرت إلي نصفين، وبجوارها شمعة أخرى في نفس الحجم!

*****

(٤)

١٧- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً)

مرّ يومين على آخر مرة أبصرَتْ فيها الضوء، تجلس وحيدة، يخنقها الظلام من كل اتجاه في انتظار مصيرها المجهول، حسناء ذات خصلات ذهبية، وملامح نبيلة لا توحي أبدًا بحقيقة حياتها القاسية، لا تعرف كيف جاءت إلى هنا أو لمَ هي هنا, أو حتى ما هذا المكان؟ لا تذكر سوى خطواتها المتعثرة بينما هي عائدة من عملها بأحد الملاهي الليلية, لا تذكر سوى شخص يفتح باب سيارته لها, لا تذكر سوى رزمة النقود بيده بينما يهزها أمام عينيها, لا تذكر سوى اندفاعها إلى داخل سيارته, ثم ظلام.. ظلامٌ دائم.. ظلامٌ جعلها تنسى معنى الأشكال والألوان.

كانت عاهرة.. عاهرة تحب العهر ولم تُجبَر عليه، لكنها لم تتوقع يومًا أن يكون ذاك هو مصيرها.. هل هذه هي النهاية؟ هل ستترك هنا حتى تموت من الجوع والبرد والخوف، لتتعفن جثتها فتلتهمها الفئران؟

السؤال الأهم بالنسبة لها كان عن الفائدة التي سيجنيها ذلك المختطف من اختطافها ووضعها هنا؟

فجأة.. سمعت صوت أحدهم, صوتًا يأتي من خارج المكان الذي تجلس فيه.. هناك شخصٌ قادمٌ نحوها.. يبدو أنها على وشك الحصول على إجابات لكل تساؤلاتها.

انفتح باب المكان الذي تجلس به.. ليتسلل إليها الضوء أخيرًا.. شعرت بحرقة في عينيها، وأصبحت رؤيتها مشوشة، ضيَّقت عينيها وركزت نظرها نحو الجسد الذي يقترب نحوها، لتتضح الرؤية أخيرًا؛ كان رجلاً قوي البنيان، وقور

الهيئة.. يقترب نحوها مبتسمًا بطرف فمه, بينما يحمل في إحدى يديه سكينًا حادًا، وفي اليد الأخرى مقصًا عملاقًا لامعًا.

في تلك اللحظة، فقدت الوعي.. كانت قد وصلت إلى أقصى مدى للتحمل، فقدت الوعي ولم تشعر به, بينما يطعنها في مؤخرة رأسها، قبل أن يقوم بانتزاع شعرها الذهبي من داخل لحم جمجمتها.

*****

١٨- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ظهرًا) (منزل أسرة السيد عمر)

وقف أمام منزل السيد (عمر) الذي يقطن بحي المرج في تردد، وراح يسأل نفسه:

هل سيكون مُرحَّبًا به في ذلك المنزل الحزين أم لا؟ إنَّ وضع تلك الأسرة صعب، ويخاف أن يكون ضيفًا ثقيلاً وغير مُرحَّبٍ به.

نحن نتكلم عن أب وأم فقدا ولدهما الصغير في حادث مرعب وغامض.. بالتأكيد لن يرحبوا به الآن، أو في أي وقت آخر.. لكنه يحتاج إلى مقابلة الأم أو الأب، يحتاج إلى معرفة المزيد من المعلومات.

يقرر أخذ خطواته الأولى نحو شقَّة الأسرة بالطابق الثاني، يصعد درجات البناية، ثم يطرق الباب.

سمعت الأم العجوز صوت طرقات باب الشقّة.. فذهبت لترى من الطارق، فتحت الباب, فانكشف لها وجه شاب في عقده الرابع, يبتسم ابتسامة خفيفة ويلقى التحية بود:

-السلام عليكم يا حاجة.. أتمنى ألا أكون قد حضرت في وقت غير مناسب.. هل الأستاذ عمر موجود الآن؟

قالت الأم العجوز:

-عليكم السلام يا بني.. لا والله لقد ذهب إلي العمل.

-هل حضرتكِ والدته؟ (سأل بود)

-لا يابني, أنا أم عُلا زوجته (أجابت)

شعر بالحرج وابتلع ريقه، ثم حاول أن يتابع الحوار:

-عذرًا يا أمي.. ألا تعرفين متى يعود؟ فأنا أحتاج أن أتحدث معه في أمرٍ يخص (تنحنح قبل أن يُكمل) أمرٍ يخص قضية حفيد حضرتك, أرجو ألا أكونَ قد ضايقتك يا حاجة.

-لا يا بني أبدًا، ليس هناك مشكلة, أم أيمن فقط.. أعني ابنتي فقط هي المُتواجدة حاليًا.. لكنها في حال سيئة جدًا, لكن يمكنك أن تقابلها على ما أعتقد.

قالت في حزن أبرزته تجاعيدها التي خطها الزمن فوق وجهها, فقال الشاب:

-أنا آسف جدًا..

فقالت محاولة أن تمنع دمعة كادت تنحدر فوق تضاريس وجهها العتيق:

-لا داعي للأسف يا بني.. هل تريد مني أن أخبر علا بشيء؟ أسمح لي يا بني أن أعرف من أنت أولاً؟

ردَ:

-قولي لها إن الرائد خالد الشاذلي يريد أن يسألكِ عن شيء.

*****

١٨- ديسمبر- ٢٠٠٦ (فجرًا)

عربات الشرطة تملأ أحد الشوارع الجانبية بمصر الجديدة.. حالةٌ من الذعر تجتاح الأهالي, صوتُ دوي عربة الإسعاف والشرطة لم يدع الفرصة لأحد كي يهنأ بنومه.. وسط كل ذلك يقف طارق يتفحص بعينيه الجثة المُلقاة على الأرض في اشمئزاز، بينما يتساءل في قرارة نفسه عن ذلك الوغد الذي قام بطعنها في رقبتها بذلك الشكل، ثم قام بقزع شعرها بآلة حادة، لقد تمَّ انتزاع الشعر من رأس الضحية بطريقة وحشية، فالدماء تغرق رأس الجثة ووجهها بالكامل, كما انتشرت بالرأس من أعلى الهديد من الجروح الغائرة.

جثا طارق على ركبتيه بجوار الجثة، وقد راح يدقق النظر في الجروح التي تغطي الرأس، لكنه صُدم عندما اكتشف, بعد تدقيق عميق, أنَّ الجروح في رأس الجثة تُشكِّل كلمةً ما!

*****

١٨- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ظهرًا) (منزل عائلة السيد عمر)

جمعت الأم "عُلا" شتات نفسها قبل أن تخرج لمقابلة الرائد خالد, في حين جلست الأم العجوز في الخارج بصحبة خالد:

-أهلاً بحضرتك.

انتفض خالد قائمًا من مكانه حينما حلَّت عليهما علا من داخل الغرفة:

-أهلاً مدام عُلا. (قال خالد)

-خير, هل من خدمة أقدمها لحضرتك؟ (سألت علا بينما تجلس بجوار أمها العجوز، فأسرع خالد يقول)

-خير إن شاء الله, في الواقع أنا أعرف كم الحزن الذي تعيشين فيه مُنذ أن فقدتِ ابنكِ, وترددت كثيرًا قبل أن آتي إلى هنا, لكنني..

قاطعته عُلا:

-لا داعي للأسف يا سيادة الرائد, إن كُنتَ تريد مني أية معلومة.. فسأكون عونًا لك في أي شيء قد يقرِّبك من معرفة ما حدث لولدي.

كانت تقاوم حتى تمنع نفسها من الانهيار أو البكاء:

-حسنًا.. هل كان لابنك أصدقاء مقرَّبون أو أشخاص يحكي لهم ويحكون له ويحفظون سره؟

قالت بأسىٍ بالغ:

-لم يكن له أصدقاء, كان وحيدًا ومُنطويًا, لا يعرف أحد ولا يعرفه أحد.. يسخر منه الأطفال في المدرسة والنادي كل يوم, فيعود باكيًا ليحكي لي, كنتُ أنصحه دائمًا بأن يكتب. لطالما آمنت بأن الكتابة خير وسيلة للتخلص من كل مشاكل المرء ومخاوفه, كنت أخبره دومًا أنَّ القلم هو خير صديق له. وأحضرت له دفتر مذكرات صغير في عيد مولده العاشر ليُدوِّن ما يريد من أحداث يومه.. لقد ارتبط بذلك الدفتر حتى أصبح يبوح له بكل أسراره, حتى أنَّه لم يعد يبوح لي كما في السابق, وهذا كان يضطرني في بعض الأحيان إلى اقتحام خصوصياته وفتح الدفتر لمعرفة أحوال صغيري.

كانت تتحدث إليه, بينما تنحدر الدموع فوق خديها الواحدة تلو الأخرى:

-هل يمكنني الاطلاع على تلك المذكرات؟ (سألها خالد)

-بالتأكيد يا سيادة الرائد.. لحظة واحدة.

قامت من مجلسها بينما تزيح بعض العَبارات عن وجهها، ودلفت إلي الغرفة

لتعود بعد ثوانٍ قليلة حاملة في يديها دفترًا صغيرًا كما كان صاحبه.. مُزدانًا بالملصقات التي يحب الأطفال وضعها فوق أي شيء, ملصقات مختلفة الشكل لتوم وجيري وسلاحف النينجا وغيرها, بالإضافة إلى قلم صغير يبدو أنه خاص بالدفتر. ناولت علا الدفتر لخالد قائلةً:

-كان هذا الدفتر صديقه الوحيد.

أمسك خالد الدفتر وراح يُقلِّب صفحاته ويتفحصها سريعًا.

كان الدفتر الصغير مليئًا بالعديد من الملاحظات والتواريخ، بالإضافة إلى بعض العلامات والجداول والرموز الغريبة التي لم يفهم منها شيئًا! ففي أحد الصفحات وجد بعض الخطوط والنقاط المتجاورة, وقد كُتِب فوقها بخطوط مرتعشة (شيفرة موريس)[1]، قلب خالد الصفحة التي بعدها, ليجد ورقة قد رُسِم فيها جدول من تسع خانات, وقد وُضِع داخل خاناته التسع العديد من الحروف والأرقام بترتيب غير مفهوم، وقد كُتب فوق هذا الجدول(الشيفرة المربعة).

أبدى خالد تعجبه من كل هذا:

-شفرة موريس!.. الشفرة المربعة! رموز وملحوظات! يبدو لي كدفتر عميل سري، وليس طفل!

شعر خالد وقتها أنَّ سخريته تلك ليست في وقتها أو محلها، فابتلع ريقة وصمت، وكذلك فعلت الأم، ابتلعت سخريته تلك وقالت:

(١) شفرة مورس: هي شفرة كانت تستخدم في الحروب لإرسال المعلومات التلغرافية والاستغاثات، باستخدام نقاط وخطوط تعبر عن الحروف والارقام والعلامات والحروف الموجودة في الرسالة. من الممكن أن يتم تكوينها عن طريق صوت أو علامات، ويستخدمها الكشافة والجوالة للتواصل فيما بينهم في رحلات الخلاء.

-كان أيمن عضوًا في فرقة الكشافة بأحد النوادي؛ فلقد أرسلناه إلى هناك حتى يخرج من انطوائه ويتعرُّف على بعض الأصدقاء، وكل ما يوجد هنا هي أشياء لها علاقة بمجال الكشافة.

-حسنًا لقد فهمت.

قالها ثم تابع التقليب في الدفتر, ليفتح آخر صفحة فيه، وشرع يقرأ آخر ما كُتِب.. كان الخط سيئًا جدًا كما ينبغي لخط طفل في العاشرة أن يكون, وكانت الجمل صغيرة ذات تركيبات بسيطة.

٢٠٠٦/١٢/١٢

إلى صديقي دفتر المذكرات

اليوم تحداني الأولاد في المدرسة أن ألعب لعبة غريبة ومخيفة

وعندما قولت لن ألعب.. سخر الجميع مني... وضايقوني.. أنا حزين.. حزين جدًا

تعرف صديقي دفتر المذكرات؟.. سألعب هذه اللعبه.. وسأثبت للجميع أنهم حمقى وأنني فتى شجاع.. سأستيقظ بعد منتصف الليل عندما ينام أبي وأمي

لكن الآن وقت النوم.. تصبح على خير دفتر مذكراتي.

انتهى خالد من القراءة قبل أن يقول للأم:

-من الجميل جدًا أن تكون الكتابة من اهتمامات طفل في الثانية عشر, رغم الأخطاء اللغوية والنحوية الكثيفة في النص.

كانت عُلا "الأم" قد فقدت أخيرًا قدرتها على التماسك, وراحت الدموع تفيض منها كالشلال.

قرر خالد أخيرًا أن يُخرج قطعة ورق كان قد قصها من الجريدة تحوي الخبر الذي كتبه الصحفي "إبراهيم مراد" بخصوص اختفاء الصغير, ثم وضعها أمام أعين الأم وقال:

-أريد أن أعرف أكثر عن حكاية هذه اللعبة التي تحدثتِ عنها أنتِ وزوجك في هذا الخبر.

ظهر تعجب الأم من سؤاله وسط دموعها, لكنها أجابت:

-نعم, أخبرني أنَّ الأولاد في الكشافة تحدُّوه أن يقوم بلعبة ذات طقوس مُخيفة, كأن يقف ليلاً أمام المرآة وحيدًا مع شمعتين, وينادي اسمًا ما ثلاث عشرة مرة!

-ماري الدموية.

خرجت من خالد بشكلٍ تلقائي، فتعجبت الأم من رد فعل خالد:

-نعم, ماري الدموية, آسفة فأنا لا أذكر الاسم جيدًا.

ردَّ خالد بلهجة حاول أن يجعلها رسمية بقدر الإمكان, رغم التوتر الذي بدا عليه:

-لكن عندى سؤال آخر.. هل لعب الصغير اللعبة فعلاً؟ (سأل)

-نعم, لقد لعبها.. هذا ما حكاه لي ليلتها, عندما استيقظت على صوت صراخه في المرة الأولي.. قبل أن ...

غرقت في البكاء مجددًا قبل أن تنهي كلامها، فاحتضنتها الأم العجوز وراحت تربت على ظهرها بحنان، يدرك خالد معنى أن يفقد المرء عزيزًا على قلبه، لكن إن استمر الوضع على تلك الحال, فقد تموت المرأة كمدًا.. يبدو أن تلك هي الفاجعة الأولى في حياة تلك المرأة، وإن كان محقًا, فهي قوية حقًا

لتتماسك دون أن تُصاب بالشلل أو بجلطة.

نهض خالد من مجلسه قائلاً:

-شكرًا سيدتي.. وآسفٌ على الإزعاج, سوف أذهب الآن, لكن أتسمحي لي بأخذ دفتر المذكرات هذا معي؟

قالت من بين دموعها:

-حسنًا, لكن عدني أن تُعيده لي مجددًا.

-حسنًا, أعدك سيدتي.

قادته الأم العجوز إلى الخارج, فغادر المنزل وعقله مُنشغلٌ بإيجاد إجابات لعلامات الاستفهام الضخمة التي راحت تدور حول رأسه، فجميع الإجابات التي حصل عليها حتى الآن تدفعه دفعًا نحو حافة الجنون.

*****

١٨- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ٨م_ (منزل الصحفي إبراهيم مراد)

رنّ الهاتف النقال الخاص بالصحفي إبراهيم مراد ليُحدِث جلبةً تُصَم لها الآذان، فسارع إبراهيم بالرد:

-ألو.

=(صمت)

-ألو؟!

=مرحبًا أستاذ إبراهيم.

-مَن المُتصل؟

=لن يُهمك معرفة شخصي في الوقت الحالي.. بل معرفة ما اتصلت بك لأجله.

-وما هو؟

=حسنًا.. أنصتْ جيدًا.

*****

(٥)

١٨- ديسمبر-٢٠٠٦ (ليلاً)

تُشير عقارب الساعة إلى الثانية عشرة صباحًا، مُنتصف الليل. حيث بدأت تتعالى أصوات نباح الكلاب في الشوارع والأزقة معلنًا بذلك فرض سيطرتها على عالم الليل.. تُغلق كل المَحال أبوابها.. فيغرق الشارع في السكون, عمارة هادئة, شقة يغزوها الصمت, صوتُ خطواتٍ لشخص يمشي في تؤدة, صوتُ خطواتٍ يتجه صاحبها نحو الحمام, صوتُ خطواتٍ لشخص يحمل في يده اليسرى شمعتين.

صوت إغلاق مقبس الكهرباء, يعمُّ الظلام الشقّة.. يتابع صاحب الخطوات الهادئة السير نحو وجهته.. يدلُف إلى داخل الحمام ببطء, يقف صاحب الخطوات أخيرًا أمام مرآة الحمام, يُخرج من جيب سترته قداحة صغيرة ليشعل بواسطتها الشمعتين في يده, ثم يبدأ في تثبيت الاثنتين الواحدة تلو الأخرى على جانبي المرآة.. فيتبدد الظلام من حوله تمامًا، ينعكس ضوء الشمعتين فوق ملامح وجهه، فتعكس المرآة صورته بدورها، لتتبدى لنا الملامح الثلاثينية لرجل بالغ ذي بشرة سمراء، ألا يبدو لك ذلك الوجه مألوفًا؟

يضع الرجل يده اليمنى داخل غياهب جيبه.. ليُخرج ورقة صغيرة مطوية, يفض الورقة ثم يشرع في قراءة ما كُتِبَ فيها, تتحرك شفتيه في تردد, تتحول كلماته إلى مطرقة تحطم السكون من حوله, يردد عبارة واحدة بنغمة مُتصاعدة, يرددها بلا توقف, يرددها مرة واثنتين وعشرة... وثلاث عشرة مرة، لكنه في المرة الأخيرة يختمها مصحوبة بعبارة أخرى:

-يا ماري الدموية.. أنا قتلتُ أطفالك.

صمت.. ظلام.. ودقات قلبه الذي يوشك على التوقف.

-وماذا الآن؟!

نطقها بصعوبة شاعرًا بالخوف يعتصر حنجرته, نطقها لكنه لم يسمعها, لقد ضلت كلماته طريقها في الظلام نحو أذنه.

يتراقص لهب الشمعتين في جنون.. الحائط يتشقق من خلف المرآة, الدماء تنزُ من تلك الشقوق وكأن الحائط ينزف!

يقف ثابتًا بلا حراك أمام كل هذا عاجزًا عن الهرب.. شلل مفاجئ أصاب أطرافه، وشيءٌ ما يُحكم تثبيت قدميه في الأرض، عينان بيضاوان يرى انعكاسهما في المرآة، هناك شيءٌ ما يقف خلفه مباشرًا، إن العينين تحدقان فيه بثباتٍ مرعب!

تحطَّم نصف المرآة الذي تنعكس عليه العينان, بينما كُتِب بشكل تلقائي على النصف السليم من المرآة.

(لقد حضرت ماري الدموية... لقد حضر الموت)

تبدَّد الظلام من حول العينين البيضاوين, لتظهر ملامح مُشوَّهة لسيدة ذات شعر مُشَعَّثٌ تقبض بيديها المخلبيتين على رقبته لتخنقه, فبدأ يصرخ, يصرخ كما لم يصرخ من قبل.

لكن صوت صراخه اختلط بصوتٍ آخر.. صوتٍ أشبه بصوت طيور غاضبة.

*****

لطالما كان خالد حانقًا على صوت ذلك الجرس المُزعج الذي يشبه أصوات طيور غاضبة تمزق بعضه بعضًا, فبمجرد أن يضغط أحدهم على الزر السخيف في الخارج ليعلن عن قدومه, تتردد تلك (الصوصوة) المزعجة في

كل أركان الشقة لتُفقده التحكم في أعصابه, ولكن, وللمرة الأولى, يشعر بسعادة غامرة عند سماعه هذا الصوت؛ فلقد أنقذه من كابوس فظيع كادت فيه أرواح المرآة الغاضبة أن تحصد روحه، يتساءل في قرارة نفسه: هل وصل بيّ الأمر إلى أن أحلم بطقوس تلك اللعبة؟ إنّ عقلي الباطن يلعب معي لعبة في غاية القذارة.

يعود صوت (الصوصوة) المُزعج ليتردد مجددًا داخل الشقة, فيفيق خالد من أفكاره ويقوم من السرير حتى يخرج لفتح الباب.

فتح باب شقته لينكشف له وجه يعرفه جيدًا.

-طارق!

قالها خالد متعجبًا قبل أن يردف متسائلاً:

-ما الذي أتى بك؟

تعجّب طارق من السؤال:

-ما الذي أتى بي! جئت لأسأل عنك! هل يعتبوهذا جويمة؟.. فأنا لم أوكَ اليوم, وعندما سألت عنك, قالوا لي إنك في إجازة, وحسب معوفتي بك, فإنك لا تأخذ إجازة إلا لسببين؛ الأول هو أنك مويض, والثاني هو أنك تبحث عن شيء ما, وفي الحالتين كان عليّ أن أزووك, كما أنك لا تود على هاتفك النقال كعادتك.. لا أعوف ما الفائدة من حملك إياه إذًا؟

-الهاتف في وضعية الصموت.. أحب الحصول على بعض الخصوصية والهدوء.

قالها خالد قبل أن ينتبه إلى كونهما لا يزالان واقفين على الباب, فقال بتوتر:

-أنا آسف؛ فأنا مُتوتر قليلاً, تفضّلْ بالدخول لنتحدث بالداخل.

دخل طارق إلى شقة خالد يلتفت يمينًا ويسارًا، ويجول بعينيه فوق كل شبر في الشقة، قبل أن يجلس فوق أحد كراسي الأنترية المهترئ بفعل الزمن والإهمال قائلاً:

-لا زالت شقتك كما هي منذ عوفتك, لم يتغيو فيها شيء, لا زالت الفوضى تجتاح أوجاء المكان, شقة وجل أعزب بكل معنى الكلمة كما وصفها العباقوة والكُتّاب على موّ السنين في مقالاتهم وكتبهم.. شقة خالية من أية لمسة أنثوية.

جلس خالد في الكرسي المقابل للأريكة قائلاً:

-دعك من هذا الهُراء.. أنا مُستيقظ لتوي ولست على استعداد لابتلاع مزاحك السخيف.

-أنا لا أمزح, دعني أسأل وأجبني بصدق.. ألم تفكو في الزواج يومًا؟ (سأل طارق)

-كنت مُتزوجًا يومًا ما قبل أن تعرفني. (أجاب خالد)

تعجّب طارق وسأل بفضول:

-و أين ذهبت؟

-مريم.

غمغم بها خالد وهو سارح, قبل أن يقول في عصبية:

-دعنا لا نتكلم في هذا مُجددًا.

قال طارق:

-حسنًا يا صديقي لا تكن عصبيًا, أخبوني إذًا لماذا لم تحضو اليوم؟(سأل

طارق)

-كنت في منزل أسرة عمر, الرجل الذي أحقق في قضية قتل واختفاء جثة ابنه. (أجابه خالد)

-لماذا؟ هل هناك ما هو جديد؟

-لا, فقد كنت أبحث هناك عن الرابط بين قضية الطفل وقضية الفتاة المُغتربة.

-وهل وجدت ذلك الوابط؟

-نعم.. أو ربما لا, لا أعرف (زفر خالد قبل أن يتابع).. أشعر أنني سأُجن.

فتعجَّب طارق أكثر من حال صديقه واستمر في طرح الأسئلة:

-لماذا؟ ماذا عوفت؟

-قل لي أولاً.. ماذا وراءك؟ (سأل خالد)

-ووائي جويمة جديدة. (ردّ طارق)

اتسعت عين خالد عن آخرها:

-متى حدثت؟

أجاب طارق بلهجة تقريرية:

-في الصباح, في تمام الساعة الخامسة فجوًا تلقينا اتصالاً يفيد العثوو على جثة لفتاة شابة مقتولة في شاوع (-------) بمصو الجديدة, وعند ذهابي بوفقة فوقة من وجالنا, وبمجرد وصولنا, وجدنا الجثة مُلقاة في الشاوع وقد التَّفَ حولها السكان. قمنا بفض الزحام وإبعاد الناس وإغلاق مخاوج ومداخل

الشاوع, قُمنا بالتحويات اللأزمة عنها وتعوفنا على هوية صاحبة الجثة. الجثة لفتاة تعمل في أحد الملاهي الليلية, ويُقال إنها عاهوة وتُدعى (ليلى)، وقد اختفت الفتاة منذ أكثو من يومين, وتم العثوو عليها اليوم كجثة هامدة.. وقد تم حلاقة شعوها وجزء من وأسها، و من ثَمّ عمل بعض الجووح في وأسها وطعنها في مؤخوة وأسها بالسكين.

كان من الصعب على خالد استيعاب ذلك الكم من الـ(واو) في لغة طارق دفعة واحدة, لكنه تقمّص دور من فهم كل حرف وقال:

-هذا فظيع, لكن لا أعتقد أنّ له علاقة بالقضية التي أعمل عليها.

قال طارق:

-لا تتسوع في الحكم؛ ففي أثناء فحصي للجثة لاحظت أنّ الجووح في وأس الجثة ليست مجود جووح عشوائية, فلو أنك نظوت بتمعن ستكتشف أنها تقوم بتكوين جملةٍ ما.

-جملة؟!

أخرج طارق من جيب سترته صورة وناولها إلى خالد قائلاً:

-بعد أن قمنا بتنظيف وأس الجثة من الدماء, ظهوت لنا تلك الكلمة التي تُكوِّنها الجووح على وأس الضحية بوضوح.

تناول خالد الصورة وتفحصها بنظراته غير مصدق، كانت الصورة لرأس أصلع ومشوه بجروح تكوِّن كلمات, بل جملة من خمس كلمات.

(هذا الشعر الذهبي لأجل ماري)

*****

٢١- ديسمبر٢٠٠٠ (ليلاً)

جلس بجوارها على سرير المستشفى, وهو ينظر إليها نظراتٍ تجمع بين الخوف والحب، راح يتأمل وجهها الشاحب من أثر المرض وشَعرها الأشقر وعيونها الزرقاء قبل أن يقول:

-بماذا تشعرين الآن؟

ابتسمت بوهن:

-نشكر الرب.

أمسك بيدها محاولاً طمئنتها:

-لا تخافي يا حبيبتي، سيكون كل شيء على ما يُرام.

قالت له وهي تبتسم ابتسامة باهتة:

-أنا لست خائفة، ألست بجانبي؟

رد عليها وهو يمرر أصابع يده فوق شعرها الذهبي:

-لن أتركِكِ أبدًا.

اتسعت ابتسامتها وقالت:

-أتعرف لماذا أحببتك؟

-لماذا؟

سألها بلهفة فأجابت:

-لأنك تهتم بحيوات الناس وتحافظ عليها، عدني أن تحافظ على حيوات الناس في كل وقت وزمان، حتى لو لم أكن هنا.

انفعل من أثر كلامها وقال:

-لا تكرري هكذا حديث مجددًا، أعدك أنني سأحافظ على حياتكِ في المقام الأول، وحيوات كل الناس.

ابتسمت وقالت:

-أنا واثقةٌ في ذلك.

*****

١٨- ديسمبر-٢٠٠٦ (ليلاً)٩:٣٠م

أزاح خالد صورة رأس جثة الفتاة جانبًا وهو يقول:

-لقد اختلف أسلوب القتل هذه المرة عن المرتين السابقتين تمامًا, لكن القاتل واحد.. والخيط الذي كان يصل الأحداث ببعضها قد تمزق.

تسأل طارق:

-خيط؟! أي خيط؟

أجاب خالد:

-سأخبرك.. خلال استجوابي للفتيات في سكن المُغتربات وحديثي مع والدة الطفل الذي اختفت جثته, عرفت بوجود عامل مُشترك بين الضحيتين, لقد لعب كلاهما (الطفل والفتاة) لعبة واحدة قبل أن يموتا.. لعبة قد تكون سبب موتهما.

-لعبة! أية لعبة؟ (سأل طارق)

-Bloody Mary.(أجاب خالد)

-ماذا؟

أراح جسده داخل كرسي الأنترية وتكلم:

-Bloody Mary.. أو ماري الدموية.. لعبة معروفة على المستوى العالمي.. يمارسها الأطفال والمراهقين في الغرب.. كتحدٍ لأنفسهم ومخاوفهم.. وكتحدٍ لبعضهم بعضًا, ولتلك اللعبة قواعد وشروط ونتائج أيضًا.

ظنَّ طارق في البداية أنَّ في الأمر مزحة, لكن ملامح خالد الجادة لم تكن تشي بأنه يمزح, فقال طارق متعجبًا:

-بحق كل ما هو عقلاني في هذا العالم.. ما الذي تقوله الآن؟ أتويدنا أن نقول إنَّ هؤلاء القتلى واحوا ضحايا خساوة لعبة شيطانية!

أسرع خالد يقول:

-أنا لم أقل هذا يا طارق.

-هذا هو التفسيو الوحيد لما تقول.

كاد طارق يشد شعره من كلام خالد, فنظر خالد إلى وجه طارق المحمر وهو يكتم ضحكة كادت تخرج منه.. ثم قال:

-في الواقع أجل, هذا ما كنت سأقول.

تتسع عين طارق ويمسك نفسه عن القيام من مكانه وصفع خالد على وجهه فيستطرد خالد:

-تمهل لحظة وانظر معي هنا.

دخل خالد إلى غرفة النوم ثم عاد حاملاً جهاز لأب توب ماركة (hp) ووضعه على الطاولة, وبدأ في البحث على شبكة الإنترنت عن كلمة (Bloody

Mary).. فجاءت نتائج البحث شحيحة جدًا[1].. فأدار خالد الشاشة في وجه طارق قائلاً:

-انظر مثلاً هنا.

قام بالضغط على أحد المنتديات الإنجليزية التي ظهرت له مُستعملاً مؤشر الفارة ثم تابع:

-يتحدث هذا الموضوع عن كيفية لعب تلك اللعبة وعن أصلها وكونها من أهم وأكثر الأساطير الشعبية رعبًا في الغرب.. الأسطورة تحكي عن المرأة الشريرة التي تستطيع استدعائها عند قول " ماري الدموية " ثلاثة عشر مرة بنغمة متصاعدة في غرفة مظلمة تحت نور الشموع بينما عينيك معلقتان بالمرآة.. بعد إجراء الخطوات الموضحة المرأة الشريرة سوف تظهر في المرآة لتقتلع عينيك.. وقد يتم سحبك إلى المرآة.. من هي ماري الدموية الحقيقية.. يقول ذلك البحث على شبكة الإنترنت إنّ هويتها الحقيقية تبقى لُغزًا وهناك العديد من البحوث والدراسات عن أصل الأسطورة.. لكن القصة الأكثر إنتشارًا بين الناس هي عن فتاة تُدعى "ماري وورث" تشوه وجهها في حادث سيارة، وهناك قصة أخريعن ساحرة أُحرِقَت على خشبة ثم عادت للإنتقام ... أو قد يكون الشيطان هو نفسه الذي يأتي لأجل إختطاف روحك متنكرًا في زي ماري الدموية.. ويقول المؤمنين بالأسطورة من العرب إنَّ تلك الطقوس ليست سوى طقوس لفتح بوابة العالم الآخر عن طريق المرآة.. وأن ماري الدموية ليست سوى جني.

---

(١) في عام ٢٠٠٦ لم تكن المواقع والمنتديات التي تتحدث عن الماورائيات كثيرة.. بل لم يكن لها تواجد في المحتوى العربي

خرج خالد من ذلك المنتدي قبل أن يقوم بفتح منتدى جديد ليكمل:

-بعيداً عن الخُرافات والأساطير يخبرنا التاريخ بأن المرأة الوحيدة التي عُرفت واشتهرت باسم "ماري الدموية" هي "ماري تيودور"ابنة الملك "هنري الثامن" وزوجته الأولى "كاترين الأرجوانية"، ولدت عام ١٥١٤م، واعتلت العرش عام ١٥٥٣م تحت اسم الملكة "ماري الأولى" وذلك بعد موت شقيقها الأصغر الملك "إدوارد السادس"..كانت حياتها عبارة عن عدد من حالات الإجهاض والتكهنات حول كون الإجهاض مُتعمَّدًا.. كمًا اشتهر عصرها بالمذابح, وكان هذا هو السبب في إطلاق اسم ماري الدموية عليها.

توقَّف خالد عن الكلام ثم تنهد تنهيدة طويلة، وساد الصمت هنية قبل أن ينطق طارق:

-يبدو أنك قد قضيت اليوم بطوله تقوأ عن هذا الأمو, وكأنك مؤمنٌ فعلاً بأنَّ ما نواجهه الآن هو ساحوة من العصوو الوسطي عادت لتصب جام غضبها علينا.

قال خالد:

-نعم.. فقبل مجيئك الآن كانت كل الإشاراتتقول (إنه شيء فوق الطبيعة).. الشموع.. اللعبة.. المرآة.. الكلمات.. كل شيء كان يقول بأن ما نواجهه هو شبح مرآة غاضب.. كانت كل الاحتمالات مُمكنة.. فكان عليّ البحث في كل شيء وعن كل شيء، أما الآن..

أخذ خالد نفسًا عميقًا ثم استطرد:

-.. أما الآن..فلقد اختلفت الأمور.. اختلفت طريقة القتل.. اختلف الأسلوب.. اختلف كل شيء.. ولم يتبقي سوى كلمة واحدة تربط الجرائم الثلاث ببعضها

البعض.

رفع اصبعه السبابه في وجه طارق قبل أن يردف:

-مـــاري.

*****

٢٣- ديسمبر٢٠٠٠ (ليلاً) ٠٠:١ص

فتحت عينيها ببطء شديد لتستقبل الضوء.. لكن عوضًا عن ذلك لم تبصر سوى الظلام..ظلام حالك ليس له مثل .. تساءلت في قرارة نفسها عن ماهية المكان الذي تتواجد به، وحاولت النهوض من مكانها لكن شيء ما يكتف حركتها.. إنها عاجزة عن تحريك أيًا من أطرافها.. حاولت ادخال بعض الهواء إلى رئتيها..لكن شيءًماحال بينها وبين الهواء، شيء يلف وجهها وجسدها بالكامل ليعتصرها كأفعى أناكوندا تعتصر ضحيتها قبل أن تبتلعها دفعة واحدة.. هنا تذكرت كل شيء.. تذكرت ما حدث خلال الأيام الأخيرة، فأدركت أين هي الآن.. وارتعدت كل خلية في جسدها من شدة الهلع.. حاولت الصراخ لكنها لم تستطيع، الجفاف يكاد يمزق حلقها، وهي عاجزة عن إخراج اي صوت.. حاولت مرة واثنتين وثلاثة..لكن محاولاتها تزيد حلقها ألمًا فوق الألم.. إنها تختنق.. لا تستطيع التحمل.. و بأخر ما لدى حنجرتها من صوت استطاعت أخيرًا أن تصرخ:

-النجدة!!

*****

(٦)

١٩- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة١٠:٠٠م

إنها معركة الظلام الأبدية.. حيث الصراع بين السكون والحركة.. بين الصوت والصمت.. عويل الذئاب يتردد في أرجاء الصحراء.. الصمت يقاوم في ثبات.. ثم يبدأ في استعادة السيطرة.. وقبل أن يستعيد الصمت السيطرة.. يعوي ذئب أخر.. فيتراجع الصمت مجددًا.

مرحبًا بك ف الطريق الصحراوي.. أحد أكثر الأماكن التي دارت حولها العديد من الأساطير والحكايات المرعبة, وأرى أنَّ هذا شديد المنطقية؛ فكم من دماء لأشخاص فقدوا حياتهم قد سالت على جوانب هذا الطريق، حوادث طرق.. لصوص وقَتَلة, والنتيجة.. الكثير والكثير من الضحايا وأشباحهم.

دعنا نبتعد قليلاً.. نتحسس طريقنا عبر الظلام.. نتعمق رويدًا رويدًا في الصحراء.. لندع أرجعلنا تغُص في الرمال.. هناك.. بعيدًا عن الطريق الأسفلتي الممهد.. في عمق الصحراء.. بالقرب من الكيلو ***.. هل رأيت ذلك؟.. ذلك المنزل الصغير المُظلم القابع وسط الرمال.

أسمعك تخبرني بأنه من المستحيل على أي بشري أن يكون حيًا بداخله.. تقول إنه ليس سوى استراحة للأشباح, حسنًا دعنا نجرب اقتحام ذلك المنزل ولنرى.. لا تكن جبانًا.. هات يدك وتعال.. سوف نجرب دفع باب المنزل.. اترى؟.. انه مفتوح!.. دعنا إذًا نأخذ خمس خطوات بالداخل.. هل رأيت؟.. لم يحدث شيء.. لكن لحظة.. أسمعت ذاك الصوت؟.. انه قادم من الأعلى.. هيا لا تكن جبانًا.. لنستجمع شجاعتنا ولنصعد معًا.. أرأيت؟.. لقد صعدنا حتى الآن سبع درجات ولم يحدث شيء.. تقول بأن المكان مخيف؟.. لا عليك، فتمسك بيدي.. درجة ثم الأخرى، نحن نقترب من الوصول، درجات أخرى

بعد.. وها قد وصلنا.. الآن نحن نقف أمام باب غرفة في الطابق العلوي.. من هنا يأتي الصوت.. هيا لا تخف.. فلنفتح الباب بهدوء.. أترى معي؟.. يوجد شخص واقف بالداخل.. الزم الصمت حتى لا يشعر بوجودنا.. لكن لحظة.. ما هذا الجسد المُسجي على السرير المعدني أمامه.. يبدو كجسد لفتاة في العشرينات.. لكن ماذا يفعل جسد فتاة على سرير مستشفى معدني بمنزل مهجور في الصحراء!.. ولماذا ألقيت جثة الفتاة فوق السرير على بطنها!.. لقد تم دفن وجه الفتاة داخل الوسادة حتى أصبحت أشك في كونها حية من الأساس.. لماذا يمسك الرجل الواقف بمشرط طبي في يده!.. ولماذا يقوم بعمل جرح كبير في مؤخرة رأس الفتاة؟.. أترى معي؟.. أنه يقوم بفصل فروة الرأس والعضلات عن جمجمة الفتاة.. يا رحمن!.. لقد بَرَزت عِظام جمجمة الفتاة.. انتظر.. لا تتركني وحيدًا هنا وتلوذ بالفرار.. لقد جئت معي بإرادتك إلى هنا.. وستبقى معي إلى النهاية.

أنظر معي كيف يقوم ذلك الرجل بعمل ثقوب صغيرة بالجمجمة.. ثمّ يقوم باستخدام منشار خاص ودقيق لنشر عظام الجمجمة من خلال هذه الثقوب.. أليس من الرائع أن تسنح لك الفرصة لمشاهدة عملية جراحية تٌجرى بالمخ؟.. لقد كام بعمل فتحة كبيرة في الجمجمة.. فتحة كبيرة بما يكفي لإخراج المخ.. أنظر كيف يقوم برفع ذلك الجزء من الجمجمة لتظهر تلك الأغشية الرقيقة أوالسحايا المسئولة عن حماية المخ[١] .. أنه يقوم بتمزيقها!.. أترى؟.. أنه يقوم باستئصال المخ.. لقد ترك جمجمة الفتاة فارغة بينما أصبحت الوسادة التي يستقر بداخلها وجه الجثة مدرجة بالدماء.. حسنًا.. أعتقد أنني اكتفيت

---

(١) الأغشية السحائية: وتنقسم إلي غشاء الأم الجافية..وغشاء الأم الحنون..وغشاء الأم العنكبوتية.. وتحمي الأغشية السحائية الجهاز العصبي المركزي من الاحتكاك، والصدمات، وبعض المؤثرات الخارجية.

إلى ذلك الحد.. لقد رأينا ما يكفي يا صديقي.. ولقد حان الوقت كي نطلق العنان لساقينا.. لنهرب من هذا المكان.. لنهرب من هذا المشهد.. إلى مكان ومشهد آخرين.

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ٢:٠٠ص

تردد صوت (صوصوة) الطيور الغاضبة في شقة خالد معلنًا عن قدوم زائر ليس عنده من دماثة الأخلاق ما يُثنيه عن زيارة الناس في الساعة الثانية صباحًا.

-يجب أن أقوم بحرق هذا الجرس في أقرب وقت ممكن.

قالها خالد بينما كان يتجه ناحية باب الشقة مُحمر الوجه غاضبًا، لينظر في أمر الأحمق الذي يزروه في هذه الساعة المتأخرة من الليل،فتح الباب فوجد أخر شخص كان يتمني رؤيته وقتها:

-كيف الحال يا (ويس).. لم أوك منذ أوبعة وعشووووووووون ساعة.

كاد خالد يُغلق الباب في وجه الطارق طارق.. لكن طارق أمسك الباب وابتسامة سخيفة على وجهه.

-أتعرف؟ لقد أصبح الأمر مملاً.. ألا يمكن أن يمر يومٌ واحدٌ في سلام دون أن أستمع فيه للثغتك السخيفة تلك؟ (-_-)

قالها خالد قبل أن يرد طارق وهو يهز راسه أسفًا:

-للأسف ٢٤ ساعة لم يغيووا من طباعك شيئًا.. ألَن تقول لي تفضل؟ لماذا هذا الإحواج في بيتك كل يوم؟

قال خالد:

-حسنًا تفضل.. بشرط أن يكون ما جاء بك مهمًا, ولا تحلم حتى بكوب من الشاي قبل أن تفيدني بشيءٍ ما من زيارتك الكريمة.

دخل طارق من باب الشقة قائلاً:

-دعك من كل هذا, إنَّ الأمو مهمٌ حقًا.. ثم إنني لم أفكو أصلاً في شُوب الشاي عندك.. أتذكو آخو موة قمت فيها بعمل كوبين من الشاي لي ولك؟ لقد انتهى المطاف بالكوبين (كوبي وكوبك) في معدتك, ولم تواعِ شعووِي.. ككائن حي يتنفس بجواوك.

رد خالد مدافعًا عن نفسه:

-أنت الذي لويت شفتيك حينها وقلت"ما بشوبش الشاي غيو باللبن" (قالها خالد مُقلدًا طريقة كلام طارق)

دخل طارق برفقة خالد إلى غرفة مكتبه، ثم جلسا بينما يتكلم طارق:

-الشاي باللبن ليس موضوعنا.. أوأيت خبر اختفاء تلك العالمة الشابة التي تُدعَى "هند حبيب"؟

قال خالد بلهجة عملية:

-لا, ولا أعرف من تكون هند حبيب.. ثم منُذ متى وأنا أهتم بمعرفة الأخبار؟ إنَّ المصائب والأخبار تسعى نحو مكتبي دون جهدٍ مني.

تنهد طارق وقال:

-هند حبيب عالمة شابة تقوم بعمل بحوث عن الطاقة النووية, وتُعتبَو أصغو من عمل في ذلك المجال.. هي طالبة في كلية العلوم.. لكن ذكائها جعل منها

محط أنظاو الجميع, وقد تمَّ عمل عدة حواوات صحفية معها ونُشوت في الصحف. منذ ثلاثة أيام اختفت الفتاة.. ولم يتم العثوو على أي أثوٍ لها.. حتى اليوم.. تحديدًا منذ ثلاث ساعات.

بدأ الاهتمام يظهر أخيرًا على وجه خالد, فأكمل طارق:

-منذ ثلاث ساعات اتصل وجلٌ ما بقسم شوطة الموسكي وأبلغ عن وجود جثة لفتاة مقتولة بمنزل مهجوو بالقوب من الكيلو***على الطويق الصحواوي, وعندما سأله الضابط الذي تلقى البلاغ عن هويته, أغلق الوجل السماعة.

جذب اسم ماري اهتمام خالد الذي سارع يُكمل بدلاً من طارق:

-طبعًا وصلت فرقة من الشرطة إلى المكان منذ ساعة مثلاً.. لتكتشف أنَّ الجثة للفتاة المختفية "هند حبيب", والتي تم نزع جزء ما من جسدها, وقد كُتِب بجوارها في مكانٍ ما عبارة ما تحمل اسم ماري, وطبعًا لن تتمكن الشرطة من تَعقُّب الذي أبلغ بالجريمة، والذي هو القاتل في الأغلب, وقد اتصل بقسم الشرطة من أحد الأكشاك، وبطريقة ما انتقل إليك الخبر لتسرع قافزًا إليّ كي تخبرني بالأمر دون أن تراعي أنّني قد أكون نائمًا في هذا الوقت.

وقف طارق تبجيلاً واحترامًا لذكاء وسرعة بديهة خالد وهو ينحني ويبتسم في سخرية قائلاً:

-أحييك سيدي, دعني أضيف لاستنتاجاتك بعض التفاصيل.. تم العثوو على جثة الفتاة وقد تم عمل جواحة دقيقة لدماغها ونُزِعَ المخ بالكامل, وقد تَوك القاتل وسالة داخل جمجمة الفتاة الخاوية كُتبَ فيها (لأجل ماوي), وقد عَوفتُ الخبو منذ نصف ساعة من أحد أصدقائي في ذلك القسم, ولم أستطع الانتظاو للغد كي أخبوك.

انعقد حاجبا طارق قبل أن يكمل مُتسائلاً:

-لكن قل ليّ.. لا يبدو لي أنني أيقظتك من النوم, ليس من عادتك أن تكون مستيقظًا في هذا الوقت!

رد خالد:

-لا تهتم.. فقط أشعر ببعض الأرق من كثرة التفكير في هذه القضية.

-لكن يبدو لي من ثيابك أنّك كنت خاوج المنزل. (قال طارق)

-ااااا .. في الواقع نعم, كنت فقط أشم بعض الهواء, السؤال الأهم من سؤالك هذا هو: لماذا كل من يملكون لثغة في حرف الراء يقع حرف الراء دائمًا في أسمائهم؟ (طرح خالد سؤاله مازحًا)

رد طارق وقد ظهر الغضب عليه:

-أتصدق.. أنا وجل لامؤاخذة لأني جئت لك.

كاد طارق يهم بالقيام عن كرسيه, فأمسك خالد بيده يثنيه عن القيام وهو لا يتحكم في نفسه من شدة الضحك:

-انتظر قليلاً أنا أمزح معاك.. هاه.. ثم ما الجديد في أمر سخريتي منك؟

فكر طارق للحظة ثم عاد ليجلس وهو يقول:

-صحيح.. ما الجديد.. فأنت لامؤاخذة أنت الآخو.

استمر خالد في الضحك لدقيقة, ليقطع ضحكه طارق أخيرًا بسؤال:

-لكن لم تقل لي يا وائد لامؤاخذة.. ما وجهة نظوك في تلك القضية؟

حاول خالد أن يكف عن الضحك, وقاوم لثوانٍ قبل يأخذ نفسًا عميقًا, ثم زفر بقوة ورد على سؤال طارق:

-حسنًا.. تحليلي للقضية حتى الآن هو كالآتي؛ قاتل تسلسلي يقتل لغرضٍ ما.. أغلب ضحاياه من الفتيات, يحتفظ دومًا بجزء من الضحية, ويستعملً تلك الطريقة المشهورة للقتلة المتسلسلين في ترك علامة مميزة كما يفعل الفنان حين يوقّع أسفل لوحاته بعد أن ينتهي منها. اتبّع في البداية نمطًا معينًا في التنفيذ.. نمطًا يرتبط بشكل كبير مع لعبة وأسطورة ماري الدموية ليجعل الضابط الذي يمسك بالقضية (أنا) يشك في قدراته العقلية, ويعتقد بأنّ شبح مرآة هو من يفعل ذلك.. غيّر أسلوبه بعد ذلك ليكون أسلوب قاتل صريح.. لكنه احتفظ بكلمة ماري التي يتركها بجوار ضحاياه, كما لاحظت أنّ أغلب ضحايا القاتل لهم ظهور إعلامي؛ ففتاة سكن المغتربات ظهرت في الجرائد, أما الضحية الجديدة فهي عالمة معروفة. هناك ملاحظتان مهمتان بشأن شخص ذلك القاتل؛ الأولى تتعلق بكونه صاحب خبرة طبية في التشريح والجراحة، وسادي جدًا, الثانية تتعلق بكونه إما شديد الذكاء والحيلة والخفة, وإما كونه قاتلاً خارقًا للطبيعة كما قلت عندما قمتُ بمقارنته مع جاك السفاح, ومع بعض التركيز في جرائم ذلك الشخص, اكتشفت أنّه تقريبًا يأخذ جزءًا أو عضوًا مختلفًا من كل ضحية, وهذا يعني أنّ هذا الشخص يفعل شيء ما غامضًا وخارقًا لمفاهيمنا البوليسية. إنه لا يسعى للإتجار بالأعضاء, بل يسعى لشيء آخر. بصراحة بدأت أميل لكوننا نتعامل مع ساحر هنا, رغم أنّ هذه الفكرة تبدو لي مزحة كبيرة.. فلقد تخلصت لتوي من الاعتقاد بماري الدموية حتى يظهر لي ساحر.. طارق؟ طارق؟! هل أنت معي؟ لماذا تحدق بالمكتبة؟

انتبه طارق لنداء خالد وقال:

-ماذا؟ أنا أسمعك, لقد كنت أتفحص كتبك فقط.. لديك مكتبة جميلة حقًّا.

بفخر قال خالد:

-أعتقد ذلك أيضًا, هذه المكتبة تحمل كل حرف قرأته في حياتي, لكن لم أكن أعرف بأنك تهتم بالقراءة والكُتب, لطالما عرفتك شخصًا جديًا في العمل لا تُضيع وقتك, وكشخص تافه ومهرج كبير خارج العمل.

وقف طارق ومشى نحو المكتبة وقال:

-وهل أعتبو هذا مدحًا أم ذمًا؟!(-_-)

وقف طارق بجوار المكتبة وأمسك بأحد الكُتب قبل أن يردف:

-في الواقع كنت أنظو لهذا الكتاب؛ فقد جذب اسمه وشكله انتباهي.

كان طارق يمسك بكتاب ذي لون أسود رُسِمَت عليه بعض النقوش الغريبة، وكُتِب عليه بخط ذهبي (الوثيقة والإحياء لأمة الأحياء).

قال خالد وهو لا يزال جالسًا في مكانه:

-هذا؟ هذا أحد الكُتب الرخيصة التي تتحدث عن الجن والسحر وإحياء الموتى, اشتريته من سور الأزبكية عندما كنت مراهقًا أحمقَ في الخامسة عشر.. كنت شغوفًا جدًا بهذه الأشياء وقتها, ربما يفسر لك هذا قابلتي لتصديق أنَّ المجرم ساحرٌ أو شيءٌ من هذا القبيل.

-ولماذا تحتفظ به حتى الآن؟ (سأل طارق)

-(كمالة عدد) كما يقولون. (أجاب خالد)

دسَّ طارق الكتاب في مكانه بالمكتبة مجددًا وتنهد قائلًا:

-حسنًا.. أعتقد أنَّ الوقت قد حان كي أوحل؛ فالساعة الآن قد قاوبت على الثالثة صباحًا.

نهض خالد من مقعدة وقال:

-لماذا لا تبقى قليلاً؟

قال طارق باسمًا:

-يا صديقي, أعوف أنك تود الخلاص مني منذ أن جِئتُ إلى هنا ⌧

أشار خالد بيده نحو الخارج وهو يقول:

-تفضل بالرحيل إذًا.."وما تجيش عندنا تاني".(-_-)

ضحك الاثنان, وخرج طارق من المكتب والشقة كلها, فسارع خالد في إغلاق الباب خلفه وهو يضحك.

جلس خالد على كرسي الأنترية وعاد برأسه للخلف يريحها.. دقائق وأشارت الساعة إلى الثالثة صباحًا, فبدأ صوتٌ ما يتناهى إلى سمع خالد!

اعتدل خالد في جلسته على المقعد, وركَّز ليشعر بالصوت كالهمس يداعب أذنيه.

-(هـ... ـنا.. ...ـرآ... ..ـمرآ... .تسـ... ني.. ..ـا.. ـنا..)

تساءل في قرارة نفسه.. "من أين يأتي هذا الصوت؟"

-(.ـنا.. هـ.... المـ..ة.. الـ..ة.. أ..معـ.... هنـ... هـ....)

جعل خالد ينتقل ببصره في أرجاء الشقة برعب، يبحث عن مصدر الصوت الهامس، قبل أن يلمح شيئًا غريبًا في رواق شقته، شيئًا يبدو كظل طفل صغير.

-(هـ... ـنا.. ...ـرآ... ..ـمرآ... .تسـ... ني.. ..ـا.. ـنا..)

إنَّ صوت الهمس يأتي من ناحية هذا الظل، هذا الاستنتاج جعل خالد مُقيَّدَ

الحركة، غير قادر على طرف عينيه من الرعب.

-(.ـنا.. هـ.... المـ.ة.. الـ..ة.. أ..معـ.... هنـ... هـ....)

أشار الظل لخالد بأن يتبعه, قبل أن يجرى هذا الظل بسرعة نحو الحمام!

-(هـ... .ـنا.. ...ـرآ... ..ـمرآ... .تسـ.. ني.. ..ـا.. .ـنا..)

استجمع خالد شجاعته, مشى في اتجاه الحمام يُقدِّم قدمًا ويؤخِّر الأخرى.

-(.ـنا.. هـ.... المـ.ة.. الـ..ة.. أ..معـ.... هنـ... هـ....)

لقد أصبح صوت الهمس أعلى وأكثر وضوحًا.

- (هـــنا.. هـــنا.. المـــرآ.ة.. الـــمرآ.ة.. أتســمعـنـي.. هنــا.. هـــنا..)

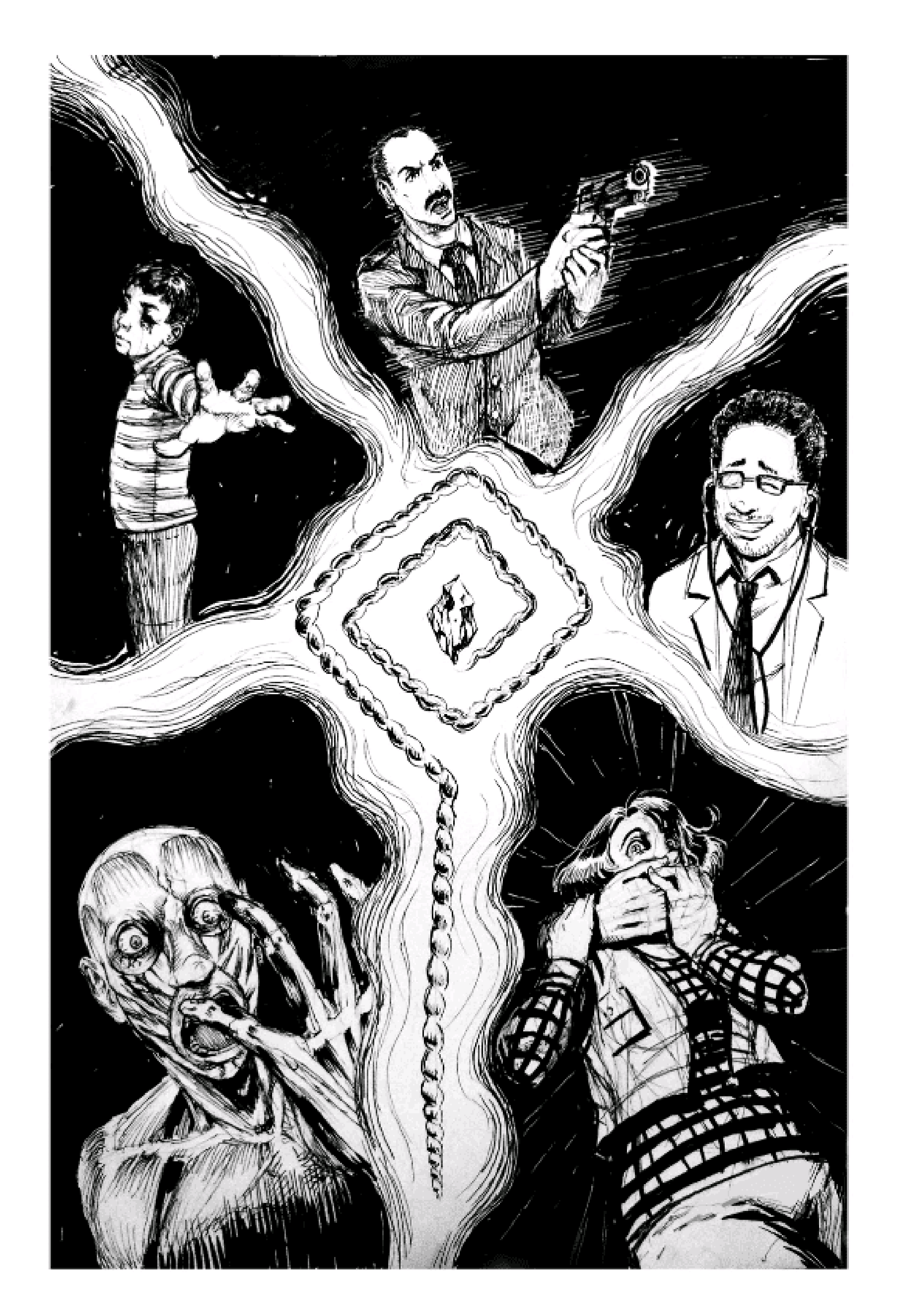
هل يُخيل له أم أنه يفهم ما يُقال!

-(هنا.. هنا.. المرآة.. المرآة.. أتسمعني.. هنا.. هنا..)

*****

خلف ستار الموت

"من الجيد أن يؤمن الأحياء بوجود عالم آخر حولهم؛ فهذا يعطيهم الأمل في الحياة بعد الموت, لكنه لمن السيِّء أن يتعرّفوا على ملامح ذلك العالم, قبل أن يتعرَّفوا على ملامح الموت أولاً.



(٧)

١٩- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ٣:٠٠ص

إنَّ حياة الأشباح مملةٌ بحق.. ماذا؟ تتساءل كيف عرفتُ؟ أعتقد أنَّ جسدي الشفاف وقدمايّ اللتين لا تلامسان الأرض يفسران الأمر.. نعم يا عزيزي, أنا شبح.. روحٌ هائمة على وجهها.. بلا عائلة، بلا مأوى, لكن من منّا وُلِد ليجد نفسه شبحًا؟!.. فلقد كنت في يومٍ من الأيام حيًا أُرزَق، آكل وأشرب وألبي نداء الطبيعة, أما الآن، فأنا أسير بتؤدة وسط شوارع الحي الذي وُلِدت فيه, أدلف إلى شارع ثم إلى آخر إلى يومٍ يعلمون, أراقب الأحياء وهم عائدون من أشغالهم متعبين, أراهم من حيثُ لا يرونني, انظرْ معي هناك.. المبنى القديم على يمينك, إنها مدرستي, أو ما كانت مدرستي يومًا ما.. خليطٌ من المشاعر التي أحملها تجاه هذا المكان بين الحب والكراهية والسعادة والحزن. تعالى معي.. نقتحم برؤوسنا تلك النافذة هناك، الواقعة في المنزل الذي يحتل قارعة الطريق, أترى تلك المرأة الباكية؟ تلك الجالسة على الكرسي؟ إنها أمي, لقد اشتقت إليها بحق, رغم أنني ألومها, ألومها على تركي وحيدًا ليلتها.

جلست بجواره على الفراش تحتضنه بينما تداعب خصلات شعره الخفيفة حتى استرد مجددًا شعور الأمان واستغرق في النوم، فنهضت الأم من عن الفراش، وقامت بإغلاق الأنوار، ثم خرجت من الغرفة، لتترك الصبي الصغير نائمًا في سكون. لماذا لا تتحلّل ذكرياتنا كتحلُّل أجسادنا عندما نفنى ونموت؟

ها هو أبي يجلس بجوارها.. يحتضنها, يود لو بكى هو الآخر, لكنه متماسكٌ لأجلها, لا يشغل تفكيره سوى استعادة المرأة الباسمة التي أحبها. لكن هناك

شيء مفقود في ذلك المشهد الذي اعتاد رؤيته يوميًا! دائمًا ما كانت أمي تمسك بدفتر مذكراتة وتقوم باحتضانه, ولكن, ولليوم الثاني على التوالي, آتي فلا أراها تمسكه! تُرى أين هو؟ أين دفتر مذكراتي؟!

*****

٢٠ ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاٍ) الساعة ٣:٠٠ص

-(هنا.. هنا.. المرآة.. المرآة.. أتسمعني.. هنا.. هنا..)

هذا حقيقي! إنَّ الصوت يحدثه بأن يتجه ناحية الحمام, ناحية مرآة الحمام تحديدًا.

-(أســ ــرع.. فالوقت.. ينــ ــفد)

دلف خالد إلى الحمام, وقد تعلقت عيناه من اللحظة الأولى بالمرآة, كان في انتظار رؤية شيءٍ ما.

-إنَّ هذا جنون.. لقد جُنِنت.

كان يُحدِّث نفسه قبل أن يستدير ليتراجع إلى الخلف مذعورًا من أثر ما رأى، فتى صغير مُشوَّه الوجه يحل الفراغ محل مقلتيه، مر من وراء كتفه بينما كانت عينا خالد معلقتين بالمرآة.. واتجه ناحية غرفة المكتب!

هل جُنَّ حقًّا؟ أم أنَّها الوحدة تفعل أفعالها؟

وفي وسط ذعره, رأى أحرف تتشكل بخيوط من دم فوق سطح مرآة الحمام, ثم تتشابك الحروف مكوِّنة كلمة.   (المذكرات)

المذكرات! غرفة المكتب! إنَّ هذا الشيء يريد منه أن يتبعه إلى غرفة المكتب، لكن هل يجرؤ؟ هل يجرؤ حتى على الحراك بعد ما رأى وسمع؟

صوتٌ بداخله كان يخبره أنَّ ذلك الشيء لا يريد أذيته, وصوتٌ آخر يقول له إنَّ كل ذلك مجرد حلم, سيستيقظ في اي لحظة الآن, إذا كان الاحتمال الثاني صحيحًا, فما الذي يمنعه إذًا من الاقتراب؟

لم يشعر بنفسه سوى وهو واقفٌ أمام غرفة المكتب, قفز بنظراته إلى داخلها, جال بنظره يمينًا ويسارًا في كل أركان الغرفة فلم يجد أحدًا.. لا أشباح هنا.

توجه بخطوات حذرة نحوالدفتر الصغير الموضوع على المكتب الخاص به, وبينما هو يقترب, لاحظ عدم وجود القلم الصغير المُرفَق بالدفتر! هو مُتأكدٌ من أنه كان هنا. لكن وبمجرد أن أصبحت يده على بُعد سنتيمتر واحد من مبتغاه, انفتح الدفتر بقوة لا يمكن أن تصدر من حجمه الصغير، وخرجت من بين صفحاته صرخة وكأن فم الجحيم ذاته قد فُتِح، صرخةٌ ارتعشت لها كل خلجة من خلجات جسده قبل أن يُطرح أرضًا من أثر قوة الصرخة, فأسرع يُطبق على أذنيه بكلتا يديه محاولاً تفادي صوت الصراخ الذي يصم الآذان.

بضع لحظات من الدمار.. قبل أن يتوقف الصراخ. قام خالد عن الأرض, ونظر في اتجاه الدفتر ليجد الدفتر كما هو فوق سطح المكتب. وبرفقته القلم الصغير, لكنه لم يكن موضوعًا بجوار أو بداخل المذكرات, بل كان طافيًا في الهواء! كان القلم يتأرجح في الهواء صانعًا بعض الشخابيط بداخل الدفتر. شخابيط مُتجانسة, تُكوِّن مع الوقت حروفًا.. ثم كلمات متباعدة تشكِّل جملاً مفهومة.

هنا هنا الساعة الثالثة الوقت ينفذ

خالد ينظر إلى القلم وهو يتحرك في الهواء, وإلى الكلمات وهي تتشكَّل في الدفتر وهو مشدوه.. غير قادرٍ على استيعاب ما يحصل!

أريد أن أساعد

لقد جُننت.. أنا متأكد من ذلك, يجب أن أتجه إلى المستشفى وأترك العمل لفترة حتى أُشفى.

كانت تلك الأفكار تدور في عقل خالد.. ليتحرك القلم ثانيةً.

لا أنت لست بمجنون

إنًّ ذلك الدفتر اللعين يقرأ أفكاره, صرخ خالد بعصبية ممزوجة بالرعب:

-من؟ من أنت؟ ماذا تريد؟ ماذا تريدي مني أيتها الأشباح اللعينة؟

فقط أريد المساعدة

-وما أنت؟

أنا صاحب الدفتر أيمن

دقت الساعة الرابعة فجرًا, فسقط القلم ووقع فوق دفتر المُذكرات مُتوقفًا عن الكتابة.

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ٢:٣٠ص

وحيد.. بائس.. بيتٌ عنوانه الفوضى, ضابط في مديرية الأمن ويدعى خالد الشاذلي. تلك هي المعلومات التي قمت بتجميعها عنه خلال ٢٤ ساعة مضت.

كان هو الشخص الذي قدم إلى بيتنا لأخذ دفتر مذكراتي, ولا تسألني كيف عرفت؛ فالأمور أسهل بكثير في عالمي, أو البعد الذي أعيش فيه أيًّا كان المسمى الذي يروقك.

طوال نصف ساعة مضت كنت بالجوار أستمع لحديثه الطويل الممل مع

صديقه المدعو طارق, كان حديثهما يدور حول ماري الدموية, وقاتل غريب الأطوار, والكثير من القتلى, لكن ما لفت انتباهي حقًا هو كوني جزءًا من كل هذا, أنا جزءٌ من قضيةٍ ما لا أفهم داخلي فيها! هل كل هؤلاء تم اختطاف أرواحهم للعالم الآخر؟ لا أعتقد ذلك, الأمر مختلف.

ماذا لو كانت تلك فرصتي في الحصول على بعض المتعة؟ ربما أستطيع المساعدة! لكن كيف؟

الأشباح أمثالي تأثيرها المادي في عالم الأحياء شبه معدوم, لكن خلال أيامي القليلة في ذلك العالم, اكتشفت أنَّ الأرواح تصبح ذات تأثيرٍ ملحوظ بعد منتصف الليل حيث يضعف الستار بين العالمين؛ لذا يمكنني أن أحاول، سأجرب أن أبعث له برسائلي من خلف ستار الموت، لكنني لا أعتقد أنه سوف يستقبلها بصدر رحب.

*****

(٨)

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ٣:٣٠ص

على الطريق السريع, كان طارق عائدًا من منزل خالد بسيارته بينما يصارع جفناه النومَ حتى لا يغفو فيصطدم بإحدى السيارات مُسببًا حادثة ستذكرها الأخبار ليوم أو يومين, وبالفعل كاد يغفو لولا تلك النغمة المزعجة لهاتفه النقال وخاصية الهزاز(الڤايبريشن) جعلت الهاتف يهتز داخل جيبه بمُجون.

من داخل دهاليز جيبه أخرج طارق هاتفه النقال بيده اليسرى, والهاتف مستمرٌ في اهتزازه, بينما ظلت اليد اليمنى تتحرك ممسكةً بعجلة القيادة (الديريكسيون), قبل أن يضع الهاتف على أذنه:

-السلام عليكم, إبواهيم كيف حالك؟

كان المتصل هو قريبه الصحفي إبراهيم مراد, الذي يحقق في نفس القضية التي يعمل بها خالد وطارق.

رد إبراهيم من الجهة الأخرى:

-وعليكم السلام, أنا بخير والحمد لله.

أدار طارق عجلة القيادة ناحية اليمين متفاديًا الاصطدام بسيارة أجرة وقال:

-الحمد لله, أخبوني.. ما هو الأمو الطاوئ الذي يجعلك تطلبني في الثالثة والنصف صباحًا؟

قال إبراهيم:

-سأخبرك.. هناك شيءٌ غريب حصل معي و له علاقة بقضية صاحبك خالد.

أدار طارق عجلة القيادة جهة اليسار هذه المرة متفاديًا اصطدامًا آخر بشاحنة كبيرة:

-ما هو؟ (قال إبراهيم:(

-أتذكر عندما جعلتني أقابل صديقك خالد؟

-نعم أتذكو.(أجاب طارق في ضيق)

شعر إبراهيم بضيق طارق والتململ الذي يعتريه فاسترسل في الحكي:

-ما حدث أنّه في مساء اليوم التالي, اتصل بي أحدهم وأخبرني أنّ لديه معلوماتٍ عن جريمة لم تحصل بعد, وعندما شعرت بأنه يمزح وهممت بإغلاق الخط, أوقفني قائلاً إنه سيتم العثور غدًا ليلاً على جثة العالمة المُختفية "هند حبيب" على الطريق الصحراوي, كما أخبرني أنّ الجريمة القادمة تقترب من الحصول, وأنّ كل شيء سينتهي يوم تنهض ماري, وذكر لي يوم الجمعة القادم الموافق ليوم الثاني والعشرين من الشهر الجاري في منتصف الليل مع ميلاد يوم الثالث والعشرين, وكما ترى.. لقد حدث ما أخبرني به! من الواضح جدًا أنه القاتل, يحاول أن يوصل لكم رسالة ما من خلالي.

كان طارق مُصغيًا لكل ما قال إبراهيم، مُتعجبًا من الأمر برُمتِه، ما الذي يجعل القاتل يرتكب أمرًا كهذا ويعطي إشاراتٍ إلى ما ينتوي فعله؟ ولماذا إبراهيم بالذات ليكون الوسيط لهذه الرسالة.

قال طارق بعد تفكير:

-ولماذا لم تخبوني بهذا حينها؟

أجاب إبراهيم:

-في الواقع من عادتي وعادة الكثير من الصحفيين, ألا يأخذوا كل ما يصلهم من رسائل ومكالمات دائمًا على محمل الجد.. غالبًا ما يكون المتصل قارئًا واسع الخيال يُحب المزاح.

قال طارق:

-وبما تكون محقًا.. حسنًا فلتمُو على مكتبي غدًا بالمديوية لنتحدث قليلاً بشأن هذا الأمو.

-ليكن.. تصبح على خير.

-ومن أين سيأتي الخيو؟ سحقًا لكوني ضابط شوطة.

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ٣٠ :٤ص(منزل خالد)

التفسير.. التفسير هو الكلام الذي يُقال لك، أو الشيء الذي تعرفه، فتعيش بعدها مُطمئنًا.. فمثلاً عندما تلاحظ أنَّ هناك الكثير من الأشياء التي تتغير أماكنها بالشقة دون أن يحرِّكها أحد من سكان المنزل, وكلما سألت أحدهم يكون الرد واحدًا دائمًا:

-لا أعرف عما تتحدث.

من هنا تبدأ في البحث عن تفسير لما يحدث، تُحدِّث نفسك قائلاً (هيكون يعني عفريت هو اللي حركها من مكانها!).

تسخر من الفكرة حتى لا تُصاب بالذعر.. لكن هل تساءلت يومًا ماذا لو كانت تلك هي الحقيقة.. ماذا لو كان العفريت حقيقيًا؟

قد تستيقظ في ليلة من ليالي الشتاء على صوت عبث في غرفة المعيشة,

فتقوم بتجميع ما تبقى لديك من شجاعة, وتمشي مرتعدًا حتى غرفة المعيشة لتتفقد الأمر.. هنا تكتشف بأن أخاك الصغير يمشي وهو نائم!

قد يصيبك الذعر في البداية, لكن بعد ذلك ستشعر بالسعادة تغمرك؛ فلقد وجدتَ تفسيرًا لتغيُّر أماكن الأشياء.

التفسير.. التفسير هو الشيء الذي شغل بال خالد في تلك اللحظة, التفسير لما حصل هنا قبل قليل, التفسير لكون القلم قد طار في الهواء وراح يكتب عبارات وجمل مختلفة على صفحات ذلك الدفتر الصغير، التفسير وشيءٌ آخر كان يشغل عقله في هذا الوقت؛ الرعب, الخوف, الرغبة في الاختباء تحت الغطاء وشرب كوب ساخن من الكاكاو, بينما هو يستمع إلى إذاعة القرآن الكريم على جهاز الراديو.

لم يكن يعرف أنه جبان إلى هذا الحد, هو لا يريد شيئًا في الوقت الحاضر, هو لا يريد في الوقت الحاضر سوى النوم, لكنه لا يظن حتى بأنَّ جني المصباح قد يستطيع تحقيق هذه الأمنية له في الوقت الحاضر.

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ٤:٣٠ص (منزل طارق)

بعد يوم طويل من العمل والقضايا والفتيات اللاتي فقدن أمخاخهن، عاد طارق إلى منزله يطمح في قسطٍ من الراحة. وقف أمام باب شقته، ثم أخرج المُفتاح من جيبه، ودسه داخل فرجة (الكالون) ثم أداره دورتين كاملتين.

انفتح باب الشقة. يخطو طارق خطوة إلى الداخل كالمخمور فيشعر بأنه قد داس على شيءٍ ما، لكنه لم يُعر الأمر أي انتباه؛ فجام تركيزه الآن مُنصَّبٌ على اتجاه غرفة نومه، أغلق باب شقته وسار مُغمض العينين كالموتى الأحياء

يبحث عن سريره. رمى المفتاح فوق أحد الأرائك، قبل أن يدخل غرفته فيرتمي على سريره الوثير وقد دخل في نوبة من النوم.

*****

١٩- ديسمبر- ٢٠٠٦ (فجرًا)

صورة كبيرة لعارضة أزياء جميلة يصعب تحديد عمرها، فبالتأكيد هي في الأربعين, لكن مساحيق التجميل, وربما العمليات, تُظهرها بمظهر الفتاة العشرينية. ترتدي فستانًا أسود أنيقًا أشد لمعانًا من النجوم في سماءٍ غاب عنها القمر. يُظهر الفستان جزءًا من ساقيها وذراعيها البَضّين بالكامل, بينما يزيِّن رأسها تاجٌ مرصعٌ بالجواهر اللامعة.

كانت تلك هي الصورة الموضوعة على أحد الإعلانات وقد كُتب فوقها بلغة إنجليزية الآتي:

دعـــوة

تتشرف جمعية سيدتي ومعرض La Vergine للأزياء بدعوتكم لحضور عرض أزياء لعارضة الأزياء الإيطالية اللامعة (ماريا بوتشينو)

وذلك ليلة الأربعاء 2006/12/20 الساعة 10م

بمسرح (--------)

وسيحتوي العرض على مجموعة من أرقى الأزياء العالمية

انتهى من قراءة الإعلان وقد برزت أسنانه اللامعة من خلف شفتيه، تفحَّص بشرة العارضة البيضاء بعينيه، وراح يمر فوقها بأصابعه يتحسسها في تلذذ وسعادة. من المستحيل أن تصنع مساحيق التجميل هذا، هذا الجلد الأبيض

صُنِع من شمع الجنة! اتسعت ابتسامته أكثر وهو يقول في انتصار:

-هذا هو اللون المناسب.

*****

(٩)

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ظهرًا) (منزل طارق)

قام طارق عن سريره بجسدٍ مُحطَّم كمن نام فوق كومة حصى. ذهب إلى الحمام ليغسل وجهه ويتوضأ, ثم صلى ما فاته من صلوات أثناء فترة نومه العميق.

دخل المطبخ ليُعد فطوره فتذكر أنه لم يغسل صحون البارحة, وعد نفسه بأنه سوف يغسلها عند عودته من العمل, وشرع في إعداد فطوره. أثناء تناوله للفطور المكوَّن من بعض السندوتشات وكوب من الشاي, الذي يفضِّله دائمًا مع الحليب ولا يستسيغ الأول من دون الثاني، راح يفكر كعادته في حياته كرجل أعزب.. هل كان ذلك هو القرار الصحيح حقًا؟ هل كان على صواب عندما ترك منزل أسرته وقرر أن يستقل بذاته دون زواج؟ استمر في التفكير إلى أن أنهى فطوره, ليقول لنفسه بصوت عالٍ بينما يرمي الصحون في الحوض:

-كفاني سَخَفًا, إنَّ حياتي وائعة وبلا اموأة كئيبة.

ارتدى ملابسه وهمَّ يذهب إلى عمله, وبينما هو خارج من باب شقته, شعر بشيءٍ يُدهَس تحت قدمه! راحت عين طارق بشكل تلقائي نحو أسفل حذائه, فوجد مظروفًا أبيض كُتِب عليه باللون الأحمر عبارة (رسالة من ماري الدموية)! نظر طارق إلى المظروف على الأرض, وقد امتزجت بداخل عقله علامات التعجب والاستفهام, واختلطت مشاعر الذعر والرعب, فتساءل في قرارة نفسه: متى جاء هذا الشيء إلى هنا؟ وماذا يعني مُرسِل الرسالة بماري الدموية؟!

بدَا له الأمر مرعبًا بحق؛ أن تستيقظ لتجد ماري الدموية قد أرسلت لك رسالة! هو يعلم بأنّ هذا غير حقيقي، هذا شخصٌ يمزح ويحاول جذب انتباهي، أو ربما تلك رسالة من القاتل نفسه، ربما يخبره عن تحركه القادم. هذا يُذَكِّرهُ بقضية جاك السفاح القاتل المتسلسل المشهور.. الذي كان يتعمَّد إرسال رسائل إلى رجال الشرطة ليعطيهم إشارات عن تحركاته القادمة. كم كان سفاحًا مُتعاونًا بحق! ويبدو أنّ سفاحنا هذا من نفس النوع.[1]

انحنى طارق ليلتقط المظروف, ثم عاد إلى داخل صالة شقته وجلس على أحد الكراسي, بينما هو يقلب المظروف بين أصابعه والتساؤلات تدور في عقله.. هل ينتظر ليخبر خالد بشأن هذا ليقرأ كلاهما ما بداخل المظروف سويًا؟ أم يفتحه الآن ويقرأ؟ لا يعتقد بأنّ في استطاعة فضوله الانتظار إلى وقتها, الفضول يكاد يقتله, يا تُرى ما الذي قد يحويه هذا الظرف؟ لا توجد سوى طريقة واحدة ليعرف.

سارع في فتح الظرف ثم أخرج الورقة المطوية بداخله، وقام بفضها ثم شرع يقرأ ما كُتِب فيها.

*****

عرفتُ الكثير.. عرفتُ الكثير من الأشياء خلال بحثي في أمر تلك القضية الغريبة. توصلت إلى الحقيقية الكاملة للأمور.. حُمْتُ حول كل الشخصيات, اكتشفت أنّ هناك شخصيات أخرى في هذه اللعبة وخططًا قد تقلب الموازين. لقد استغرقت الشرطة الكثير من الوقت في التحقيق, لكنها لم تصل لشيء, لكني تمكنت من حل لغز تلك القضية في وقتٍ لا يُذكر, وهذه مزية أخرى تُضاف إلى مزايا كوني شبحًا, رغم أنني لا أعتبر لفظة شبح دقيقةً

---

(١) (حقيقي: حصل هذا بالفعل في قضية جاك السفاح بلندن ١٨٨٨م)

للتعبير عن حالتي.

الآن ينقصني فقط أن أتمكَّن من التواصل مع أحدهم, أحتاج لوسيط أو طريقة لنقل الحل إلى عالم البشر.. لكن مَن وكيف؟

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ظهرًا) (منزل طارق)

هذه الرسالة مُوجَّهة للضابط طارق....

تحية طيبة وبعد..

لا أرى أي داعٍ لتلك الكلمات الرسمية, لكن ما علينا.. أنا آسفٌ لاستغلالي اسم ماري الدموية لشد انتباهك, ما كنت لتجلس وتقرأ هذه الكلمات لولا هذه الجملة, نحن نتحدث هنا عن قاتل مجهول الهوية, بالتأكيد أنت تعتقد بكَوْني أنا (مُرسل الرسالة) القاتل, لكني في الواقع جِئت لأساعدك في إيجاد القاتل. بالتأكيد سألت نفسك ما هو الهدف من كل هذا؟ هدف جرائم القتل المتسلسلة التي يربطها كلمة واحدة. لأتمكن من الإجابة على سؤالك ذاك أحتاج أن أعرِّفك ببعض التفاصيل عن حياة القاتل.

كان شابًا يحب زوجته, عانى كثيرًا كي يفوز بقلبها, لكنه بعد زواجهما, اكتشفوا كونها تعاني من مرض خطير, لكنهما كانا سعيديْن رغم هذا, لكن في يومٍ من الأيام.. زاد عليها التعب وظلت تقاوم التعب ليلة كاملة حتى انتهى بها الأمر وقد دخلت في حالة غيبوبة عميقة, وإذ به يقوم بتشخيص حالتها بشكل خاطئ, فينتهي الأمر بها وقد وُضعت حية في أحد القبور. علم أثناء زيارته لقبرها بعد أيام من دفنها بأنهم قد وجدوا جثتها وقد تغيير مكانها, وقد سمع التربي صوتَ صراخ داخل القبر ليلاً.. لم يكن في حاجة إلى الكثير ليفهم بأنه كان السبب في دفن زوجته حية.. لم يستطعْ أن يسامح نفسه أبداً على فعلته تلك؛ لذلك قرر أن يقوم بإصلاح ما قد أفسده.

تتساءل كيف؟

في شبابه وقع في طريقه, صدفة, كتابٌ عن السحر الأسود.. يحمل الكتاب بين صفحاته الطريقة المُثلى لإعادة الموتى إلى الحياة مجدداً! ما ورد في ذهنك صحيح. إنه يريد إعادة زوجته إلى الحياة.

يحتاج الطقس الذي سيقوم به القاتل لإعادة زوجته ستة أشياء:

١- عظام أو رُفات الشخص المراد إحياؤه.

٢- عينان في نفس لون عيني الشخص المراد إحياؤه.

٣- شعر في نفس لون شعر الشخص المراد إحياؤه.

٤- عقل على الأقل في نفس نبوغ عقل الشخص المراد إحياؤه.

٥- جلد في نفس لون جلد الشخص المراد إحياؤه.

٦ - قلب لشخص بنفس صفات قلب الشخص المراد إحياؤه.

هل هذا يكفي كي تتأكد من أنّ القاتل يقوم بجمع أجزاء جسد زوجته ليقوم بطقوس الإحياء؟ قد يبدو هذا كالجنون والهراء بالنسبة لك, لكن ليس بالنسبة للقاتل.. سيقوم القاتل بعمل طقوس الإحياء في يوم الثالث والعشرين، وهو اليوم الذي ماتت فيه زوجته منذ ستة أعوام.. أعتقد أنّك الآن صرتَ تعرف كيف سيختار القاتل الضحيتين المتبقيتين؟ سيستمر في القتل إلى أن يحقق مراده, فإذا نقص أي عنصر من العناصر الستة، ستبطل الطقوس.

بالنسبة لأسطورة ماري.. فهي لم تكن سوى ستار يحاول القاتل أن يَختبئ خلفه, وساعده على ذلك حادثة الطفل التي ليس لقاتلنا هذا علاقة بها.

الآن أنت صرت تفهم من هي ماري حقاً, ماري هو اسم الزوجة كما لك أن تتوقع

ومقابله في اللغة العربية.. مريم.

تبقى لدينا سؤالان فقط.. من هو القاتل؟

هو قريبٌ منك, ملاصقٌ لك, تعرفه منذ خمس سنوات, منذ اليوم الذي تمّ تعيينك فيه في مديرية الأمن, لكنَّك لا تعرف الكثير عن حياته الخاصة.. دائم السخرية من لثغتك, ودائم التعجب من كونك نجحت في الالتحاق بكلية الشرطة.

بالنسبة لهويتي.. ستعرف فيما بعد, لست في حاجة إلى معرفة الكثير عني.

صديقك: 2 / 3 3

انتهي طارق من قراءة الرسالة وقد شعر بأن رأسه يكاد ينفجر... مستحيل.. إنَّ هذا جنون.. ماري.. مريم.. كتاب.. طقوس.. يا ربي! إنَّ الخيوط كلها تتشابك في عقله.. راح طارق يفكر.. يفكر.. يفكـــــــــرررررر...

*****

(١٠)

-استرجاع-

كان شابًا يحب زوجته, عانى كثيرًا كي يفوز بقلبها, لكنه بعد زواجهما, اكتشفوا كونها تعاني من مرض خطير, لكنهما كانا سعيدْين رغم هذا.

*****

٣١- ديسمبر- ١٩٩٩ (ليلاً) ١٠م

قال لها هو يعود ليستند بظهره على الكرسي مرة أخرى:

-يا صغيرتي.. هذه هي ضريبة أن يكون زوجك ضابط شرطة.

*****

علم أثناء زيارته لقبرها بعد أيام من دفنها بأنهم قد وجدوا جثتها وقد تغيير مكانها, وقد سمع التربي صوتَ صراخٍ داخل القبر ليلاً.. لم يكن في حاجة إلى الكثير ليفهم بأنه كان السبب في دفن زوجته حية.

*****

٢٣- ديسمبر٢٠٠٠ (ليلاً) ١:٠٠ص

فتحت عينيها ببطء شديد لتستقبل الضوء.. لكن عوضًا عن ذلك لم تبصر سوى الظلام.. ظلام حالك ليس له مثل, تساءلت في قرارة نفسها عن ماهية المكان الذي تتواجد به، وحاولت النهوض من مكانها, لكنَّ شيئًا ما يكتِّف حركتها, إنها عاجزة عن تحريك أي من أطرافها. حاولت إدخال بعض الهواء إلى رئتيها, لكن شيئًا ما حال بينها وبين الهواء، شيئًا يلف وجهها وجسدها

بالكامل ليعتصرها كأفعى أناكوندا تعتصر ضحيتها قبل أن تبتلعها دفعة واحدة. هنا تذكرت كل شيء, تذكرت ما حدث خلال الأيام الأخيرة، فأدركت أين هي الآن.

*****

٢٣- ديسمبر٢٠٠٠ (ليلاً) ٠٠:١ص

هناك.. عند ذلك الضريح الذي دُفِنت فيه امرأة ما بالأمس.. اقترب أكثر ليتأكد من مصدر الصوت فلم يسمع أي شيء، ترك المصباح جانبًا، قرَّب أذنه اليمنى من باب القبر، وأرهف السمع ليسمع الصرخة.

-النجدةااا

انتفض عم إبراهيم من مكانه، وجرى كالمجنون وسط أضرحة القبور بكل ما يملك من عضلات لا زالت تعمل في جسده.

*****

بالنسبة لأسطورة ماري.. فهي لم تكن سوى ستار يحاول القاتل أن يَختبئ خلفه, وساعده على ذلك حادثة الطفل التي ليس لقاتلنا هذا علاقة بها.

*****

خالد:

-خلال استجوابي للفتيات في سكن المُغتربات وحديثى مع والدة الطفل الذي اختفت جثته, عرفت بوجود عامل مُشترك بين الضحيتين, لقد لعب كلاهما (الطفل والفتاة) لعبة واحدة قبل أن يموتا.. لعبة قد تكون سبب موتهما.

-لعبة! أية لعبة؟ (سأل طارق)

-Bloody Mary.(أجاب خالد)

*****

١٤- ديسمبر- ٢٠٠٦(نهارًا)

عَثر على خبر جذب انتباهه. كُتب فوقه كعنوان رئيسي باللون الأحمر(اللعبة التي تقتل)..ثم كُتِب أسفل هذه الجملة كعنوان فرعي (قُتل الطفل وسرقت جثته ومن دون أي آثار للاقتحام) ثم عنوان فرعي تشويقي آخر(مَن هي ماري التي ترك القاتل اسمها خلفه)؟ جذب اسم ماري انتباه الرجل.. فقرر أن يشرع في قراءة أول سطور الخبر.

*****

في شبابه وقع في طريقه, صدفة, كتابٌ عن السحر الأسود.. يحمل الكتاب بين صفحاته الطريقة المُثلى لإعادة الموتى إلى الحياة مجددًا!

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ٢:٠٠ص

وقف طارق بجوار المكتبة وأمسك بأحد الكُتب قبل أن يردف:

-في الواقع كنت أنظو لهذا الكتاب؛ فقد جذب اسمه وشكله انتباهي.

كان طارق يمسك بكتاب ذي لون أسود رُسِمَت عليه بعض النقوش الغريبة، وكُتِب عليه بخط ذهبي (الوثيقة والإحياء لأمة الأحياء).

قال خالد وهو لا يزال جالسًا في مكانه:

-هذا؟ هذا أحد الكُتب الرخيصة التي تتحدث عن الجن والسحر وإحياء

الموتى، اشتريته من سور الأزبكية عندما كنت مراهقًا أحمقَ في الخامسة عشر.. كنت شغوفًا جدًا بهذه الأشياء وقتها، ربما يفسر لك هذا قابلتي لتصديق أنَّ المجرم ساحرٌ أو شيءٌ من هذا القبيل.

*****

سيقوم القاتل بعمل طقوس الإحياء في يوم الثالث والعشرين، وهو اليوم الذي ماتت فيه زوجته منذ ستة أعوام.. أعتقد أنَّك الآن صِرتَ تعرف كيف سيختار القاتل الضحيتين المتبقيتين؟

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ٣:٣٠ص

قال إبراهيم:

ما حدث أنَّه في مساء اليوم التالي، اتصل بي أحدهم وأخبرني أنَّ لديه معلومات عن جريمة لم تحصل بعد، وعندما شعرت بأنه يمزح وهممت بإغلاق الخط، أوقفني قائلاً إنه سيتم العثور غدًا ليلاً على جثة العالمة المُختفية "هند حبيب" على الطريق الصحراوي، كما أخبرني أنَّ الجريمة القادمة تقترب من الحصول، وأنَّ كل شيء سينتهي يوم تنهض ماري، وذكر لي يوم الجمعة القادم الموافق ليوم الثاني والعشرين من الشهر الجاري في منتصف الليل مع ميلاد يوم الثالث والعشرين.

يحتاج الطقس الذي سيقوم به القاتل لإعادة زوجته ستة أشياء:

١- عظام أو رُفات الشخص المراد إحياؤه.

*****

١٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) ٠٠:١ص (المقابر)

راقبه في صمتٍ من خلف ستار الموت، بينما يقوم بجمع ما تبقى من رفات وعظام شخصٍ ما إلى داخل كفن قديم وبالٍ. راقبه في صمتٍ وهو يحمل بين يديه ذلك الكفن ويقوم بوضعه معَ ما بداخله من محتويات إلى داخل حقيبة قماشية صغيرة.. راقبه في صمت بينما يشقُّ الأنفاس صعودًا إلي عالم الأحياء، واستمع إلى صوته بينما يقول:

-قريبًا.. سوف تعودين.

*****

٢- عينان في نفس لون عيني الشخص المراد إحياؤه.

*****

١٨- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا)

أزاح الرجل الجريدة جانبًا بعد أن أغلقها، ثم قام من مجلسه، ليتجه إلى الثلاجة، ويفتح بابها ببطء.. قد يبدو للبعض رجلاً ألحَّ عليه الجوع, فقام يبحث عن ما يسد جوعه داخل ثلاجته, لكن تلك الثلاجة لم تكن تحوي طعامًا, بل برطمانًا مُغلقًا بإحكام مليء بالفورمالين* , يسبح بداخله عينان.. عينان زرقاوان!

*****

٣- شعر في نفس لون شعر الشخص المراد إحياؤه.

*****

١٨- ديسمبر-٢٠٠٦ (ليلاً)

أخرج طارق من جيب سترته صورة وناولها إلى خالد قائلاً:

-بعد أن قمنا بتنظيف رأس الجثة من الدماء, ظهرت لنا تلك الكلمة التي تُكوِّنها الجروح على رأس الضحية بوضوح.

تناول خالد الصورة وتفحصها بنظراته غير مصدق، كانت الصورة لرأس أصلع ومشوه بجروح تكوِّن كلمات, بل جملة من خمس كلمات.

(هذا الشعر الذهبي لأجل ماري)

*****

٤- عقل على الأقل في نفس نبوغ عقل الشخص المراد إحياؤه.

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ٢:٠٠ص

قال طارق:

-تم العثور على جثة الفتاة وقد تم عمل جراحة دقيقة لدماغها ونُزِعَ المخ بالكامل, وقد تَرك القاتل رسالة داخل جمجمة الفتاة الخاوية كُتِب فيها (لأجل ماري)

*****

٥- جلد في نفس لون جلد الشخص المراد إحياؤه.

*****

١٩- ديسمبر- ٢٠٠٦ (فجرًا)

تفحَّص بشرة العارضة البيضاء بعينيه, وراح يمر فوقها بأصابعه يتحسسها في تلذذ وسعادة. من المستحيل أن تصنع مساحيق التجميل هذا، هذا الجلد الأبيض صُنِع من شمع الجنة! اتسعت ابتسامته أكثر وهو يقول في انتصار:

-هذا هو اللون المناسب.

*****

الآن أنت صرت تفهم من هي ماري حقًا.. ماري هو اسم الزوجة كما لك أن تتوقع.. ومقابله في اللغة العربية.. مريم.

*****

-دعني أسأل وأجبني بصدق.. ألم تفكو في الزواج يومًا؟ (سأل طارق)

-كنت مُتزوجًا يومًا ما قبل أن تعرفني. (أجاب خالد)

تعجّب طارق وسأل بفضول:

-و أين ذهبت؟

-مريم.

غمغم بها خالد وهو سارح, قبل أن يقول في عصبية:

-دعنا لا نتكلم في هذا مُجددًا.

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ٢:٠٠ص

انعقد حاجبا طارق قبل أن يكمل مُتسائلاً:

-لكن قل ليّ.. لا يبدو لي أنني أيقظتك من النوم, ليس من عادتك أن تكون مستيقظًا في هذا الوقت!

رد خالد:

-لا تهتم.. فقط أشعر ببعض الأرق من كثرة التفكير في هذه القضية.

-لكن يبدو لي من ثيابك أنَّك كنت خاوج المنزل. (قال طارق)

-اااا .. في الواقع نعم, كنت فقط أشم بعض الهواء, السؤال الأهم من سؤالك هذا هو: لماذا كل من يملكون لثغة في حرف الراء يقع حرف الراء دائمًا في أسمائهم؟ (طرح خالد سؤاله مازحًا)

*****

(١١)

٥- يونيو- ١٩٧٨ (ليلاً)

كان الطفل خالد, ابن السابعة, جالسًا أمام شاشة التلفاز التي امتلأت بخليط من اللونين الأبيض والأسود بدرجاتهما، بينما ترامت حوله بعض الألعاب البلاستيكية والحيوانات القُطنية.. قبل أن تنادي الأم بصوت يجمع بين النعومة والصرامة:

-خالد, قمْ لتغسل أسنانك حالاً؛ فلقد حان موعد نومك.

-لكني لا أريد الذهاب للنوم.. دعيني أرجوكِ.

قالها خالد الصغير مُتوسلاً، فقالت الأم بتعب:

-كل يوم نفس الكلام! اذهبْ بسرعة لتغسل أسنانك ولتنمْ.. لا أريد أي نقاش.

طرقت الكلمات أذن الصغير.. فنهض عن الأرض مُستسلمًا, وتوجه إلى الحمام مباشرةً، ودلف إلى داخله قبل أن يشرع في ضغط قابس الكهرباء لتضيء لمبة الحمام.. شدّ الكرسي البلاستيكي الصغير الموضوع في أحد أركان الحمام حتى يصعد فوقه ليتمكن من رؤية وجهه الصغير بالمرآة, و..

في تلك اللحظة انغلق باب الحمام فجأة وبقوة, حتى كاد صوت انغلاقه يصم أذن الصغير.. ثم انطفأ نور الحمام, فسقط الظلام ثقيلاً على المكان، ليتحطم شعور الأمان بداخل الصغير, فلم يتبقَ سوى الخوف.. والرعب.

شُلّت حركة الفتى بالكامل, بدأت خلايا جسده تنكمش على بعضها بعضًا من الخوف. يُحاول الصراخ, لكنه شعر وكأن يد الظلام تكتم نفسه. من وسط الظلام بدت له نقطة نور، شعر وكأن بينه وبين تلك النقطة مسافة كبيرة

كمسافة شارع كبير!

رغم كونه طفلاً واسع الخيال, رفض عقله أن يقتنع بفكرة أن يكون الحمام قد اتسع من حوله فجأة, ربما تكون نقطة النور مجرد ثقب في الحائط, لكنه بدأ يتخلى عن تلك الفكرة، عندما رأى تلك النقطة تكبر وتصبح أقرب. إنَّ هذا الضوء يأتي من ناحية المرآة, أو بالأدق.. من داخل المرآة!

إنَّ بقعة الضوء تزداد اتساعًا وقربًا, تمكَّن أخيرًا من فهم ماهية هذا الشيء.. إنها شمعة, لكنها لا تتجول وحيدة, إنها في يد شخصٍ ما.. شخصٍ بدأت معالم جسده في الاتضاح كلما اقترب منه أكثر.. يمكنِك أن تتخيلَ شعور الصغير وهو ينظر إلى شبح يحمل شمعة.. ويتجوَّل بها داخل مرآة حمام منزله, اقترب أكثر وأكثر, ضرب الضوء الأصفر للشمعة الوجه المُعتم لحاملها, فظهرت ملامحه, أو ما تبقى من ملامحه المُشوَّهة.

صرخ الصغير بكل ما في أحباله الصوتية من قوة, وفقد توازنه من أثر الصدمة ليقع من فوق الكرسي الصغير وسط الظُلمة, لكن ما حدث بعدها كان غريبًا؛ إنه لا يشعر بالأرض!.. إنَّ جسده مُستمرٌ في السقوط وسط الظلام.. يسقط إلى ما لا نهاية. أخيرًا، شعر بأن جسده قد توقف عن السقوط.. لقد استقر جسده في وضع جلوس فوق الأرض, وكان مستندًا إلى إحدى زوايا الحمام, أو أيًّا كان هذا المكان. انتبه لضوء الشمعة الذي لا زال يطارده, لكنَّ حامله قد خرج من المرآة وأصبح يمشي حرًا ليقترب منه.. انكمش الصغير على نفسه وهو يرتعش, اقتربت الشمعة أكثر, ظهرت تفاصيل حاملها أكثر, لكن هذه المرة كانت ملامحه أوضح وأكثر بشاعة.

فتى صغير، في مثل عمره تقريبًا، يرتدي منامة بيضاء مشبعة باللون الأحمر، دماء.. وجهه مُشوَّه بنسبة كبيرة, من الصعب أن تقوم بتحديد مكان العين

من الأنف أو الفم في هذا الوجه.

لطالما أحبِ اختلاس النظر إلى شاشة التلفاز ليلاً دون أن يشعر والداه بأنه لا زال مُستيقظًا.. في أفلام الرعب التي يشاهدها والداه أثناء فترة نومه, هناك قواعد مهمة جدًا لحفظ السلامة.. أولها: إذا أردتَ البقاء حيًا، فعليك التوقف عن كونك حيًا!

توقّف الفتى عن التنفس, أخبر نفسه بأن تلك هي الطريقة المناسبة حتى لا يلاحظ ذلك الشبح وجوده, لكن هناك صوت آخر يصدر منه.. من صدره تحديدًا, يبدو أنَّ تلك هي ضربات قلبه المذعور.

صوت الدقات يعلو..

أيها الأحمق توقف عن الخفقان.

الدقات تعلو

إنه قريب منه جدًا.

لا زال قلبه يخفق بقوة

إنه يقف على مسافة نصف مترٍ من الصغير, إنَّ الشمعة بيده تُضفي على الأجواء طابعًا شيطانيًا مرعبًا.

تكاد ضلوعه تتكسّر من شدة خفقان قلبه.

كاد قلب الصغير أن يتوقف عندما تكلم هذا الشيء ليقول:

-الرائد خالد.

إنَّه يتكلم, هذا هو صوته, لكن ما معنى الرائد خالد؟ هل يقصده؟!

-أريد المساعدة.. قد لا تفهم ما أقول, لكن حاولْ أن تستمع إلى كلماتي جيدًا.

كان ذلك الشيء يتكلم من فم غير معلوم المكان وسط وجهه المُشوّه.

أراد صغيرنا الصراخ, لكن صوته مكتوم!

-إنَّ الذي تبحث عنه قريبٌ جدًا.. هناك خطرٌ يهدد من تحب, هناك شخصٌ يتلاعب بك.

كان ذلك العفريت أو الشبح يتكلم بشكلٍ متقطع, بينما بدأ بعد التشويش يصيب صورته وكأنه يتلاشى ويختفي.

- أنقذْ نفسك.. أنقذْها, أنقذْ زوجتك.

تلاشى ذلك الشبح من أمامه فجأةً فتسرَّبت صرخة من حلق الفتى الصغير هزت الظلام من حوله وفتّت ذراته.

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ظهراً) (منزل خالد) ٠٠:١م

-استيقظْ.. استيقظْ.. يا أستاذ خالد! استيقظْ.

محاولاتٌ مُستميتة من الدكتور ميشيل لإيقاظ الرائد خالد من إغمائه الذي استمر لساعات.

أخيرًا.. أفاق خالد مفزوعًا, وهو ينظر يمينًا ويسارًا وسأل:

-ماذا حدث؟

رد دكتور ميشيل قائلاً:

-لم يحدث شيء, فقط كان ضغطك عاليًا ويبدو أنَّ هناك بعض الأشياء التي ساهمت في أن يُغشَى عليك.

نظر خالد مطولاً إلى وجه الدكتور يحاول استيعاب الأمر:

-أغشي عليّ! ماذا حدث بالضبط؟ كيف دخلت إلى هنا؟

أجاب دكتور ميشيل:

-سمعت صوت صرخة قادمًا من ناحية شقتك ليلاً فأسرعتُ أنظر في الأمر, وعندما طرقت باب شقتك لم أتلقَ أي رد, فهرعت أنا وأحد سكان العمارة لكسر باب الشقة, ووجدتك فاقد الوعي بغرفة المكتب, فقمت بإعطائك بعض الحقن والمقويات وانتظرت بجوارك لأتأكد من سلامتك.

قال خالد مُتعجبًا:

-صوت صرختي! لا أتذكر شيئًا كهذا! كل ما أذكره هو.. في الواقع لا أذكر أي شيء.

نظر الدكتور سلامة إلى خالد نظرةً مليئةً بالشفقة وقال:

-أنت مصابٌ بانهيار عصبي يا أستاذ خالد. الوحدة وارتفاع ضغط الدم وحالات الهلع والذعر التي تصيبك, والتي رأيتُ بنفسي جانبًا منها أثناء محاولتي إيقاظك الآن. ضف على كل هذا الأرق الذي تسببه لك طبيعة عملك.. كل هذه الأمور مؤشر لانهيار عصبي.

كان خالد مصدومًا بعض الشيء من كلام الدكتور فسأل:

-هل الأمر بهذه الخطورة؟

-إذا استمر الأمر على هذا المنوال, ففي أفضل الظروف سوف تقتل نفسك.

(سكت هنيهة ثم أردف) في أسوأها قد تقتل شخصًا آخر.

نظر خالد في عيني دكتور ميشيل في رعب.

شرع دكتور ميشيل يخط بعض أسامي المهدئات على ورقة معه بلغة تشبة الطلاسم التي لا يستطيع فكّها سوى دكتور الصيدلية.. أشعر في بعض الأحيان أنّ تلك الطلاسم ليست فعلاً سوى لغة مشتركة بين خريجي كلية الطب وكلية الصيدلة حتى لا يفهمها العامة أمثالي من خريجي كلية الشرطة والكليات الأخرى.

ناول ميشيل الورقة لخالد وهو يقول:

-اعتنِ بنفسك.. وحاول أن تزور طبيبًا نفسيًا, الوحدة تكاد تقتلك يا صديقي.

ألقى خالد نظرة على الورقة التي ناوله إياها دكتور ميشيل يحاول أن يفهم ما كُتب فيها، لكنه لم يفهم شيئًا، لم يفهم سوى ثلاثة أحرف كُتِبت أعلى الورقة، د/ س . م.. يبدو أنّ هذه طريقة دكتور ميشيل في التوقيع، فهو يضع فقط الحرفين الأولين من أحرف اسمه "سامي ميشيل"

لم يطل وجود ميشيل أكثر من ذلك, رحل وترك خالد حائرًا قلقًا. كان دكتور سامي ميشيل هو الجار الساكن في الشقة المقابلة لشقة خالد، يتميز بشعره المُجعّد الطويل الذي يشكّل قبة من الشعر فوق رأسه, وذقن خفيفة مع نظارات طبية ذات إطار رفيع, ضخم الجثة, أرمل, وحيد, يعمل طبيبًا بشريًا, لكنه توقّف عن مزاولة المهنة منذ فترة ليست بالقصيرة، يعيش على مصدر دخل مجهول، يُقال إنّ لديه الكثير من الأموال بأحد البنوك، ويعيش على العائد الشهري منها، تربطه بخالد جيرة طيبة منذ سنين، ويبدو أنّ تلك العلاقة الطيبة قد ظهرت عندما سمع الدكتور سلامة صوت صراخ خالد وقت الفجر ولم يتكاسل في الذهاب واستكشاف الأمر.

لم يشغل حديثه مع دكتور ميشيل عقله بقدر ما انشغل بالحلم, أو الذكرى المرعبة, إن شئنا دقة التعبير.

الحمّام, المرآة, الظلام, صراخه, الفتى ذو الوجه المُشوّه, الشمعة.

حادثة مرعبة حصلت له منذ ما يقارب الثلاثين عامًا, لكنه لم يكن يذكر منها شيئًا حتى اليوم. لقد قام عقله الباطن بحذفها من ذاكرته مع مرور الزمن, لو لم ينسَ تلك الحادثة لما كان قد استطاع أن يدخل إلى حمام بيته بعد ذلك ثانيةً, يتذكر عندما ظل يصرخ في الحمام لدى اختفاء ذلك الشبح في الظلام..

فتحت والدته الباب مسرعةً واحتضنته حينها, حاولت أن تستعلم بعدها عن سبب صراخه في الحمام فكان يجيب بـ :

-لا أذكر شيئًا يا أمي.

لم يكن يكذب عندها؛ فلقد نسيِ أو تناسى الحادثة بالكامل.. بكل تفاصيلها.

اليوم تذكّر الحادثة بكل تفاصيلها المرعبة.

لكن لماذا الآن؟ ما السبب؟ هل ما رآه اليوم كان كفيلاً بتفجير تلك الذكرى أم ماذا؟ هل ما رآه أصلاً في الفجر كان حقيقيًا؟

امتزج واقعه بخياله وتلاشت الحقيقة بينهما.

*****

يبدو أنّ حياة الأشباح ليست مملة كما كنت أتخيل..

عندما كان خالد طفلاً صغيرًا, أغلق أخوه الكبير عليه باب الحمام كنوع من المزاح, ولسوء حظه انقطع التيار الكهربائي وقتها.. فوقع خالد على أرض الحمام وراح يصرخ, أثّر تعرضه إلى تلك التجربة المرعبة في حالته النفسية

جدًا, أصبحت تلك الذكرى مؤلمة للدرجة التي جعلت عقله مع مرور الزمن ينفيها إلى اللاوعي.. فنسى خالد تلك الحادثة تمامًا.

اكتشفت مؤخرًا أنْ بإيمكاني التسلل إلى أحلام الأحياء والتجسد لهم, فقم باستغلال تلك المزية وتسللت إلى أحلام خالد, وتمكنت من استخدام تلك الذكرى القديمة وتعديل تفاصيلها حتى أتمكّن من الحديث معه, لكن لا تزال قوانين الستار تمنعني, غير مُصرّحٍ للأموات بالإفصاح عن اية أسرار للأحياء.. فقط إشارات, غير مسموحٍ سوى بالإشارات.. من يريد فهم الحقيقة, فعليه أن يتبع الإشارات.

*****

(١٢)

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) ٠٠:٧م

انتظرتُ حتي أطبق الليل على الحي الذي يقع فيه منزل خالد بشوارعه ومنازله, الحديث منها والعتيق. جلست فوق كرسي وهمي في الهواء.. كنت طافيًا في الهواء, وحيدًا, يائسًا, وفي رأسي تدور آلاف الأفكار، كيف أساعد ذلك المدعو خالد؟ والأهم من ذلك.. كيف أساعد نفسي؟ ما تلك الحياة الغريبة؟ وما الذي قُدِّر لي بعد أن دخلت عالم البرزخ؟ هل سأبقى على هذا الوضع للأبد؟

وبينما كُنت غارقًا في عاصفة الأسئلة تلك.. حضر! أمام عينايَّ تشكلت بوابة دائرية زرقاء تشبه دوامةً وسط المحيط، كانت بعيدة عن أعين الأحياء, فلم يرها أحدٌ سِواي، خرج منها شبحٌ لرجلٍ بالغ, لو حاولت تخمين عمره فهو في الأربعين، لكنه في الحقيقة أكبر من ذلك بآلاف السنين، طوله يتجاوز الثلاثة أمتار، يمسك في يده صولجانًا, هو عبارة عن عصا طرفها العلوي يلتف كدوامة ليحيط بحجر أحمر يشع في نهاية الصولجان، حجر مُعيَّن الشكل ليس كمثل نورِه نورٌ على هذا الكوكب. فوق جسده رداءٌ أحمر اللون من خامة لا تشبه القماش الذي نعرفه.

وقف محلقًا أمامي قبل أن تنغلق البوابة التي خرج منها، ثم وجَّه صولجانه تجاهي, فأعماني نوره وقال متسائلاً بصوت يهز الكيان:

-ماذا تفعلين هنا أيتها الروح؟

قمت من مجلسي وفردت ساقاي الشبحيتيْن في الهواء قبل أن أرد:

-مرحبًا بك كبير حراس الستار, لقد سمعت عنك الكثير ويُشرِّفني لقاؤك.

لا تعبثْ مع حامي الستار؛ هذه هي القاعدة الأهم في عالم البرزخ. حامي

الستار يشبه كثيرًا مدرس الرياضيات الذي تمقته بشدة، أنت تعرف أنه يفعل الصواب، أنت تعرف أنه يريد لك الخير، لكن وبرغم ذلك أنت تكرهه.. تكرهه لحرصه الزائد على القوانين، في عالم الأشباح تحكمنا قوانيننا التي تنظِّم العلاقات بيننا وبين عالم الأحياء، وحارس الستار أو الحامي هو المسئول عن تطبيق تلك القوانين والمحافظة عليها من أي خرق.

قال الحامي:

-جئت أحذركِ أيتها الروح القلقة. إنّ حل مشاكل الأحياء ليست من اختصاصك.

تظاهرت بالغباء وقلت:

-ماذا فعلت لأستحق هذا التحذير؟

عاد صوته يدوي:

-لا تحسبْ أنني غافلٌ عنك لأنك فردٌ جديدٌ في عالمنا.. ابتعد عن البشري خالد؛ إنَّ ما تفعله قد يُسبِّب خللاً في الستار.

قلْتُ ممتعضًا:

-لكني لديَّ الحق في إرسال الإشارات للأحياء عن طريق الأحلام كما تفعل كل الأرواح.

قال الحامي:

-لكنَّك تجاوزت الحدود المسموح بها في التواصل.. لقد قمت باستغلال ضعف الستار في ساعات الليل الأخيرة لتتواصل بشكلٍ مباشر مع المدعو خالد؛ مما سبَّبَ له ذعرًا بالغًا, اسمعني جيدًا.. من الجيد أن يؤمن الأحياء بوجود عالم آخر حولهم؛ فهذا يعطيهم الأمل في الحياة بعد الموت، لكنْه لمن السيِّئ أن يتعرَّفوا على ملامح ذلك العالم قبل أن يتعرَّفوا ملامح الموت

أولاً.

لم أنطق بأية كلمة.. بل أنزلت عينايَّ إلى الأرض في أسى بينما يُكمل الحامي تحذيره:

-أنا فقط من يحق لي بواسطة صولجاني ذاك اختراق الستار بين العالمين وفعل ما شئت في أي وقت, وحتى أنا مُلزمٌ بقوانين عُليا.

رفعت بصرى إلى أعلى ناظرًا إليه وأنا أقول بصوت منخفض:

-حسنًا فهمت.

لفَّ الحامي حول نفسه كالإعصار وصوته يأتي من كل الاتجاهات ويتردد في مسامعي:

-حجر الستار يستشعر خطرًا كبيرًا.. خطرًا يهدِّد عالم الأحياء، وهذا يعني أنه لا مكان للعبث هنا.. عسى أن تكون قد فهمت التحذير، وإلا ستكون العواقب وخيمة.

أنهى تحذيره، ثم تبخَّر في الهواء وكأنه لم يكن.

الحامي.. أعرفه منذ اللحظة الأولى لي في عالم البرزخ.. يكفيك يومًا واحدًا فقط في عالم البرزخ حتى تعرف جيدًا من هو الحامي.. يقال إنه لولا الحامي.. لعاش الأحياء لياليهم تطاردهم أبشع كوابيسهم.. لا أخاف منه بقدر خوفي من الحكايات التي سمعتها عنه؛ قيل إنه يقوم بنفي الأرواح التي تخالف القوانين إلى مكان يدعي المنفى أو البُعد صفر.. وهو مكانٌ منفصلٌ عن الأبعاد الستة لهذا الكوكب, والذي يُعتبَر بُعد أو عالم البرزخ واحدًا منها.. يقال إنَّ البُعد صفر هو أسوأ مكانٍ يمكن أن يذهب إليه مخلوق، هو يشبه الشيء المعروف في عالم الأحياء بالثقب الأسود.. حيث لا وجود للزمان أو المكان هناك.. هناك حيث تُنسى وكأنك لم تكن يومًا.

رغم كلمات الحامي وتحذيراته, لكنني غير مقتنع بأن ينتهي دوري عند هذا الحد, لا أحب أن أترك أمرًا قد بدأته. إنَّ تهوري وغبائي عندما كنت حيًّا، هما اللذان أتيا بي إلى هذا العالم، ولا أعتقد أنني سوف أتخلى عن هاتين الصفتين الآن.

*****

في البداية كان الظلام.. وكان هو مولود الظلام.. ثم كان النور.. فخرجت الملائكة من رحم النور.

ثم كان فجرُ البناء.. فأضأت النجومُ الكون.

تمرد مولود الظلام.. وحارب لأجل أن يبقى الظلام.

حارب كي تبقى الفوضى والدمار.

فوزَّع الإله خلقه على أبعاد ستة.. وانحصر الظلام في بُعدٍ سابع.. ونُفي إليه مولود الظلام.

لكنه وجد طريقه بعد ذلك للخروج.

فوهب الإله المعرفة والقوة المحرَّمة إلى البشر.

فانتصر مولودُ الطينِ على مولود الظلام.

وحرَّم الإله استخدام تلك القوة المُحرَّمة على البشر.

لكن البشر حفظوها في مخطوطات.. فامتدت إليها أيادي أعوان الظلام, وبدأت الحرب اللانهائية.

(فصل صراع الظلام والنور.. كتاب مخطوط الظلام)

*****

(١٣)

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) (مكتب طارق: مديرية الأمن)

طرقات حذرة ومعدودة على باب مكتب طارق دفعت طارق للرد عليها:

-ادخل.

قالها فدخل العسكري الواقف على الباب قائلاً:

-هناك شخصٌ في الخارج يريد مقابلتك يا باشا, يقول إنّ اسمه إبراهيم مراد.

قال طارق:

-أدخله لي بسوعة.

خرج العسكري وأشار إلى إبراهيم بالدخول, فدلف إبراهيم, وأغلق العسكري باب المكتب خلفه.

جلس إبراهيم على الكرسي المقابل لطارق على المكتب.

-كيف حال ابن خالتي الظريف؟

تكلم إبراهيم, فنظر إليه طارق في غضب:

-ليست تلك هي زياوتك الأولى لي في مكتبي, زياوةٌ واحدة كفيلة بأن تجعلك تدوك كم أكوه المُزاح السخيف في مكان عملي.

ابتسم إبراهيم ابتسامة خفيفة وقال:

- شخص عجيب بحق!

-شكوًا على الإطواء.

-حسنًا.. ها قد جئت كما طلبت مني.

قال طارق:

-جئت بك لكي تخبوني بكل ما حصل معك عندما اتصل بك الوجل وأخبوك بأمو جويمة الطويق الصحواوي.. وأخبوك بجويمة أخوى لم تحدث بعد.

-لا يوجد ما أحكيه, لقد حكيت لك كل ما حصل.(قال إبراهيم)

-لديَّ طلبٌ منك إذًا.. أويد منك أن تويني وقم ذلك الشخص الذي اتصل بك.

-كنت أعرف أنك ستطلب مني هذا.. كلكم -رجال الشرطة- تطلبون نفس الطلب.

أنهى كلامه ثم أخرج من جيب بنطاله الجينز هاتف نقال صغيرًا من نوع(Nokia) تنير شاشته بلون أصفر مرسومٌ فوقها البيانات والأرقام بخطوط سوداء.. ثم قام بالعبث بأزراره قليلاً قبل أن يصيح:

-هذا هو الرقم.

قال طارق بلهفة:

-حسنًا.. أملني إياه.

-٠١٧*******

قرأ إبراهيم الرقم المكون من عشرة أرقام على مسامع طارق, فأخذ الأخير الرقم ثم قام بكتابته على لوحة مفاتيح هاتفه الـNokia ذي الكاميرا قبل أن يضغط على زر الاتصال الأخضر. رغم أنه توقع أنَّ هذا ما سيراه, لكنه لم يستطع أن يتظاهر بعدم التفاجؤ.

نظر طارق لإبراهيم مُتسائلاً بحدة:

-هل أنت متأكد من أنَّ هذا هو الوقم الذي اتصل بك عندها؟

ردَإبراهيم مُستغربًا سؤال طارق:

-نعم, أنا متأكد!

عاد طارق بنظره إلى شاشة هاتفه النقال لكي يتأكد من صحة ما رآه, فلم يجد شيئًا قد تغير, هو لا يتوهم ذلك.

فالرقم الذي أخذه من إبراهيم قد تم تسجيله قبلاً على هاتفه تحت اسم "خالد الشاذلي"!

ردَّ الطرف الآخر على المكالمة, فوضع طارق الهاتف على أذنه وبدأ حساب مدة المكالمة

>> الو.. الو؟.. طارق هل تسمعني؟ هذا وقتٌ غير مناسب للمزاح؛ فأنا في حال سيئة جدًا الآن<<

اتسعت عينا طارق من المفاجأة وعجز لسانه عن الرد, بينما لا يزال الطرف الآخر يتكلم.

>> أيها المهرج!.. ألو؟...ألو؟! <<

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) ١٠:٠٠م

هيا.. تعالي معي إلى مسرح(------).. حيث عرض أزياء كبير يُقام الليلة هناك.. تعالي معي يندخل عبر بوابة هذا المسرح, لكن لحظة.. هل معكَ دعوة إلى الحفل؟ لا عليك.. دع الأمر لي, أرأيت؟ لم يعترض الحارس على دخولك للمسرح. قلت لك دع الأمر لي.. تعال لنجلس على تلك الكراسي

لننتظر بداية العرض.. ها قد اجتمع جميع الحضور وقد فُتح الستار ليُعلَن عن بداية العرض, أترى هذه العارضة؟.إنها تمشي فوق المسرح برشاقة غزال وخفة فراشة, تبتسم فتكشف عن صف من اللؤلؤ اللامع, حورية ذات بشرة بيضاء, مليئة بالحيوية والجمال, ترتدي فستانًا زهريًا في لونه, عبقريًا في تصميمه, يزدان بقطع لامعة من الماس الحقيقي.

في حضور فستان كهذا عليك أن تكون حذرًا؛ فاللصوص يحيطون بالمكان من كل جانب, لذلك كان من الضروري أن توضع كل تلك الحراسة بالخارج.

ها قد انطفأ نور المسرح بالكامل.. أيُعقَل أن يكون عطلاً في الكهرباء؟ أم أنّ أحدهم عبث بسكين الكهرباء؟ ماذا سنفعل الآن يا صديقى في هذا الورطة؟ هل سمعت؟ إنه صوت العارضة؟ إنها تصرخ! لقد انهارت ديكورات المسرح واهتزَّ بأكمله, هل لمحت ذلك؟ لقد ظهر شيءٌ ما على المسرح وسط الظلام.. ثم اختفى واختفت معه العارضة! هل تم اختطافها؟ لماذا لا ترد عليّ؟ يا صاح؟ يا صاح؟ أين أنت؟ دعني أتحسّس مكان جلوسك, ياللهول.. أنت لست معنا! لم أتوقع أنّك جبان للدرجة التي تجعلك تنهار وتفقد وعيك بمجرد أن ينقطع التيار الكهربائي ويقوم سفاحٌ ما باختطاف عارضة أزياء, عليك أن تكون أقوى من ذلك.

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ١١:٠٠م

الأمور تتطور بسرعة, ينطلق طارق بأقصى سرعة على الطريق المؤدي إلى منزل خالد, يبدو أنّه قد أصبح متأكدًا من الشكوك التي تراوده عن خالد؛ فلقد جهّز مسدسه بالطلقات اللازمة لمنع هروبه من يده إذا واجهه بحقيقة ما عرف وحاول الفرار. ويبدو أنّ طارق حريص على أن تكون المواجهة بينه

وبين صديقه فقط, لكنه لا يعلم بوجود شبح طفل فضولي في العاشرة من عمره يجلس على المقعد المجاور له في السيارة.

*****

٢١- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ١٢:٣٠ص

أسئلةٌ كثيرة راحت تتخبَّط وسط حجرات عقلها, بينما تحاول استعادة اتصالها بالواقع, أين هي؟ ماذا حدث؟ لماذا تشعر بالخدر في جسدها بالكامل؟ كل ما تذكره أنها كانت تقف أمام حشد من الناس، تمشي فوق المسرح في حركات استعراضية تقوم فيها بعرض ما ترتدي من أزياء على الجمهورالذي أتى من كل حدب وصوب ليشاهد عرض الأزياء التي كانت هي الشيء الرئيسي فيه. تحاول أن تفتح عينيها ببطء شديد, لكن هناك شيء.. أو مخدرٌ ما يمنعها من استعادة وعيها, كانت تشعر بأنَّ جفنيها ثقيلان ثُقل شاحنة, لكنها نجحت في النهاية في فتح عينيها, فوجدت نفسها في مكانٍ مُظلم أشبه بقبر.. ينيره مصباحٌ زجاجي يعمل بالكيروسين. تنتبه حواسها لوجود شخص آخر معها في المكان.. فتنظر إلى أحد أركان القبر لترى رجلاً يجلس على الأرض, يحمل في يديه شيئًا يشبه تلك الجلود التي تُصنع منها الحقائب والأحذية التي تقوم بارتدائها أثناء العروض.. هذه الأشياء تُصنع عادةً من جلود الثعابين والتماسيح, لكن هذا الذي يحمله الرجل في يديه يبدو مختلفًا.. وأبيض اللون!

في تلك الأثناء بدأت تشعر بشيء من الألم في جسدها كله, ألم فظيع.. يزداد مع مرور كل لحظة.

توجَّهت ببصرها ناحية جسدها, فخرجت منها صرخة لا تعبِّر عن ١٪ من هول ما رأت؛ فعندما نظرت ناحية جسدها, وجدت نفسها عارية دون ملاب,

بينما تسيل الدماء على أرضية المكان لتصبغ الرمال بلون أحمر قاني.. لكن لم يكن الشيء الوحيد الذي جُرِّدت منه هو ملابسها؛ لقد تم تجريدها من جلدها أيضًا! تم سلخ جلدها عن جسدها بالكامل, حتى عن وجهها, كالشاة بعد ذبحها, لكن الاختلاف هنا أنها حية.. حيةٌ لترى جسدها الذي تحوَّل إلى كومة من اللحم الأحمر.

توقفت عن الصراخ؛ فلم يعد الصراخ قادرًا على التعبير عن ما ينتابها من ألم, ظلت تحملق في شرايينها التي أصبحت ظاهرة للعين فوق لحم عضلات جسدها, وهي تنزف من كل مكان في انتظار أن يفرغ ما بجسدها من دماء.. هل هي حية أم ميتة؟ هي غير قادرة على التمييز, كل ما أدركته أنَّ حياتها التي عاشتها كعارضة أزياء انتهت وتركتها كمسخٍ مسلوخ.

*****

٢١- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ١:٠٠ص

ترجَّل الضابط طارق من السيارة وأغلق الباب خلفه بقوة.. فقمت باستغلال جسدي الشفاف غير المادي في العبور من باب السيارة.. لماذا لا يعملون لي أي حساب؟ كوني شبحًا لا يعطيهم الحق في أن يعاملونني بهذا الشكل.

عندما خرجت من السيارة كنت في مقابلة منزل خالد الواقع في أحد أحياء القاهرة القديمة.. هرع طارق بسرعة وولج إلى البيت ثم أكل السلالم بقدميه أكلاً حتى وصل إلى الطابق الثالث.. كل هذا وأنا أتبعه طافيًا في الهواء خلفه, ولم أكن في حاجة إلى أن ألمس السلالم حتى.

وصلنا إلى الشقة رقم ٥ بالطابق الثالث, فطفق طارق يطرق الباب بقوة.. لم يحصل على رد! استمر في الطرق وقوة طرقاته في ازدياد, واستمر لدقائق على هذا الوضع, حتى إنه فكَّر في تفجير كالون الباب بمسدسه؛ عسى

أن يكون خالد مختبئًا بالداخل, لكن الصوت من خلفه جاء ليثنيه عن تلك الفكرة.

-أهلاً سيادة الضابط.

تجمّد طارق لوهلة في مكانه, والتفت بهدوء ليرى من المُتكلم فوجده دكتور ميشيل، جار خالد القاطن بشقة ٦، كان من الواضح أنَّ طارق يعرف دكتور ميشيل جيدًا؛ فهو جارٌ قديمٌ جدًا لخالد.

بدا أنَّ الرجل قد صعد لتوه من الأسفل وهو يحمل في يده حقيبة جلدية سوداء, وابتسم لطارق ابتسامة متعبة، حياه طارق وقال بتوتر:

-أأأأأ نا أبحث عن.. عن خالد.. فهناك أمو عاجل.

اتسعت ابتسامة دكتور ميشيل وقال:

-للأسف لا أعرف أين يمكن أن يكون, لكن قبل أن أنزل من البيت في تمام العاشرة, سمعت باب شقته يُفتَح قبلها بحوالي الساعة أو النصف ساعة, ثم سمعت صوت خطواته على سلم البيت.. هذا يعني أنه نزل ولا أعلم هل عاد بعدها أم ماذا؟

سكت الرجل لوهلة ثم استطرد وقد اختفت الابتسامة عن وجهه:

-طارق.. أنت صديقه المُقرّب حسب علمي, أرجو أن تعتني به جيدًا؛ فلقد لاحظت أنه وحيدٌ تمامًا ولا يزوره أحدٌ غيرك, كما أنني أراه أحيانًا يخرج من شقته وهو في غير وعيه, جربت أن أنادي عليه في إحدى المرات فلم يسمعني.. كان كالنائم, أعتقد أنَّ حالته النفسية ليست على ما يرام.

-ماذا تقصد بالضبط؟ (سأل طارق)

-أعتقد أنه ربما يمشي وهو نائم.. هو مصاب بانهيار عصبي حاد ومشاكل

نفسية متعددة, لست قادرًا على تحديده لأنه ليس اختصاصي, لكنه في صباح اليوم أو صباح البارحة, بما أن الساعة تجاوزت الثانية عشر ليلاً, سمعت صوت صراخه, واقتحمت شقته لأجده مغشيًا عليه, وأثناء محاولتي إيقاظه, كان يهذي بكلماتٍ غريبة.

-كلمات؟!

-أجل.. كلمات مثل ستعودين.. القلب.. الكتاب.. الثالث والعشرون.. واسم تكرر كثيرًا.. مريم.. مريم.. هل لديكَ تفسيرٌ لتلك الكلمات؟

*****

(١٤)

٢١- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا)

قصاصة من جريدة يوم الخميس ٢١- ديسمبر-٢٠٠٦
في ليلة الأمس ٢٠ ديسمبر, وفي تمام الساعة العاشرة والنص مساءً، قام شخصٌ ما بقطع التيار الكهربائي عن مسرح(-----)، ثم جرت عملية اختطاف عارضة الأزياء المشهورة «سيرين» أثناء قيامها بعرض أزياء خاص تحت رعاية وتنظيم جمعية سيدتي، كما قام المختطف بتحطيم بعض ديكورات المسرح، مما تسببت في سقوطها فوق المدعوين وإصابة بعضهم، ولا يوجد حتى الآن تفسير للكيفية التي تمكّن بها المختطف من الدخول للمسرح والخروج منه دون أن يلاحظه أحد أو يمسك به.
هذا وقد وصلت عربات الإسعاف وعربات رجال الشرطة بأقصى سرعة إلى موقع الحادث بقيادة المقدم(---------) والذي قال...

تفحص طارق الخبر المكتوب في جريدة اليوم عن حادثة اختطاف عارضة الأزياء, بدأ في ربطه مع قضية الساحر المهووس, والذي أصبح متأكدًا بشكلٍ كبير من كونه خالد.

هذه العارضة هي مجرد ضحية أخرى من ضحايا محاولة القاتل لإيقاظ زوجته.

حسب كلام دكتور ميشيل, فإنّ خالد خرج من شقته في حوالي التاسعة أو التاسعة والنصف.. هذا يعني أنه لم يكن بشقته وقت وقوع الحادث.

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة ١٠:٠٠م

يجلس وحيدًا في أحد تلك المطاعم الواقعة على ضفاف النيل في انتظار شخص لن يأتي أبدًا, دائمًا ما يأتي إلى هنا كلما شعر بالإرهاق أو التعب؛ فهذا المكان يحوي الكثير من الذكريات المهمة له.

-حبيبتي.. مريم.

كان سارحًا في حركة السفن والمراكب العابرة من أسفل الكباري بينما هي طافية فوق صفحة النيل المظلمة ليلاً.

وبينما هو مسافرٌ عبر أحلامه وكوابيسه يفكر في ماضيه الكئيب وحاضره الأكثر كآبة, يفكر في في كل الأشياء الغريبة التي حدثت معه خلال هذه الأيام.. بينما يفكر في كل ذلك, جذبه صوت أحدهم إلى واقعه المؤلم:

-سيادة الرائد خالد.

استدار خالد نحو صاحب الصوت, وركز في ملامحه قليلاً قبل أن يتذكره:

-أستاذ محمد! كيف حالك؟ آسف, لم أنتبه لوجودك.

رد الرجل قائلاً:

-لا عليك.. أنا بخير, لم أرك منذ فترة طويلة!

قال خالد:

-مشاغل كما تعلم, تفضل.. تفضل بالجلوس.

أشار خالد إلى الكرسي المقابل له على الطاولة، فجلس الرجلان يتسامران دون توقف حتى ساعة متأخرة من الليل ولم ينتبه خالد لمرور الوقت.

*****

٢١- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة١٠:٠٠م

لقد مللت حقًا.. ألا يستريح هؤلاء القوم أبدًا؟

كان طارق جالسًا خلف مكتبه يفكر، بينما أتقافز أنا أمامه يمينًا ويسارًا محاولاً كسر هذا الملل.. ثم أُخرج لساني له كالأبله مُستغلاً كونه لا يراني.

أردت أن أُخرجه من حاله السكون التي كان فيها, فشرعت أحاول إسقاط ذلك البرواز المعلق أعلى مكتبه, والذي يحمل بين إطاراته الأربعة صورة لرئيس البلاد، لكني في أضعف حالاتي الآن ولا يمكنني حتى تحريك ريشة.

وبينما أنا مستمر في محاولاتي المستميتة تلك, لاحظت أنه قد قام من خلف مكتبه وأمسك بهاتفه الجوال ثم ضغط على بعض الأزرار، قبل أن يعلن الهاتف اتصاله بخالد.

انتبهت للأمر فأرهفت السمع:

-ألو؟ (قال طارق)

-ألو.. كيف حالك يا طارق؟ (رد خالد من الجهة الأخرى)

-أنا بخيو, أويد أن أقابلك اليوم بعد ساعتين من الآن. (قال طارق بحدة)

-لماذا؟ وأين؟ (سأل خالد متعجبًا لهجة صديقه)

-لنتحدث في أمو مهم جدًا, وسنتقابل على ضفاف النيل.. تحديدًا في.....

شرع طارق في إعطاء إحداثيات المكان لخالد بينما أقف أنا غير مدركٍ لما يجري هنا, عليَ أن أكون هناك, لن أدع أمرًا كهذا يفوتني.

*****

١٨- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) (وسط البلد)

شوارع وسط البلد, حيث يمكن لأعتى القتلة والمجرمين الاختباء وسط زحام البشر دون أن يشعر بهم أحد. على رصيف أحد الشوارع الجانبية, حيث لا يُسمَع سوى دبيب الخطوات البشرية من الشوارع المجاورة ولا ضوء سوى أعمدة الإنارة ذات الضوء البرتقالي, وقف شخصان يتشح أحدهما بالسواد, بينما كان الشخص الآخر شابًا عشرينيًا ذا نظارات بإطار معدني رفيع، وشعر بني خفيف، وعيون عسلية، وجسم نحيل، ويرتدي كنزة صوفية وبنطالٍ من الجينز, بالإضافة إلى قلم ازرق خلف أذنه اليمنى.

استهلَّ الشاب صاحب الكنزَة والنظرات في الكلام قائلاً:

-ها قد جئت كما اتفقنا, رغم أنني لم أصدق كلمة مما ذكرت عندما حدثتني في الهاتف منذ ساعات.

قال الرجل صاحب السواد:

-لا أطلب منك تصديقي؛ فهذا أمرٌ يخصك, أنا فقط أطلب منك أن تقوم بمساعدتي في الإيقاع بشخصٍ ما.

-وما الذي يدفعني لفعل ذلك؟

-أشياء كثيرة.. أنت شابٌ في بداية طريقك وتحتاج إلى الكثير من سنوات العمل حتي تستطيع أن تكون زوجًا وأبًا، حلم كل شاب في سنك أن يتمكن من فتح بيت.

سكت إبراهيم يفكر في كلام الرجل, فقاطع الرجل تفكيره بسرعة وأردف:

-لا تفكرْ كثيرًا؛ فنور لن تنتظرك طويلاً.

دُهش إبراهيم من ذكر الرجل لاسم نور فسأل بحدة:

-ماذا تقص؟ ما أدراك أنت بنور؟

تكلّم الرجل بنفس اللهجة الواثقة التي يتكلّم بها منذ اللحظة الأولى وقال:

-لا تسألْ كثيرًا.. في إمكاني أن أمدك بالمال اللازم, ولو أردت فبالقوة اللازمة لتكون صاحب جريدة.. وليس فقط مجرد صحفي صغير يجري خلف القضايا.

تردّد نور الدين قليلاً, لكن الرجل صاحب السواد استطرد قائلاً:

-لا تخف لن يصيبك مكروهٌ ما.. لا أنتَ ولا أي شخص مُقرَّبٌ منك.. فما قولك؟

سأل نور:

-وما الضمانة التي تقدمها لي؟

رد الرجل بثبات:

-بينما نحن نتكلم, هناك عشرة آلاف جنيه تم تحويلها إلى حسابك البنكي الذي فتحته منذ عامين.

وقف إبراهيم مشدوشًا لوهلة وقال:

-لكن.. (قاطعه الرجل)

-من دون لكن, إذا وجدت أنَّ النقود غير موجودة فلا تنفذ ما سنتفق عليه, ثم إنَّ هذا المبلغ مجرد بداية.

ردَّ نور بثبات ودون تردد:

-حسنًا أنا موافق.

وضع نور يده في يد الشخص صاحب السواد قبل أن يستكمل قائلاً:

-حسنًا أخبرني بما تريده.

*****

(١٥)

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة٠٠:١٢ص

يجري النيل بسلاسة وهدوء نحو الشمال عازفًا لحنه الساحر الآتي من قلب القارة الإفريقية السمراء, يجري مُحمَّلاً بالعديد من الحكايات التي حدثث وسردت على ضفافه, مُحمَّلاً بأصواتٍ لأشخاصٍ يثرثرون على ضفافه بالإيطالية والفرنسية والعربية وغيرها من اللغات, واليوم سيكون النيل شاهدًا على جزء من حكاية جديدة.

أسفل أحد الكباري العابرة فوق النيل.. وبعيدًا عن الزحام وصوت أبواق السيارات والحناجر البشرية، وقف خالد في انتظار طارق، يتساءل في قرارة نفسه عن سر طلبه الحضور إلى هذا المكان؟! ربما لارتباط هذا المكان بقضيتهما الأولى معًا منذ خمس سنوات! لكن هذا ليس وقتًا مناسبًا لاستعادة الذكريات، ربما لأمرٍ آخر خطير!

وبينما يتأمل صفحة الماء وهو غارق في أفكاره, شعر بملمس حديدي بارد يعرفه جيدًا؛ أحدهم يوجِّه مسدسًا نحو رأسه مباشرةً! التفتَ بسرعةٍ وقد سحب سلاحه هو الآخر في أجزاء من الثانية ووجهه ناحية الشخص الواقف خلفه ظنًا امنه أنه أحد قطاع الطرق, ليُصدَم بهوية الشخص الذي يشهر السلاح في وجهه.

-طارق!

نطق بها خالد وقد اتسعت عيناه من المفاجأة، قبل أن تمر نسمة باردة على المكان, فتهتز لها فروع الأشجار وترتعش معها خلايا جسديهما والموجودات من حولهما.

أعاد خالد سلاحه إلى الحامل المختبئ خلف بذلته الرمادية, وقال وهو يبتسم:

- مزاحك سخيف.. أنزلْ سلاحك.

رد طارق والجدية لم تفارق وجهه:

-لم آت هنا لأمزح.

قال خالد مُتعجبًا:

-ماذا بك يا طارق؟ ما هذه الجدية؟

-لا داعي للتظاهو بالبواءة, فأنا صِوْتُ أفهم وأعوف كل شيء.

-عن ماذا تتكلم؟ أتظاهر بماذا؟

-حسنًا.. فلنكن واضحين.. أنا أعوف بأنك كنت السفاح الذي بحثنا عنه طوال الوقت.. أنت مُوقظ ماوي من قبوها.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة١٢:٠٠ص

رنين الهاتف المنزلي يرُجُّ جدران المنزل الذي كان السكون يُحكم قبضته عليه, فتقدمت تمشي بخطوات هادئة في اتجاه الهاتف حتى ترد على المتصل وتوقف تلك الضجة, فيعود السلام ليحل على المكان من جديد. تخطو وسط الظلام الذي غلّفها بعباءته السرمدية ليخفي جمالها الأخّاذ, لكن, وعلى الرغم من هذا, يمكن ملاحظة خصلات شعرها البُني وعيونها العسلية يلمعان وسط الظُلمة.

يتردد صوت الهاتف عبر جدران شقتها الصغيرة فتنكمش مشيتها رعبًا.. لكنها

تستمر، تقترب أكثر من الهاتف ثم ترفع سماعته في حذر قبل أن تقول بصوت يشابه في سحره صوت نداهة تصيح باسم ضحيتها من بين حقول الذرة:

-ألو؟

(صمت)

-ألو؟ (كررت)

لا زال المُتصل مُصرًا على الصمت, لكنها تسمع صوت أنفاسه في السماعة.

-من المتصل؟

سألت فسكت صوت الأنفاس للحظات قبل أن تسمع صوت ضحكته من الجهة الأخرى. توترت بشدة وفقدت التحكم في أعصابها فصاحت:

-من المتصل؟

-مرحباً يا عزيزتي. (تكلم أخيرًا)

-من أنت؟ سوف أغلق الخط.

تهدده بصوت مرتجف، يقويه أكثر.

-أنا جاك السفاح, قاتل فتيات القرن الواحد والعشرين.. وأنا قادمٌ إليكِ كي أنتزع قلبكِ من بين جدران ضلوعك.

ضربات قلبها بدأت تعلو.

-استشعر دقات قلبكِ تعلو من هنا وأسمعها تصيح صارخة.. لب دوب لب دوب.. هأهأهأهأه.. دعيه ينبض أكثر فأكثر, فعمًا قريب سأخرسه إلى الأبد.

انخرَسَت تمامًا، فسمعت بعد ثوانٍ صوت سماعة الهاتف تغلق على الجهة

الأخرى.

ودَّتْ الصراخ لكنها هابت السكون.. كان قلبها ينبض بشدة مُتمنيًا أن تكون هذه المكالمة مجرد مزحة ثقيلة من أحدهم، لكنَّ شيئًا بداخلها يخبرها بأنه خطرٌ حقيقي، وقريبٌ جدًا.

*****

٦- قلب لشخص بنفس صفات قلب الشخص المراد إحياؤه.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة١٥:١٢ص

-حسنًا.. فلنكن واضحين.. أنا أعوف بأنك كنت السفاح الذي بحثنا عنه طوال الوقت.. أنت مُوقظ ماوي من قبوها.

وقف خالد صامتًا، غير مدرك لما قاله طارق، وعلامات الدهشة واضحة جلية فوق وجهه، فأردف طارق:

-كان عليَّ أن أعوف منذ البداية.. محاولاتك لإقناعي بأننا نطاود شبح اموأة يقتل الفتيات, كنت تحاول بها أن تُوبك عقول كل العاملين على القضية, لقد دوست كل النواحي جيدًا ودبوت لكل الأموو, وكوني لا أعوف الكثيو عن حياتك الخاصة جعلك تطمئن من جهتي, وكون خططك مجنونة وغيو قابلة للتصديق جعلك تثق أكثو في نجاحك.

توقَّف طارق عن الكلام لثوانٍ قبل أن يكمل بأسى, وهو لا يزال يشهر مسدسه في وجه خالد:

-وكونك صديقي والضابط المُكلَّف بالقضية جعلك آخو المشتبه بهم.

كان خالد يقف فاغر الفم لا يعرف ما يقول بعد ما سمع, بينما بدأت دمعة, أو هكذا خُيِّل لخالد, تنحدر على خد طارق.

ساد الصمت قليلاً قبل أن يكسره صوت زئير إحدى الشاحنات المارة من فوق الكوبري. أخذ خالد نفسًا عميقًا وتكلم:

- طارق! إن كنت تمزح فلقد صدَّقْتك, بل إنني مُوشكٌ على التصفيق لك لبراعتك, لكن لو كنت جادًا في كلامك فقل لي.. من أخبرك بهذا الهراء؟

رد طارق وقد بدأ يصبح أكثر جدية من ذى قبل, وأحكم قبضته أكثر على المسدس المُوجَّه نحو خالد:

-هذا أمو لا يعنيك, أنا واثقٌ من كل ما قلته.. حياتك.. تصوفاتك.. كل العلامات تصيح.. خالد القاتل..حتى..حتى زوجتك.

-زوجتي!

لم يفهم خالد ما عناه طارق بذكره لزوجته.. "ما دخل مريم بكل هذا"؟ هذا السؤال الذي دار في رأس خالد.. وأتته الإجابة سريعًا:

-أنت تسعى لإعادة إحياء زوجتك التي فقدتها منذ أكثو من خمس سنوات. تحاول أن تفعل ذلك مستعينًا بطقوس سحويه قديمة, وهذا ما يُفسو جمعك لجزء من كل ضحية تقتلها.. أنت تجمع أجزاء زوجتك الميتة.

خالد مندهش مما يسمع ولا يجد ردًا مناسبًا عليه:

-لقد جُننت تمامًا يا صديقي.. هل تصدق ما تقوله؟

رد طارق بسرعة وهو لا يزال بنفس درجة الجدية:

-وما الذي يجعلني لا أصدق؟ كما صدقت أنت بأن القاتل هو شبح اموأة

يخرج من الموآة حين أناديه!

قال خالد في تردد:

-هناك شيءٌ يجعلك لا تصدق.

قال طارق:

-لا أعتقد.

ابتلع خالد ريقه وقال:

-زوجتى لم تمت.. مريم لا تزال حية تُرزَق.

ووقعت الكلمات وقع الصفعة على وجه طارق.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة١٥:١٢ص

كان الرعب يجتاح كل خلجة في جسدها، لكنها حاولت أن تتماسك لتتمكن من طلب النجدة، وسط خوفها ورعبها، ولم تجد سوى شخص واحد لتستعين به، كانت تعتقد دائمًا أنه آخر شخص قد تفكر في الاتصال به، لكنها وجدت نفسها تفكر فيه حينها بشكل لا إرادي، كانت تحتفظ برقم هاتفه الجوال الذي أعطاها إياه منذ سنتين تقريبًا لأجل حالات الطوارئ، وها قد حان وقت استخدامه، اتصلت به قرابة العشر مرات لكن في كل مرة لا تحصل على رد، أيمكن أن يكون نائمًا؟

عندما فقدت الأمل في أن يرد، قررت أن تبعث له برسالةعله يقرأها في أسرع وقت، وبمجرد أن قررت الضغط على الخيار(إنشاء رسالة) من قائمة هاتفها النقال, سمعت صوت شخص أو شيء يعبث في غرفة نومها!

تملَّكها الرعب.. وشعرت بأنها قد فقدت التحكم في أطرافها, بدأت تخطو تجاه الغرفة بخطوات مُثقلة.. خطواتٍ كخطوات سلحفاء برية خائفة, حتي وقفت أمام باب الغرفة.

سمعت صوت شخص يتكلم من داخل الغرفة بصوت كهسيس الأفاعي.

(يامـ....دموا...ماري...دما....)

قرَّبت أذنها اليسرى من الباب وأرهفت السمع، فالتقطت بعض الكلمات من خلف الباب.

(ياماري ..دموية... ماري الدموية... قتلت أطفالك)

اتسعت عينيها العسليتين وهي تتساءل مذعورة عن ما يحصل بالداخل.

صرخة!..سمعت صرخة قادمة من الداخل فتراجعت إلى الخلف عدة خطوات فكادت تتعثر وتسقط أرضًا، انفتح باب الغرفة أمامها فجأة كاشفًا عن فتاة تقف داخل الغرفة, أو جثة فتاة إذا شئت الدقة. واقفة تنظر نحوها بوجه خالٍ من العيون.. لقد تم انتزاع مقلتي هذه الفتاة من وجهها, وأصبح مكانهما فراغًا أسودَ تسيل منه الدماء.

مشت تلك الجثة خطوتين خارجةً من الغرفة، فشعرت صاحبتنا بالرعب يعتصر قلبها، وأحسّت بشلل ضرب جسدها بالكامل، الجثة تقترب منها، تقترب أكثر، قبل أن تقع على الأرض فجأة وتهمد تمامًا.

شعرت صاحبتنا أخيرًا أنَّ جسدها أصبح حر الحركة, فجرت بأقصى سرعتها نحو باب الشقة وهي تصرخ، وصلت إلى الباب وحاولت فتحه, فوجدت باب الشقة موصدًا من الخارج، لم تفكر كثيرًا؛ حيث جرت بسرعة عبر أنتريهات وطرقات الشقة ناحية الحمام، لتغلق الباب على نفسها من الداخل ثم تجلس

على حافة حوض الاستحمام-البانيو- لتمسك بهاتفها النقال وتشرع في كتابة رسالتها.

خالد.. أرجوك ساعدني.. أنا في حاجة إليك.. لقد اتصل بي أحدهم منذ قليل ليهددني

انتبهت فجأة إلى شيء يسقط من السقف، شيء كقطرات ماء، لكنه ليس بماء، فلا يوجد مياه حمراء وبتلك الكثافة! بقعة السائل الأحمر تتسع فوق أرضية الحمام، فتضطر صاحبتنا إلى رفع عينيها المفزوعتين وتوجيههما إلى السقف، حيث مصدر قطرات السائل الأحمر.. الدماء.

جف ريقها وتسارعت نبضات قلبها وضاق نفسها, بل أصبحت غير قادرة على التنفُّس، عيناها الآن تنظران إلى جثة تتدلى من سقف الحمام مقلوبة رأسًا على عقب، جثة لفتاة تبدو صغيرة في السن, وقد تم انتزاع شعرها بآلة حادة عن رأسها بوحشية أدت إلى تشوهات كبيرة في الرأس.. وقد تم طعنها في مؤخرة رأسها بواسطة مقص غليظ صدئ لا يزال مستقرًا بها.

انتفضت صاحبتنا من مكانها وارتمت على باب الحمام تحاول فتحه, وعينياها لا تفارقان الجثة المتدلية من السقف والدماء تقطر من رأسها، فتحت الباب، ثم جرت في اتجاه الصالة بينما هي لا تزال ممسكة بهاتفها وتحاول أن تكتب.

أنا في الشقة وحيدة وهناك جثث مترامية حولي

كانت تجري ولم تنتبه إلى الشيء الذي تكاد تصطدم به على الأرض.

انكبَّت على الأرض وراحت تئن من ألم اصطدام جسدها بالأرض، أحسَّت أنَّها قد اصطدمت بشيء لزج و طري، فحاولت أن ترفع جسدها عن الأرض

مستخدمة يديها حتى تدير رأسها نحو الشيء القابع عند قدمها على الأرض، فاصطدمت بجثة لإنسان، قد تم تقشيرها كثمرة برتقال، حتى أصبحت دون جلد تمامًا، مجرد قطعة كبيرة من اللحم الغارق في الدماء, ومن الصعب تحديد إن كانت جسد رجل أم امرأة.

فزعت، وهبّت من مكانها وهي تتعثر وعظامها تتخبط في بعضها البعض من شدة الفزع.. راحت تزحف وهي جالسة على الأرض إلى الحلف وعيناها لا تفارقان الجسد المسلوخ, حتى التصق ظهرها بباب غرفة النوم الثانية, قامت وفتحت باب الغرفة ثم ولجت بسرعة وأغلقته، ووقفت تستند إلى الباب وهي تمسك بالهاتف محاولةً أن تنهي ما بدأت في كتابته.

أرجوك تعال.. أنا خائفة. **مريم**

كتبت آخر كلمات رسالتها قبل أن تضغط على زر الإرسال وهي تبكي، رفعت رأسها قليلاً لترى ما يقبع فوق سرير الغرفة، أو شخص ما، فتاة أخرى، مُسجَاةٌ فوق السرير، تم نشر عظام جمجمتها وإفراغها، وبالطبع كانت الوسادة من حول الرأس الفارغ غارقة في الدماء.

لقد وصل تحمُّلها أقصى مدى له، شعرت بأنها سوف تتقيأ في أية لحظة، امتقع وجهه رعبًا؛ فلا ملجأ لها. فتحت باب الغرفة ثم جرت ذهابًا وإيابًا كالمجنونة وهي ممسكة بالهاتف.

-أرجوك تعال بسرعة.

وسقطت على الأرض باكية.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) الساعة٢٠:١٢ص

-نعم, زوجتي لا تزال حية, لكنّنا انفصلنا منذ سنوات طويلة بسبب بعض المشاكلات فلم تطق العيش معي.

أنهى خالد كلامه, الذي كان بمثابة الصفعة فوق وجه طارق الذي تشتّت تفكيره تمامًا. استطرد خالد وسأل:

-ألم تفكر في أنّ أحدهم يحاول الإيقاع بي؟

قال طارق وقد وضحت الحيرة في نبرة صوته:

-فكوت.. لكن..

قاطعة خالد:

-ألم تفكر في أنّ أحدهم قد يرسم سيناريو يوافق طبيعة حياتى حتى يوقع بي؟

بدا التردد على وجهه طارق, وقد بدأت قبضته تتراخى عن المسدس الذي كان يوجهه في اتجاه خالد الذي قال:

-أنا لا أحدّثك كَوني رفيقك وصديقك, أنا أحدُثك بلغة العقل, إنّ الشخص الذي تمكن أن يقنعنا ولو للحظات بأن القاتل هو شبح امرأة يخرج من المرآة قادرٌ على أن يقنعك بأنني كنت السبب في خسارتنا لحرب ٦٧.

ابتسم طارق, وقد بدأ يميل إلى تصديق خالد، قبل أن يتحفز فجأة من جديد ويقول:

-لكن قد اتصل منذ ثلاثة أيام تقوبيًا شخصٌ ما بإبواهيم ابن خالتي الصحفي, وأخبوه بأنه القاتل وأخبوه بمكان جويمته القادمة, وعندما حصلت على وقم

المُتصل من إبواهيم, اكتشفت أنّ وقم القاتل هو نفسه وقمك, بماذا تفسو الأمر؟

قال خالد:

-لماذا لم تفترض أن يكون القاتل قد سرق هاتفي دون أن أشعر ثم اتصل بإبراهيم؟ دعنا نكون واقعيين.. ليس هناك من قاتلٍ أحمقَ يستعمل رقم هاتفه الحقيقي للاتصال بأحد ليخبره بأنه القاتل, لكني لم أخدعك يا صديقي, هاتفي كان معي طوال الوقت, ولم يسرقه أي أحدٍ مني أو حتى يستعيره.

قال طارق:

-لا زالت فكوة كونك القاتل تتلاعب بي وتدوو في عقلي, ذكو القاتل في مكالمته مع إبواهيم أنّ كل شيء سينتهي غدًا يوم الثاني والعشوين في منتصف الليل.. مع ميلاد يوم الثالث والعشوين, ولذلك سأضطو إلى اعتقالك غدًا بأكلمله؛ حتى أتأكد من أنك ستكون تحت عيني.. إجواء احتياطي.

بدا التوتر على خالد وهو يقول:

-لا تستطيع أن تحبسني دون أدلة, أنا ضابط شرطة مثلك.. هذه هي النقطة الأولى. النقطة الثانية.. أنا معي دليلٌ على ما أقوله, معي رقم مريم زوجتي.. يمكنني أن أثبت لكَ أنها حيَّة.

أخرج خالد هاتفه الجوال من جيبه, وعينه مثبته في عين طارق، قبل أن ينقلها إلى شاشة هاتفه، فيُصدَم بأنّ هناك عشر مكالمات لم يتم الرد عليها، ورسالة!

كان من الواضح أنّ هناك أمرًا طارئًا، فتح بسرعة لينظر في ماهية المتصل.. ليرى اسم مطلقته مريم!

-مريم!

نطق بها أمام طارق وعيناه على اتساعهما، فاقترب طارق بحذر وركّز حواسه، فتح خالد الرسالة ملهوفًا وقلّب نظره بين كلماتها بسرعة ليزداد اتساع عينيه ويسيطر الرعب على ملامح وجهه، ولاحظ طارق ذلك.

أسرع خالد يتصل بمريم وأصابعه تتعثر بين أزرار الهاتف من شدة التوتر، ضغط زر الاتصال وفتح السماعة الخارجية ليسمع طارق المكالمة، بمجرد أن سمعا الرنة الأولى، ردت بصوتها المرتعش من الجهة الأخرى:

" خالد.. تعال.. تعال بسرعة"

اتسعت عينا طارق وصرخ خالد:

-ماذا يحصل يامريم؟ هل أنتِ بخير؟ أخبريني.

تكلّمت بأنفاس متقطعة وصوت مذعور:

"إنه هنا, أنا واثقةٌ من ذلك.

-من هو يا مريم؟! (صاح خالد متسائلاً)

-لا أعرف مَن.. (صوت ارتطام بالأرض) هل سمعت هذا الصوت.. أرجوك تعال.. أخرجني من هذا الجحيم.

سكتت للحظة قبل أن تصرخ، صرخة هزت كيان خالد وطارق معًا.

-مريم.. مريم.. مريم.. ماذا يحصل؟

(صوت ارتطام شيء ثقيل بالأرض)

(أصوات احتكاكات وحركة)

ثم أخيرًا صوت إنسان يتكلم، لكنّه ليس صوت مريم، بل صوت رجل!

"سنخرج من هذا الجحيم معًا"

كان هذا آخر ما سمعاه قبل أن ينقطع الخط، ليسقط الهاتف من يد خالد الذي امتقع وجهه وشحب، ليركع على ركبتيه أمام صديقه طارق الذي عجز لسانه عن نطق الحروف السبعة وعشرين التي يجيدها.

*****

١٢/٢٢

اِلتِحامُ العالمين

في وقت حكم الظلام.. ومع اقتراب ساعة الذئب.

حينما تجتمع القرابين فوق رمز الوجود السداسي.. ويُسقى تراب العالم بدمائهن..

فتتحرر كيانات الظل العالقة في نسيج الستار

وتصفر الأرواح الخالدة.. لتقلق ثبات الموتى

حيئذٍ يخرج الظلام.



(١٦)

قصاصة من جريدة يوم الجمعة الموافق ٢٢- ديسمبر-٢٠٠٦

تمَّ العثور مساء البارحة على جثة لسيدة في أحد القبور في حال لم يُسبَق لها مثيل؛ فقد تم سلخها بالكامل بحيث لا تظهر منها أي معالم, وقد عُثر عليها أثناء فتح القبر لدفن إحدى جثث الموتى ليصطدم الجميعَ بجثتها ملقاة داخل القبر وسط بركة من الدماء المُتجلِّط.. مما أثار الفزع في قلوب الناس وجعلهم يفرون هرباً ، هذا وقد حضرت قوات الشرطة إلى موقع اكتشاف الجثة بقيادة المقدم...

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) ٣:٠٠ص

اليوم ينتهي كل شيء، وعليَّ أن أساعدهم بكل ما أستطيع، لم أقف مكتوف الأيدي كما طلب مني الحامي، أنا الوحيد القادر على مساعدتهم.

لكن كيف؟ لقد نفدت جميع الحيل لدي، ليس في إمكاني أكثر من ذلك، كل شيء سينتهي في الثانية عشر صباحًا؛ أي في منتصف الليل مع مولد يوم الثالث والعشرين.. أقل من يوم، وحدهما لن يستطيعا الوصول، إلا إذا.. خرقت بعض القوانين.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) ٣:٠٠ص

عندما وصل خالد وطارق إلى العمارة التي تقطن بها مريم, أسرع خالد بالصعود ومن خلفه طارق يحاول اللحاق به، وبمجرد أن وقفا أمام باب

الشقة, شرع خالد في طرق الباب بجنون، لكن وكما هو متوقع؛ لا جواب.

لقد اختفت مريم، وكالعادة لا أثر للاقتحام. استخدم خالد مسدسه ليقتحم باب الشقة، طلقة واحدة كانت كفيلة بتحويل مزلاج الباب إلى شظايا. اقتحم خالد الشقة ومن خلفة طارق وراح يجول ببصره في أنحاء الشقة المُظلمة وهو ينادي اسم "مريم" كالمجذوب، كطفلٍ يبحث عن والدته وسط الزحام.

مدّ طارق الواقف عند الباب يده إلى قابس الكهرباء وضغط عليه، فأضاءت الصالة بالكامل، فانحسر الظلام عن الحروف المرسومة على حائط الشقة؛ كلمات رُسمت بلون أحمر هو للدماء أقرب. صُدِم خالد من اللون الأحمر، لكنه لم يُدهش مما كُتب، وكأنه كان يتوقعه، كانت الجملة المُدوَّنة على الحائط هي..

(لأجل ماري).

ماهي إلا لحظات حتى كان سكان العمارة يتجمعون أمام باب الشقة من أثر صوت طلقة خالد، النوم يداعب أعينهم الغاضبة المتوعدة، وملابسهم تشير إلى أنّ خالد اقلق راحتهم، وهم الآن غاضبون بشدة.

استغرق الأمر من خالد وطارق حوالي ربع ساعة أو أكثر قليلاً حتى يتمكنا من شرح الموقف لكل هؤلاء، ليُأكدوا لهم أنهما ضابطا شرطة وليسا لصيْن يحاولان السطو على البناية.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (فجرًا) ٥:٠٠ص(مديرية الأمن)

-اهدأ يا خالد.. سيكون كل شيء بخير.

قالها طارق الجالس لخالد, الذي راح يلف في المكتب والعفاريت الزُرق

تتقافز أمام عينيه.

-كيف أهدأ؟ ألم ترَ معي الدماء على الحائط؟ لم أتوقع أن يطل الأمر مريم.

كان خالد يصيح وطارق يحاول احتواء غضبه:

-هناك احتمال ألَّا تكون الدماء على الحائط دماءها.

-إذا أصابها شيء، صدقني سوف أمزقه إربًا بمجرد أن يقع بين يديَّ، ولن أنتظر تقديمه للمُحاكمة.

قالها خالد وعروقه منتفخة من شدة الغضب والهياج, فقام طارق من مكانه وتكلَّم محاولاً التكلم مع خالد بعقلانية:

-دعنا نفكو بهدوء, الغضب لن يوصلنا لمكانه, والغضب سيستهلك طاقتك ليس إلا, وأنت مُتعب وفي حاجة إلى الحفاظ على طاقتك.

تكلم خالد بحدة:

-ها أنا قد هدأت.. هل لديك فكرة عن كيفية التصرف؟ أخبرني؟

قال طارق بأسى:

-ليس لديَّ للأسف, لكن دعنا نفكو معًا.

صمت خالد لثوانٍ جلس خلالها على أقرب مقعد منه, وزفر بقوة كي يُخرِج كل الطاقة السلبيةِ من داخله, ثم تكلم:

-علينا أن نتحرك بسرعة؛ عسى أن نجدها لا تزال حية.

ارتعش قلب خالد لفكرة ألَّا تكون مريم الآن من الأحياء قبل أن يردف بسرعة:

-صحيح أريد أن أعرف كيف قمت ببناء نظريتك عن كوني القاتل؟

-لماذا؟ (سأل طارق متعجبًا من السؤال؛ فليس هذا وقته)

-أخبرْني فقط؛ قد يفيدني ذلك في عملية البحث (قال خالد بحدة وضيق)

فكَّر طارق في الأمر للحظات قبل أن يمد يده في جيبه ويخرج ورقةً مطويةً بعناية, ثم يمد يده بها نحو خالد، الذي أخذها من يد طارق مُتسائلاً:

-ما هذه؟

-اقوأ هذه الوسالة وستفهم.

قالها طارق بهدوء غريب ارتاب فيه خالد، قبل أن يشرع في فض الورقة وقراءتها, مرة.. واثنين.. وثلاث، وهو يتمتم قبل أن يصيح:

-امم.. امممم..حسنًا.. هذه هي.

سأل طارق:

-ماذا؟

قال خالد:

-انظر هنا إلى هذا السطر.. لقد ارتكب القاتل خطأ قاتلاً لا يُغتفَر, يبدو أنك لن تنتبه له للوهلة الأولى.

جلس طارق بجوار خالد, ونظرنحو السطر الذي أشار إليه الأخير ليجد الآتي:

وإذا به يقوم بتشخيص حالتها بشكلٍ خاطئ.

نظر طارق إلى خالد بتعبير يدل على عدم فهم المغزى من الاهتمام بهذا السطر, فقال خالد:

-ماذا بك يا طارق؟ كنت أظنك أكثر ذكاءًمن هذا! لاحظ معي.. إنَّ ما أثبتته

تحرياتنا أنَّ القاتل شخصٌ له خبرات سابقة في التشريح, وهذه الرسالة التي أرسلها القاتل لتُأخرنا وتوقعني في فخه, كانت الفخ الذي وقع فيه هو أيضًا. إنَّ الشخص الذي نبحث عنه هو طبيب مجنون؛ فقد زوجته بسبب تشخيص خاطئ منه, وهو الآن يحاول أن يصحح خطأه بإحيائها من جديد.

سأل طارق وقد بدأ عليه الحماس:

-لكن ما معنى التوقيع في آخو الوسالة.. ؟ 2 / 3 3

قال خالد:

-الاحتمالات لا نهاية لها, لكن الأكيد أنَّ هذا الرمز يدل على هوية صاحبه. إنها شفرة من نوع ما, لكني أشعر أنني رأيت شفرة كهذه من قبل, ولكن لا أستطيع أن أتذكر أًين.

تعجّب طارق وسأل:

-لكن ما الذي يدفع القاتل لفعل شيءٍ كهذا؟ أعني أن يتوك ومزًا يدل على هويته.

رد خالد:

- الدافع نفسه الذي جعله يكتب لأجل ماري في موقع كل جريمة قام بها, لا تتعجب كثيرًا, يبدو أنَّ القاتل مغرم بما يفعله, ومن الواضح أنه يتفنن في وضع الرموز والدلائل واللعب بالأحداث, إنه ذكي. هناك نوعية من القتلة يكونون مغرمين بما يفعلون من جرائم, ولذلك يتركون دائمًا نوع من الإمضاء على أعمالهم الفنية (جرائمهم)، حتى يؤكد على ملكيته لتلك التحفة الفنية، لكن الإمضاء يكون في أغلب الأوقات رمزًا يصعب فهمه, فلا تصل الشرطة إلى شيء. أو رمزًا يسهل حله, فتبتعد الشرطة عن التفكير فيه. يبدو أنَّ قاتلنا

هنا طبيبٌ مثقّف, مغرم بحكايات أجاثا كريستي وما يشبهها.

سأل طارق:

-وما العمل؟

قال خالد:

-أعتقد أنني عثرت على الشخص الذي أعتبره حلقة الوصل في تلك القصة, الشخص الذي أخبرك أنَّ رقمي قد اتصل به وأخبره لأرد عليه وأخبره بكوني القاتل لأحكي عن جريمتي القادمة وآخبره بأن كل شيء سوف ينتهي مع مولد يوم الثالث والعشرين.

رد طارق:

-تقصد إبواهيم؟.. ابن خالتي!

قال خالد:

-نعم, مع التأكيد على فكرة أنَّ أغلب الضحايا كان لهن ظهور إعلامي, ومع ملاحظة أنَّ إبراهيم كان أول من رصد واهتم وتحرى عن سلسلة الجرائم تلك, وفي الوقت نفسه يُعتبر شخصًا قريبًا وملاصقًا لك.. آسف يا صديقي, أنا مضطر إلى أن أخبرك أنَّ الدلائل تشير إلى..

قاطعة طارق بأسى:

-إلى أنَّ إبواهيم ابن خالتي على اتصال مع القاتل بشكلٍ ما, وكذلك شاوك في عملية الإيقاع بيننا وجعلني أشك فيك.. من السهل ملاحظة ذلك.

حاول خالد أن يأسف لصديقه ويواسيه:

-أنا آسف يا صديقي.

لكن طارق قال:

-لا عليك أنا بخير.. دعك مني وهيا بنا نسرع الخطى كي ننقذ طليقتك.

نهض طارق فرفع خالد عينيه نحوه وسأله:

-لكن إلى أين؟

-سنقوم بتضييق الخناق على إبراهيم.

*****

(١٧)

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ٠٠:٧ص(الصحراء الغربية)

الصحراء الغربية، حيث عدد لا يُحصى من حبات الرمال الذهبية الممتددة، تتهادى الرمال شمالاً وجنوبًا، شرقًا وغربًا, بفعل نسمات الصحراء المُحمّلة بحرارة شمسنا منذ آلاف السنين، تلعب الرياح دور الفرشاة التي ترسم بها الطبيعة في كل يومٍ لوحةً جديدةً فوق صفحة الرمال.

وسط تلك الملحمة الطبيعة الخالدة، بين نسمات الرياح ووهج الشمس ورمال الصحراء، تقع الفتحة بين العوالم، فتحة بعمر كوكبنا الأزرق، يحرسها كيانٌ عنيد وحارسٌ عتيد؛ إنه السراب.

وقفت طافيًا في الهواء أنظر إلى الرمال الممتدة من حولي أبحث عن السراب، حارس فتحة البرزخ.. لم أتمكن من تحديد مكانه؛ فهو، وكما عرفت عنه, كائن شفاف ليس ذا هيئةٍ معروفة، فهو كرمال الصحراء، تستطيع الرياح التأثير في شكله والتحكُم فيه؛ فقد خُلِق منها ويسكن فيها، لكن الأرواح يمكنها تمييزه بسهولة حسب معرفتي الضئيلة.

ما هو السراب؟

السراب هو مخلوقٌ يعيش بين رمال الصحراء ليحمي الفتحات الفاصلة بين العوالم، والتي تقع غالبًا وسط الصحراء وبعيدًا عن أعين الأحياء، فإذا ما اقترب أحد الأحياء المسافرين من إحدى الفتحات، يتجسَّد السراب في هيئة شيء مخيف كثعبان أو زاحفٍ ما.. فيخافه المسافر ويبتعد عن الفتحة، لكنه في الغالب يقوم بالتجسُّد على هيئة أكثر شيء قد يفكر فيه شخص في

الصحراء وقتها، فيتجسد على هيئة واحة خضراء أو مُسطّح مائي في اتجاه معاكس لاتجاه الفتحة، وبتلك الطريقة يجذبه بعيدًا عن مكان الفُتحة.

بحثتُ طويلاً وسط الرمال عن الفتحة حتى وجدتها أخيرًا، فقط الأرواح يمكنها رؤية هذا الشق الطولي في ستار الواقع والمكان. شقّ يقود من يعبره إلى عالم آخر، بمجرد أن اقتربت من الفُتحة، شعرت بشيءٍ يلتف حولي كالأفعى، شيء لديه القدرة على إمساكي واعتصار جسدي الشبحي للدرجة التي شعرت معها أنني ساموت للمرة الثانية من شدة الاختناق، هذا هو السراب، ويبدو أنّ ذلك إجراء ضروري ليسمح لي بالعبور.

شعرت بالشيء الهلامي أخيرًا ينحلُّ عن جسدي ويختفي مجددًا وسط الصحراء، فقفزت بسرعة إلى شق الأبعاد هذا، وما إن قفزت لداخله حتى ألفيت نفسي أنساب كخيطٍ رفيع عبر دوامة حلزونية كبيرة، لأنتقل, وخلال ثوانٍ, إلى عالمي الثاني الذي أصبحت أنتمي إليه؛ عالم البرزخ.

لم آتِ إلى هنا سوى مرة واحدة حين انتقلت روحي المُعلّقة إلى هنا، لكني كأي طفل متعلق بداره الأولى فضّلت أن أترك هذا العالم لأتجوّل هائمًا على وجهي في عالم الأحياء، لا يمكن لبشري حي أن يصل إلى هنا وهو على قيد الحياة، ففتحة الأبعاد تقوم بعصر الأجساد التي تعبر خلالها، لتحوّلها إلى عود من المعكرونة المسلوقة.

البرزخ ليس بالمكان الكريه، بل هو مدهشٌ بمقاييس الأحياء، وكأنك على سطح كوكب آخر. الزمان والمكان هنا مختلفان. المجرات والكواكب المُلوَّنة تطل عليك من السماء، تحيطك هنا عشرات القصور الطافية العملاقة، والتي يبدو من تصميمها أنّ أضرحة القبور قد اقتبست أشكالها منها، أو ربما العكس. تصميمات مختلفة، يبرزها الوميض الغريب الذي يحيط بكل شيء

هنا، فلولا ذلك الوميض ما تمكنت من رؤية شيء سوى بعض التفاصيل التي قد تُظهرها لك أضواء الكواكب في السماء، فالعالم هنا غارقٌ في الظلام، وكل شيء يطفو فوق الظلام، لا وجود هنا لليابسة، ويُقال إنه وفي أسفل هذا الظلام، يوجد ماء، ولا شيء آخر.

نظرت إلى جسدي فوجدت هالة من الضوء تحيط بي، نفس الوهج الذي يحيط بالقلاع وسط الظلام، لم أفزع لهذا الأمر؛ فهو ضروريٌ حتى أكون ظاهرًا وذا تأثير وسط بحر الظلام هذا، كل الأرواح الطافية حولي في هذا العالم تحيط بها الهالة نفسها، لكن لون الهالة يختلف من روح لأخرى، ولا أفهم لهذا سببًا.

بدأت أحاول التركيز على هدفي والمهمة التي جئت من أجلها؛ أن أجد الحامي وأتكلم معه، وأنا واثقٌ بأني سوف أجده في عالم البرزخ، فالشمس مشرقة الآن في عالم الأحياء، وهذا يجعل الستار في أقوى حالاته، ويجعل من الصعب على الأرواح العبور إلى عالم الأحياء. الدخول سهل، لكن الخروج مهمة مُستحيلة.

قد يبدو غريبًا أن يرتاح الشخص المسئول عن حفظ قوانين الستار لمجرد أنَّ الشمس قد أشرقت في هذا الجزء من العالم، لكن ألا يعلم أنَّ الليل قد حل على جزءٍ آخر من الكوكب؟

الحامي ليس فردًا واحدًا مطلقًا، هناك أكثر من حامٍ لحفظ قوانين الستار، في الواقع هم ثمانية حماة، كل حامٍ فيهم مسؤول عنٍ حفظ القوانين في جزءٍ ما من عالم الأحياء. في الجزء الغَربي من الأرض يوجد اثنان من الحماة، وفي الجزء الشمالي يوجد واحد، والمثل في الجنوب، بينما في الجزء الشرقي من الأرض يوجد أربعة حماة؛ فالجزء الشرقي هو الأكبر من حيث مساحة اليابس، وكذلك الأكثر عرضة للشغب، فالاختراقات في الجزء الشرقي تحصل من كل

الأبعاد، بينما لا تكثر في الجزء الغربي سوى اختراقات من عالم البرزخ فقط، والحامي الخاص بنا هنا هو الحامي الثالث من حماة الشرق، حامي منطقة الشرق الأوسط.

قررت أخيرًا أن أتوقف عن الجولان وسط القصور الطافية، لأسال عن مكان الحامي، جرَّبت أن أسأل وأسأل، لكن لا أحد يرد، هذا العالم صامتٌ بشكلٍ مقيت، سكانه لا يتكلمون ولا يسعون وراء معرفة أي شيء، إنهم في انتظار أن تنتهي رحلتهم في هذا العالم فقط، في انتظار الوصول إلى المُنتهى.

أخيرًا التفت إليَّ رجلٌ عجوز تحيطه هالة خضراء، وأشار نحو اتجاه يجب عليَّ سلوكه للوصول إلى غايتي، ثم لفَّ وجهه بعيدًا عني ليكمل طريقه.

سلكت ذلك الطريق، واستغرق الأمر بعض الوقت حتى أصل إلى المكان الذي يمكث فيه الحامي، فالأرواح لا تتمتع بتلك القدرة الخارقة على الانتقال السريع في عالمها، فحتى في ذلك العالم تحكمنا فيزياؤنا الخاصة، لكننا نتحرك بسرعة كبيرة رغم ذلك، ويساعدنا على ذلك عدم وجود أرض، نحن نطير ببساطة.

لم أتخيل أن يكون قصر الحامي بهذه العظمة، هو ليس قصرًا بالمعنى المتعارف عليه، هو جبلٌ كبيرٌ يخرج من قلب الظلام ليشق عنان سماء البرزخ، لكنه ليس كأي جبل تعرفه؛ فقوامه حجر متوهجٌ كالماس، لكنه ليس بماس، بل هو حجر غير معلوم للأحياء، يتغير لونه بين ستة ألوان. من الصعب وصفه، ومن الصعب على عقول البشر أن تستوعب مدى جمال هذا الجبل، أما في أعلى الجبل، بوابة ضخمة يبدو أنها السبيل إلى حامينا المبجل.

طرت نحو البوابة، طفوت أمامها أشهد غرابتها وعظمتها، كانت بوابةً حرمية الشكل، تتوسطها عيونٌ كبيرةٌ مخيفة، وفمٌ في أسفل العين يبرز منه نابان،

بمجرد أن وقفت أمام الباب فُتحَت العين الوحيدة؛ حيث كانت مُغلقة، وبدأ الفم في التكلُّم دون أن يختلج أو يتحرك، مُصدرًا صوتًا كالهزيم:

-لماذا تقفين هنا أيتها الروح؟

قلت مرهوبًا:

-أريد مقابلة الحامي.

قال الباب دون أن يتحرك الفم:

-بأي حق؟ ولأي سبب؟

-أريد أن أسأل عن جسدي، أنا ابن الثانية عشر الذي سُرِق جسده إلى العالم السفلي.

بدأت العين تتفحصني وهي تدور بجنون في كل الاتجاهات، قبل أن تُغمض ثم تفتح مجددًا، فأسمع الصوت الهادر يقول:

-الحامي يوافق على استضافتك.

فُتِحت البوابة من المنتصف فشُقَّت العين الكبيرة وسط الباب وكذلك الفم، واهتز الجبل بالكامل.

دخلت، واندفعت عبر ممر طويل وواسع دون ذكر تفاصيله التي لا تنتهي، ينتهي ببهوٍ، من العار عليَّ أن أصفه بالضخم فقط، بهوٍ شديد الضخامة، يطفو الحامي في وسطه متربِّعًا فوق عرشٍ هو الهواء، مغمِض العينين ساكنًا، وصولجانه بالإضافة إلى حجره الغريب، كان وكأنه ملكٌ يتربَّع على عرش الكون.

-أيها الحامي.

قلتها وأنا أقترب منه, فقاطعني رافعًا يده، ثم فرد جسده في الهواء، وفتح عينيه، قبل أن ينجذب الصولجان نحو يده فيقف أمامي ويقول:

-لا زلت تحاول التدخل فيما لا يعنيك.

قلت:

-أيها الحارس العظيم، أحتاج إلى مساعدتك، أين جسدي؟ أين ذهب جسدي بعد أن جاءت روحي إلى هنا؟

قال الحامي:

-لقد ذهب جسدك إلى الجانب الآخر، لقد تم إخبارك بذلك من قبل، لقد سحبه الكيان الذي قمتَ بمحاولة الاتصال معه.

سألت:

-أليس من المفترض أن يكون هنا، في عالم البرزخ؟

قال:

-هذا الكوكب هو حلقة وصل بين ستة عوالم أو أبعاد، والعالم السفلي أحد تلك العوالم، وهو عالمٌ منفردٌ بذاته تمامًا كعالم البرزخ وعالم البشر. جسدك لا وجود له هنا، لن تستفيد شيئًا من محاولة البحث عنه، ولا تحاول العبور إلى عالمهم، فهم لن يسمحوا لك.

سكتُّ هنيهة قبل أن أتكلم:

-هناك غرضٌ آخر من وراء زيارتي، لكني لا أريد الإفصاح عنه.

-لا وقت للتراهات.

رفع صولجانه وكاد ينفيني خارج عالم البرزخ بضربة منه.

-انتظر أرجوك, أريد أن أتأكد من الشائعات التي تقول أنك تستطيع قراءة أفكار الأرواح بصولجانك.

انحنيت وأنا أصرخ بكلماته، فأبقى يده الممسكة بالصولجان معلقةً بالأعلى وقال:

-الأرواح والأحياء أيضًا، لا أدعي المعرفة؛ فما أنا بعلام للغيوب، لكن الحجر يمكِّنني من التنقُّل عبر العوالم بسهولة، كما أنَّ لهٌ العديد من القدرات الأخرى؛ فهو يشفي الجروح ويتحكم في الشحنات الكهربائية.

قلت مبتسمًا:

-أريد أن أنول شرف قراءة أفكاري من قِبلك يا سيدي، لتعرف ما الغرض الثاني من زيارتي.

دون مقدمات أنزل ذراعه الذي يحمل الصولجان لأعلى نحو رأسي، هبط نحو رأسي بسرعة حتى أغمضت عيناي خوفًا، لكنه توقف قبل أن يصدم الصولجان رأسي بسنتيمتر واحد.

وفي تلك اللحظة, فعلت شيئًا, لا أعتقد أنَّ مخلوقًا قبلي جرؤ على فعله؛ لقد قبضت على الصولجان بيديَّ الصغيرتين!

*****

(١٨)

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ٣٠ : ٦ص

كان خالد يقف وبصحبته طارق أمام شقة بسيطة في حي عين شمس، حيث أشار طارق إلى باب هذه الشقة وهو يقول:

-هنا حيث يسكن إبواهيم.

شرع خالد يطرق على الباب بكلتا يديه بقوة على الباب لكن لم يآته أي رد، ضغط طارق على زر الجرس بجوار باب الشقة لكنه لن يسمع شيئًا، يبدو أنه معطل. استمر الاثنان في طرق الباب لدقيقتين، قبل أن ينفد صبر خالد فيخرج مسدسه من حزامه، ويصوبه نحو كالون الباب وهو يصيح:

-طارق.. ابتعد عن الباب.

في تلك اللحظة انتبه الاثنان إلى صوت باب الشقة المجاورة لشقة إبراهيم يُفتح، وتخرج عليهم امراة عجوز في الستين ربما, لتستفسر مفزوعة:

-ما هذا؟.ماذا تفعلون؟ من أنتم؟

تسمَّر الاثنان في مكانهما للحظة قبل أن يُخرج طارق محفظته ويخرج بطاقة عمله للمرأة ويقول:

-عذوًا يا أمي، نحن من الشوطة، ونبحث عن الصحفي إبواهيم.

نظرت المرأة للبطاقة في يده وإليهما في شك، قبل أن تشتعل نظرة فضولية في عينيها فتسأل:

-لماذا تسأل عنه؟ ها؟ ماذا فعل؟

أعاد خالد مسدسه إلى جيبه وقال موجِّهًا كلامه للعجوز:

-أمر في غاية السرية, نريد أن نعرف أين هو فقط, هل تعرفين أين هو؟ هل شاهدتِه يذهب لمكانٍ ما؟

هابتهما المرأة للحظات وهي تجيب:

-لقد شاهدته يخرج صباح البارحة, وكان يحمل حقيبتين على كتفه, لقد كنت أعرف أنْ خلف هذا الفتى مصيبةً منذ اليوم الأول الذي استأجر فيه هذه الشقة.

لكن نظرة الفضول عادت تشتعل في عينيه وهي تردف:

-ألم تخبرني جنابك ماذا فعل هذا المجرم؟

سكت خالد وطارق ولم يعطياها جوابًا شافيًا، ثم استدارا ليهبطا سلم المنزل، فعادت تناديهما:

-تفضلا بشرب شيء....

تجاهلاها تمامًا، وسكتا حتى أصبحا أسفل البيت، لينطق خالد أخيرًا:

-لقد أفلت منا، سوف يستغرق البحث عنه وقتًا طويلاً، وهذا غير متاح.

نظر طارق نحو خالد دون أن يبدو أي إنفعال على وجهه:

-لن نبحث أو شيء من هذا القبيل، سنقوم بزياوة عائلية إلى منزل خالتي بالشوقية.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ٨:٠٠ص(البرزخ)

دعني أعود بك إلى اللحظة التي قبضت فيها على صولجان الحامي بيديَّ.

تعلَّقت بالصولجان بقوة، ثم قبضت بيدي اليمنى على حجر الستار الموجود

بالصولجان، تفاجأ الحامي من تلك الحركة غير المتوقعة، ورفع الصولجان بسرعة في الهواء وجسدي معلّقٌ به، وهو يصرخ بصوته الذي زلزل كياني الشبحي:

-كيف تجرؤ؟

نفض الصولجان بقوة في الهواء ليطير جسدي الشبحي في الهواء مدفوعًا نحو جدران الهواء، وللمرة الأولى منذ قدومي إلى هذا العالم، شعرت بالألم، إحساس الشيء الصلب الساخن في يدي اليمنى، هوّن عليَّ الألم، كُنت قد أغلقت عيناي من الألم، لكني قمت بفتحهما مجددًا، وأنا أبتسم!

تعجّب الحامي من ردة فعلي غير المتوقعة، فرفع صولجانه في الهواء مجددًا قبل أن يشير نحوي وهو يزعق:

-اختفِ من أمامي الآن.

في اللحظة التالية أدرك أنَّ حجر الستار ليس في قلب صولجانه، فصُعق واتسعت عيناه، قبل أن ينقل بصره من الصولجان إليَّ، فتحت قبضتي أمامه كاشفًا عن حجر الستار الذي تغيّر لونه للون الأزرق.

-أرجِعْ الحجر وإلا ستندم.

صرخ فيَّ فقلت:

-لقد متُ مرة من قبل, ولا أعتقد أنَّ هناك ما أهتم لشئنه.

لم أكنْ أعرف أي شيء عن آلية عمل هذا الحجر، فركّزت على الأمر الذي أريد حدوثه, وأشرت بالحجر في الفراغ أمامي، لتُفتَح فجأة بوابة من العدم, هي عبارة عن شق طولي في ستار الأثير الفاصل بين الأبعاد، غضب الحامي وطار بسرعة في اتجاهي، لكني, وفي لمح البصر، اختفيت داخل الشق, واختفى

الشق بعدها مباشرةً، فيتسلل إلى عيني بعدها ضوء شمس عالم البشر.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ٣٠ :٨ص

كانت الطرقات على باب منزل خالة طارق- أم إبراهيم- وكأنها صخور تسقط من أعلى منحدر حاد لتصطدم بباب الشقة، حتي تكاد تشعر أنّ الباب على وشك أن ينخلع من مكانه.

فتحت الخالة الباب لينكشف لها وجه طارق ابن أختها وصديق له يقف بجواره، ملامح وجهها وارتعاش يدها يفضحان قلقها وخوفها:

-مرحبًا بك يا بُني, لماذا كل هذا الـ.. هذا الطرق العنيف؟.. وكأنك تقتحم وكر لصوص!

حاول طارق أن يرسم ابتسامة بسيطة على وجهه وهو يقول:

-هل تسمحي لنا بالدخول يا خالتي.

ابتلعت المرأة ريقها ثم أفسحت الطريق أمامها وهي تقول:

-بالطبع يا حبيبي, تفضل.. تفضلا.

كانت خالة طارق سيدة في العقد السادس من عمرها، ممتلئة قليلاً كطبيعة الغالبية العظمى من الأمهات المصريات البسيطات، ترتدي إسدالاً طويلاً يُغطي شعرها ونصف جسدها، ويظهر من أسفله جلباب منزلي بسيط مزدان بصور الزهور.

دخل طارق وبصحبته خالد إلى الشقة وطارق يتساءل:

-أين هو إبواهيم يا خالتي؟

باغت السؤال الخالة التي أجابت متلعثمة:

-إنه.. إنه.. غـ غـ غير موجود يا ولدي.

قال خالد موجِّهًا كلماته للأم:

-أرجوكِ لو كنتِ تعرفين مكانه أخبرينا.

سألت الخالة:

-ما الأمر؟ ماذا تريدان من ابني؟

ردَّ طارق:

-ابنك في مشكلة كبيوة, وعليه أن يُساعدنا حتى أتمكن من مساعدته.

ظهر القلق على وجه الأم وهي تتساءل:

-مشكلة! أية مشكلة؟

-أعوف أنك تخافين عليه لأنه ابنك الوحيد, لكن أوجوكِ ساعديني حتى أتمكن من مساعدته. إذا كنتِ تعوفين مكانه.. أخبوينا.

سكتت قليلاً قبل أن تقول:

-لا, لا أعرف.. أعدك أنني سأتصل بك إذا عرفت مكانه, لكني لا أعرف أين يمكن أن يتواجد الآن.

ساد الصمت لثوانٍ قبل أن يقرر طارق الرحيل, فأمسك بمعصم خالد الذي وقف في مكانه رافضًا التحرك والعودة بعد هذه المسافة التي قطعها، قبل أن يتناهى إلى مسامع الجميع صوتُ سقوط شيءٍ ما في إحدى الغرف، فذهبت العيون كلها نحو مصدر الصوت، وجرى خالد يسبقه طارق نحو

باب تلك الغرفة، ليقتحمها خالد بعنف ويكسر بابها بضربة واحدة من كتفه، والخالة تحاول اللحاق بالاثنين ومنع خالد من اقتحام الغرفة.

-اهدأ يا صديقي. (كان هذا طارق الذي حاول تهدئة صديقه)

خالد يقف وسط الغرفة المظلمة بينما لا وجود لشيء حي، يدور بعينيه داخل الغرفة باحثًا بجنون عن أي أثر لإبراهيم، قبل أن يتناهى إلى أذنيه صوت طرقات خفيفة من أسفل السرير.

العرق يجري غزيرًا فوق وجه الأم.

طارق مشتت وغير قادر على اتخاذ أي قرار.

خالد يجثو على ركبتيه، ثم يستند على الأرض بكلتا يديه، ليلقى نظرة على أسفل السرير، فتتقابل عيناه مع عيني إبراهيم المذعورتين.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ٣٠:٨ص

إنَّ قدرات هذا الحجر فوق التخيل، مكَّنني الحجر من تتبُّع أثر خالد وطارق والوصول إليهما بسرعة قياسية، وصلت في الوقت المناسب حيث وقف خالد بصحبة طارق في منزل خالة طارق وأم إبراهيم، الخالة تدعي عدم معرفتها بمكان ابنها إبراهيم، وطارق غير قادر على تكذيبها، بينما خالد على وشك الانفجار, لكنَّها تكذب، الحجر يخبرني بذلك.

ضغطت على الحجر في يدي وتمنيت لو كانت هناك طريقة لمعرفة مكان إبراهيم، لكني وبمجرد أن فتحت عيني، وجد كل الموجودات باللون الأزرق، بينما تلتقط عيناي وسط هذه الزُرقة أربعة أجسام حمراء داخل المكان، أنا أرى الإشارات الحيوية للأجساد بالشقة، كان من الواضح أنَّ هناك شخصًا رابعًا

معهم في المكان، تحديدًا داخل الغرفة المُطِّلة على غرفة المعيشة التي يقف بها خالد وطارق مع الخالة.

عبرت إلى تلك الغرفة، وأنا أسمع صوت الخالة من خلفي تقول:

-لا, لا أعرف.. أعدك أنني سأتصل بك إذا عرفت مكانه.. لكني لا أعرف أين يمكن أن يتواجد الآن.

بمجرد أن أصبحت داخل الغرفة استخدمت طاقة الحجر وركَّزت على أحد إطارات الصور المعلَّقة على حائط الغرفة، فسقط عن الحائط ليتهشم فتنخلع أضلاعه من بعضها البعض ويتهشم زجاجه، لينجح الصوت في اجتذاب خالد، الذي اقتحم الغرفة خلال ثوانٍ, ومن خلفه طارق ثم الأم, التي أسرعت تلحق بخالد مذعورة لتمنعه من إيجاد ولدها.

يدور خالد بعينيه داخل الغرفة باحثًا بجنون عن أي أثر لإبراهيم، لكني لن أقف مكتوف الأيدي، ضغطت بقوة أكبر على الحجر في يدي، وركَّزت على صندوق صغير كان يقبع بجوار إبراهيم المختبئ أسفل السرير، فارتفع الصندوق عدة سنتيمترات عن الأرض، ثم أرخيت يدي عن الحجر فسقط الصندوق على الأرض، ضغطت على الحجر مجددًا فارتفع الصندوق مجددًا، أرخيت يدي فسقط الصندوق، قمت بهذا عدة مرات متتالية حتى أصبح صوت الخبطات المتتالية على الأرض واضحًا للجميع، وكان إبراهيم في تلك الأثناء ينظر إلى الصندوق الصغير مشدوهًا غير قادر على الحركة، قبل أن يصطدم بعين خالد تنظر إلى عينيه مباشرةً.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ٨:٤٥ص

جذب خالد إبراهيم من ياقة بيجامته المنزلية، ليخرجه من أسفل السرير، كان يقبض عليه كلصٍ هارب، ثم دفعه نحو الحائط صارخًا وقد احتقن وجهه من شدة الغضب:

-تحاول الهرب مني يا ابن الملاعين؟

ظهر طارق من خلف خالد وحاول إزاحة الأخير من أمام إبراهيم، ليقبض هو الآخر على الياقة الثانية لإبراهيم وهو يقول ضاغطًا على أسنانه:

-لم أتصوو أن يكون الشخص الذي أعتبوه أخًا اصغر لي هو مساعد المجوم.

كانت ملامح إبراهيم وقتها ترسم لوحةً عنوانها الذعر، لوحة عبقرية يعجز أمهر فناني عصر النهضة عن رسمها بهذا الشكل المتقن، اختلج الفك السفلي لإبراهيم بينما يحاول أن ينطق بأية كلمة ليدافع بها عن نفسه، لكن يبدو أنه لا مفر، التهمة ملتصقة به تمامًا، وأية حركة خاطئة ستؤدي لتمزيقه حيًا على يد هذين الضبعين الشرسين.

الأم أو الخالة تصرخ في خلفية الصراع:

-أرجوكما ارحما ابني, ماذا فعل لكل هذا؟

أزاح خالد صديقه طارق جانبًا، ليفلت الثاني إبراهيم بصعوبة، قبل أن تلتقي عينا إبراهيم المذعورتان بعيني خالد اللتين احمرتا غضبًا، قبل أن يقبض على رقبة الشاب النحيف بكلتا يديه رافعًا إياه عن الأرض، وكأنه يحاول شنقه، ثم قال بينما يخرج الدخان من منخاريه من شدة الغضب وكأنما يوشك على نفث النار في وجه الفتى:

-من هو هذا القاتل؟ أين أجده؟

-غغغغغغغااااعـ غغغغـ..

الفتى يختنق ولا إجابات، الأم تقفز كلبؤة شرسة تدافع عن صغارها نحو خالد، فتمسك بجسد خالد وتحاول دفعه بعيدًا عن ولدها الصغير، لكن عنفوان وغضب خالد، يفوقان شراسة الأم بكثير:

-اترك والدي.. أرجوك اترك ولدي.

يصرخ خالد ونظراته لا تزال مثبتة بوجه إبراهيم المُحمر من شدة اختناقه:

-زوجتي في قبضته ولن أسامحك إذا جرى لها مكروه.

شعر إبراهيم بأنَّ روحه بدأت تنساب ببطء من جسده، حاول جاهدًا أن ينطق لكنَّه عاجزٌ كل العجز، لقد جُنَّ خالد، وكان هذا إذنًا لطارق بالدخول ومحاولة إنقاذ إبراهيم ابن خالته، تدخَّل طارق وتمكَّن من إجبار خالد على إنزال يديه وإرخاء قبضته عن حلق إبراهيم.. لكن خالد لن يكف عن الاستمرار في توجيه التهديدات لإبراهيم إذا لم يتكلم.

سعل إبراهيم، ثم بدأت بعدها الكلمات تغادر حنجرته مذعورة:

-صدقني أنا لا أعرف.. أعرف الكثير.. لقد اتصل.. بي منذ عدة أيام وطلب مقابلتي.. وعندما تقابلنا.. اتفقنا على أن أساعده على القيام بخداعك- دون أن يشرح لي الهدف من خداعك- وسيعطيني المال والقوة في المقابل.. وحذّرني.. حذّرني من محاولة خداعه.. لم يكن أمامي الكثير من الخيارات.. كُنت أعرف بأنه قادر على أذيتي إذا حاولت خداعه أو رفضت عرضه.

كانت الأم تستمع لكلمات ولدها غير مصدقة وقد بدأت الدموع تنحدر عن وجهها الشاحب، خالد يعيد الضغط بأصابع يديه على عنق إبراهيم الذي عاد

يختنق مجددًا:

-لا أصدقك.. لابد أنَّ لديك المزيد لتقوله.

تدفَّقت الدماء بقوة إلى وجه نور فاحمر، واغرورقت عيناه بالدموع، وهو يحاول أن يدافع عن نفسه مستخدمًا يديه النحيلتين خائرتي القوة، ويحاول في نفس الوقت المحافظة على رأسه فوق جسده:

-صدقنيغغغغـ أقسم.. لك.. حتى أنني.. لم أرَ وجهه.

تعالت صرخات الأم حينها، وهذا ينبئ بحضور سكان البناية.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ٨:٥٠ص

لقد تسرَّب الرعب إليَّ وأنا أراقب كل هذا الجنون والهستيريا. إنَّ إبراهيم صادقٌ فيما يقوله، هذا ما يؤكده الحجر في يدي، يبدو أنني مضطر للتدخل، النتائج المترتبة على تدخلي غير معروفة ولا يمكن حساب مدى أضرار هذا التدخل، لكن الفتى على وشك أن يهلك وليس أمامي حلٌ آخر.

قد لا يعرف إبراهيم شيئًا, لكنني أعرف كل شيء.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ٨:٥٠ص

نسمات الهواء البارد تتسلل إلى داخل غرفة إبراهيم, لتلامس برفق وجه طارق الذي ظلَّ صامتًا وهو ينتقل ببصره بين الوجه الغاضب لخالد، ووجه ابن خالته إبراهيم، الذي يتم عصر رقبته الآن بين يدي خالد.

الأم تعوي وتصرخ.

تصدر من حلق إبراهيم أصوات متلاحقة تخبرك كم أصبح التنفس عملية مستحيلة بالنسبة له، بينما فقد خالد السيطرة على أعصابه نهائيًا وبشكلٍ كامل.

فجأة.. ووسط كم المشاعر التي احتشدت داخل الغرفة، ارتخت عضلات إبراهيم وكفَّ عن المقاومة!

أفلته خالد وهو يحدِّق بالجسم المرتخي أمامه مذعورًا، فسقط الجسد على الأرض.

أطلقت الأم صرخة ارتعشت لها الجدران، وجرت نحو جسد ولدها, فتراجع خالد بسرعة إلى الخلف والصدمة باديةٌ على وجهه، طارق لا يُبدي أي ردة فعل.

لقد أيقن الجميع أنَّ إبراهيم قد لفظ أنفاسه الأخيرة.

لحظات من الصمت والتحديق من الجميع إلى جثة إبراهيم الملقاة على الأرض.. لم يقطعها سوى صراخ الأم المستمر ونواحها الأزلي الذي لم يجرؤ حتى ملائكة العذاب على إيقافه، قبل أن تنتبه الحواس إلى صوت آخر، صوت الحشرجة القادم من حلق إبراهيم!

(غغغغغغاااغغغغغغغغغغغغاااغاغاغغغغغغه)

توقَّفت الأم عن النواح وقد اتسعت عيناها، تجمَّد خالد في مكانه، بينما لم يحرك طارق ساكنًا وكأنه أصبح على شيءٍ من اليقين أنَّ كل ما يجري من حوله ليس سوى حلم.

ارتفع جسد إبراهيم عن الأرض ليطفو كشبح في الهواء، ثم فتح عينيه وسط نظرات الذعر والدهشة من الجميع، بالكاد لَم يتوقف قلب الأم عن الخفقان

وهي ترى عيني ابنها الوحيد قد تحولتا إلى ثقبين شديدي البياض؛ فلقد اختفى بؤبؤ العين تمامًا, ولم يعد هناك سوى مُقلتين فارغتين من أي لون.

-مالذي يحدث هنا بحق الله؟

قالها طارق وقد تحرر من سكونه, ولكنه ظل محافظًا على نظرات الدهشة في عينيه, بينما غادرت كل التعابيرات وجه خالد.

ببطء انفرجت شفتا نور على مصراعيهما, وبدأ يتكلم بصوت مختلف عن صوته المعروف.. صوت كما لو كان صوت طفل:

-أنا يمكنني مساعدتكم.

ارتجف خالد وهو يتراجع قائلاً:

-ومن..من..أنت..أو.. ما أنت؟

قال الصوت الصادر من جسد نور:

-أنا أيمن.. الطفل الذي قتلته ماري الدموية.

هنا، ارتسم شبح ابتسامة على وجه خالد.

*****

(١٩)

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ٥٥:٨ص

لطالما كان خالد واثقًا من وجود شيءٍ ما يساعده، شيء أعلن عن نفسه مرة واحدة عن طريق دفتر اليوميات الخاص بالطفل الصغير أيمن، روح.. جني.. شيء من هذا القبيل، وها هو هذا الشيء يعلن عن نفسه من جديد وبقوة.

كان إبراهيم طافيًا في الهواء وصوت طفل يخرج من حلقه، صوت يزعم أنه روح الفتى الذي لا نعرف مكانًا لجسده، وقعت الأم على الأرض مغشيًا عليها، ووقف طارق ثابتًا في مكانه مندهشًا، عقله لا يستطيع استيعاب كم تلك المفاجأت، لكن خالد تقدم بثبات من الجسد الطافي:

-ساعدني.. أخبرني كيف أنقذ زوجتي؟ (قال خالد)

"ما الذي يجري هنا"؟ دارت تلك الخاطرة في عقل طارق بينما لم يجب الصوت خالد, فعاد خالد يسأل بتردد:

-هل هي حية؟

رد الصوت:

-نعم.

لوهلة ابتسم خالد مطمئنًا قبل أن يستطرد الصوت:

-لكن ليس طويلاً, عليكم منع القاتل بسرعة قبل أن ينفّذ ما يخطط له, إنّ القاتل يخطط إلى إحياء زوجته, وأظن أنّكم تعرفون ذلك جيدًا, لكن ما لا تعرفونه ولا يعرفه القاتل هو كونه مخدوعًا فيما يفعل! إنّ تلك الطقوس

التي يقوم بها ما هي إلا وسيلة لإيقاظ شرٍ كبير يجب أن يظل بعيدًا عن هذا العالم, وإلا سيدمره.

لقد وصل الجيران من أثر صراخ الأم، أصوات الطرق المتتالي على باب الشقة عالٍ، سيقحمون المكان في أي لحظة.

تجرَّأ خالد وسأل السؤال المهم:

-لكن من القاتل؟

رد الصوت:

-لا يمكنني إخبارك.

تعجَّب خالد:

-لماذا؟

أحدهم يحاول كسر باب الشقة بينما الصوت يرد:

-لا أستطيع, ابحثْ عن الشفرة المربعة قبل بزوغ اليوم الجديد.. قد تصل حينها لمرادك.

هنا.. انكسر أخيرًا باب الشقة تحت وطأة الدفعات المتتالية، وفي اللحظة التالية هبط الجسد المُحلِّق على الأرض ببطء وانغلقت عيناه، فأسرع خالد نحو جسد إبراهيم ليتأكد من كونه حيًا، وضع خالد إصبعيه السبابة والوسطى على رقبة إبراهيم، تحديدًا فوق الشريان السباتي أسفل الزاوية الخلفية لعظمة الفك، فوجد أنَّ نبض القلب يعمل، وضع إصبعه السبابة مرة أخرى تحت فتحتي أنف إبراهيم، فوجده يتنفس، هنا زفر في عمق وقد اطمأن على حياة الفتى، لكن وفي تلك الأثناء كان الجيران قد اقتحموا الغرفة وطوَّقوا طارق، ومن ثمّ قام رجلٌ ضخم يرتدي بيجامة منزلية مخططة بالطول

بتطويق خالد بعد أن جذبه بعيدًا عن جسد إبراهيم.

أدرك خالد حينها أنه في حاجة إلى بعض الوقت حتى يتمكن من إقناع هؤلاء الرجال الغاضبون بأنه ليس لصًا أو قاتلاً وغدًا.

وتمنى في سره أن ينجح في هذا قبل أن يوسعوه ركلاً ولكمًا.

*****

٢٠- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) ١٠:٠٠م

دعني أعود بك للوراء قليلاً إلى اللقاء الأول لي مع الحامي.

بعد ذلك اللقاء, كان عليّ أن أقوم برحلة اخيرة إلى مكان أخير.. حيث مسكن القاتل. كنت أعرف هويته عندها, لكن لا املك التصريح بأي سر يخص عالم الأحياء للأحياء.. فقط إشارات, يمكنني إرسال الإشارات< قوانين الستار فوق أي أحد, حتى لو حاولت أن أتواصل بشكل مباشر مع شخص حي لأخبره بالحقيقة.. فالستار سيحجب شكلي وصوتي. لا يخرق قوانين الستار سوى المسئولين عن حمايته.

أعود بكم إلى سكن القاتل.. حيث يمكنكم رؤية ذلك الكم الكبير من قصاصات الجرائد والصور الملصقة على جدران إحدى غرف المكان.. توجهت ببصري نحو إحدى جدران الشقة, فلمحت برواز به صورة للقاتل عندما كان شابًا.. اللافت في تلك الصورة حقًا كان ارتدؤاه لقميص عليه العديد من الشارات.. ومنديل أصفر حول عنقه, هذا زي كشفي! هذا يفسر بعض الأمور. هناك أيضًا رزمة من الأصفر القديم متراصة فوق مكتب صغير في إحدى الزوايا.. مخطوطات! أجل, تلك مخطوطات سحرية.. لحظة.. ما هذا الكتاب؟ وجدت كتابًا عملاق الحجم ذا غلاف أسود نُقِشت عليه جمجمة ذات شكل

مرعب مع حزمة لا بأس بها من الثعابين والأفاعي الملتفة حول الجمجمة، لكنها ثعابين غريبة الشكل؛ فكل ثعبان يزيِّن رأسه المرعب قرنين صغيرين كالأنياب, وكُتِب أسفل هذا الرمز.. مخطوط الظلام!

دفعني فضولي إلى فتح الكتاب وتفحُّصه, قرأت.. وكان ما توقعته ولم أتوقعه في الوقت نفسه؛ الكتاب مُقسَّمٌ إلى مجموعة من الفصول لم أتوقف لعدها, ويتحدث في أحد تلك الفصول عن طقوس سحرية لاستعادة الموتى. الموتى لا يعودون يا صديقي, إما أن يعلقوا في البرزخ كما حصل معي, أو ينزاحوا نحو المنتهى ليقابلوا خالقهم. لكني قرأت اشياء أخرى, أو لغة اخرى.. لغة غريبة لم أرَ مثيلاً لها من قبل, لكنها لغةٌ أفهمها, لغةٌ لا يرأها الأحياء ولا يفهمونها. قرأت وفهمت, ويا ليتني ما فهمت.. إذا كان ما قرأته صحيحًا, فإن الحامي كان محقًّا.. نحن في خطر كبير, وهناك خدعة كبيرة يتم ممارستها على ذلك المسكين.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ١٠:٠٠ص

استغرق الأمر ساعةً كاملةً في محاولات الجيران إفاقة إبراهيم وأمه من غيبوبتهما.. هذا بالإضافة إلى محاولة خالد وطارق إقناع الجيران بأنهما ليسا لصين وغدين، إلى أن وصلت الشرطة، تحقَّقت الشرطة من أوراق هوية خالد وطارق وتأكدوا من كونهما ضابطين فعلاً، فشرح خالد الأمر للضابط المسئول-بالطبع دون ذكر الجزء المتعلق بطيران إبراهيم في الهواء- فتفهَّم الضابط وأفاقت الأم, فاطمأن طارق على خالته, وبعد ضياع ساعتين, كان على خالد وطارق أن يعودا إلى القاهرة.. وبسرعة.

*****

خُلق من الظلام..

وإلى الظلام منفاه..

حين تُمزّق أجساد النساء..

فتسيل الدماء..

وتجمع القرابين..

يخرج مولود الظلام من قلب الظلام.

(جزء مخفي من فصل خروج الظلام.. كتاب مخطوط الظلام)

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ٣٠: ١١ص

- لماذا نحن متجهان نحو منزلك الآن؟

وجّه طارق سؤاله هذا إلى خالد الممسك بعجلة قيادة السيارة.. فتابع خالد الضغط على دواسة البنزين وقال:

-لاحقًا ستفهم.

سكت طارق وقد عرف أنه لم يتمكن من الوصول لإجابة ما دام خالد قد اختار حال الغموض تلك، وتابع مراقبة الطريق في هدوء.

أما عن خالد, فلم يكن يركِّز سوى على الوصول إلى منزله؛ فهناك يتواجد حل اللغز.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ١٥:١٢م

ولج خالد شقته ومن خلفه طارق، بحث الثاني عن قابس الكهرباء حتى يضيء الأنوار, بينما اخترق الأول الظلام متوجهًا نحو غرفة مكتبه, وجد طارق القابس وضغط عليه, فانعكس الضوء الأبيض فوق كل الموجودات, فهرول طارق نحو غرفة المكتب هو الآخر، ليجد خالد ممسكًا بدفتر صغير ذي شكل مميز.. ويقلّب صفحاته بعصبية ظاهرة.

-أين هي؟ أين هي؟ أين تلك الشفرة؟

كان خالد يُحدِّث نفسه بعصبية, بينما يُقلِّب صفحات الدفتر قبل أن يصيح:

-وجدتها!!!!.

قفز طارق ببصره إلى داخل الدفتر الصغير حتى يفهم ما هو الشيء المهم الذي قد يحويه ذاك الدفتر, ووجد نفسه ينظر إلى جدول من تسع خانات دُوِّنَت بداخله الحروف الأبجدية من الألف إلى الياء, وقد وُضِع فوق كل حرف رقم من ١ إلى ٣ عدا الخانة التاسعة التي وُجِد بها الرقم ٤.

١ ٢ ٣ أ ب ت	١ ٢ ٣ ث ج ح	١ ٢ ٣ خ د ذ
١ ٢ ٣ ر ز س	١ ٢ ٣ ش ص ض	١ ٢ ٣ ط ظ ع
١ ٢ ٣ غ ف ق	١ ٢ ٣ ك ل م	١ ٢ ٣ ٤ ن هـ و ى

-ما هذا؟ (سأل طارق مستفسرًا)

-هذه تكون الشفرة المربعة.(فأجاب خالد وعيناه تلمعان)

نظر طارق إلى خالد في عدم فهم, فقرر طارق أن يسترسل في الشرح:

-أتتذكر عندما أريتني الرسالة التي أرسلها لك القاتل وقد وضع في نهايتها أرقامًا وعلامات غير واضحة... وقتها أخبرتك أنني أشعر بأنني رأيت هذه الرموز من قبلٍ, لكني لم أكن قادرًا على تذكر أين, لكن أثناء لقائنا مع إبراهيم وتلبُّس تلك الروح الغامضة جسدها, أخبرنا الصوت الصادر منه أن نبحث عن الشفرة المربعة, فقط عندها تذكرت أين رأيت تلك العلامات من قبل, هنا.. في هذا الدفتر.

سأل طارق:

-ما هذا الدفتر؟ وكيف سيفيدنا هذا المرسوم؟ إنه يبدو أكثر تعقيدًا.

أجاب خالد:

-هذا الدفتر يخص الفتى الذي اختفى ليلاً من شقة أسرته, ولن نعثر عليه أو على جثته من وقتها, ولا تسألني عن تفاصيل أخرى تخص هذا حتى لا أفقد تركيزي, أما عن مدى فائدة المرسوم, فأنا لست متأكدًا من تلك النقطة حتى الآن.

-والحل؟

-الحل هو أن نفك تلك الشفرة في أسرع وقت ممكن؛ فقد تجيب على سؤالنا عن هوية القاتل.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ٣٠:١م (مديرية الأمن)

-إنّ تلك الشفرة أبسط مما تتخيلون.. سأخبركما بكيفية فهمها.

كانت تلك كلمات خبير فك الشفرات "عبد الهادي", والذي به استعان خالد وطارق ليساعدهما في فهم الشفرة المربعة التي ستمكّنهما من فهم الإمضاء على الرسالة.

نظر عبد الهادي لخالد وطارق اللذين تحفزا لمعرفة مفتاح الشفرة قبل أن يستطرد:

-الورقة اللتي أخذتها منكما بها الشفرة وحلها، الشفرة عبارة عن تسع خانات كل خانة بها ثلاثة أرقام، واحد واثنين وثلاثة، وعلى حسب كل خانة وطريقة رسمها والرقم الذي بداخلها، يتم تحديد الحرف المقابل لها, وبذلك يمكن استبدال الرموز والأرقام بالحروف لنصل إلى الكلمة المطلوبة.

بدت عليهما علامات عدم الفهم وقد ساعدت قلة النوم في زيادة نسبة غبائهما وعدم استيعابهما لأي شيء، فقرر أن يقوم هو بتطبيق هذا بشكل عملي أمامهما.

طلب من خالد الرسالة المُذيّلة بالتوقيع المُشفّر، فناوله إياها، فبدأ عبد الهادي بفك شفرة التوقيع.. 2 / 3 3

أشار بيده نحو الرمز الأول وقال:

-هذا الرمز يمثل الحرف (د)- ثم أشار بيده نحو الرمز الثاني في التوقيع- أما هذا فيمثل الحرف (س)- أشار للرمز الأخير وقال- وهذا هو (م).

قرر في النهاية تجميع الحروف الثلاثة وكتبها بجوار بعضها بالترتيب، د، س،

٠م

-دسم!.. هل كان القاتل جائعًا حينما كتب تلك الوسالة؟

صدرت تلك العبارة الساخرة من طارق, فلم يضحك عليها أحد، فآثر طارق الصمت, بينما ركّز خالد انتباهه على الحروف الثلاثة والرموز لمدة قصيرة قبل أن يسأل خالد عن ذلك الرمز(/) الذي يقع بين الرمزين الممثلين للحرفين دال وسين، وإذا ما كان جزءًا من رموز الشفرة؟ فأجاب عبد الهادي:

- هذا الرمز ليس من مكونات الشفرة المربعة، لكن ربما وُضِع بالخطأ، أوربما هو مقصودٌ لفصل حرف الدال عن الحرفين سين وميم.

أخذ خالد القلم من يد عبد الهادي، وراح يخط على الورق بسرعة.

د/ سم

نظر إلى ما كُتِب، واتسعت عيناه لهول الفكرة، قبل أن يقرر كتابة الأحرف بشكلٍ منفصل.

د/ س م

خفق قلب خالد بسرعة، وأكلت علامات الدهشة وجهه..

لقد كان القاتل أمامه طوال الوقت!

*****

ناول ميشيل الورقة لخالد وهو يقول:

-اعتني بنفسِ.. وحاول أن تزور طبيبًا نفسيًا؛ الوحدة تكاد تقتلك يا صديقي.

ألقى خالد نظرة على الورقة التي ناوله إياها دكتور ميشيل يحاول أن يفهم ما كُتِب فيها، لكنه لم يفهم شيئًا، لم يفهم سوى ثلاثة أحرف كُتِبت أعلى الورقة..

د/ س . م.. يبدو أنَّ هذه طريقة دكتور ميشيل في التوقيع؛ فهو يضع فقط الحرفين الأولين من أحرف اسمه "سامي ميشيل"

*****

(٢٠)

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ١٥:٢م

طرقات مُستمرة وعنيفة على باب شقة دكتور ميشيل المجاورة لشقة خالد، وكما هو متوقع لا يوجد أي رد، فقرر خالد دفع باب الشقة بكل ما بجسده من قوة، دفعه مرة، وفي المرة الثانية ساعده طارق في الدفع، كان باب الشقة من ذلك الطراز القديم ذي الضلفتين والشراعة الزجاجية، ذلك الطراز الذي يميز شقق المباني القديمة، فكان من السهل اقتحامه، وبالفعل مع الدفعة الثالثة، انفتح الباب على مصراعيه تحت وطأة كتفي خالد وطارق، ووجد الاثنان نفسهما يندفعان إلى داخل ظلام الشقة.

بحث طارق عن قابس الكهرباء، قبل أن يجده لينير الصالة، كانت شقة عازب عادية كما يجب لشقة عازب أن تكون، وكانت رائحتها كرائحة عيادة صحية، كما يجب لرائحة شقة طبيب أن تكون.

انتشر خالد وطارق في أرجاء الشقة ليبحثا عن أي شيء غريب أو مثير للشكوك قد يوصلهما إلى مكان دكتور ميشيل.

توجّه خالد نحو إحدى الغرف مارًا بالحمام الذي كان بابه مفتوحًا، فلمح بطرف عينيه شيئًا جعله يتسمر أمام الحمام، كان الحمام مليئًا بالقوارير الطبية، بعضها فارغ والبعض الآخر مليء بسوائل مختلفة. كان من الممكن أن يمر ذلك مرور الكرام، لولا بقع الدماء المتناثرة فوق سيراميك الحمام، هذا بالإضافة إلى كل تلك الأسلحة والمشارط الطبية التي تملؤ المكان، هذا المكان مذبح ولا شك.

بينما كان خالد يتأمل هذا المشهد، سمع صوت طارق ينادي من إحدى غرف

الشقة، فانتبه خالد وأسرع يلبي نداء صديقه. دخل إلى الغرفة التي وقف بداخلها طارق، ليجد أنه يقف في قدس أقداس ذلك السفاح.

على الجدار تنتشر قصاصات الجرائد المليئة بالأخبار والصور، صور لأشخاص يعرفهم جيدًا، فهذا مثلاً خبر عن عالمة شابة, بجواره خبر آخر عن فتاة تقود حركة طلابية، وفي الناحية الأخرى دعوة لعرض أزياء، وفي وسط كل هذا خبر نعي تم اقتصاصه من جريدةٍ ما, وقد بُهِت لونه وتحول إلى الأصفر بفعل مرور الزمن، كُتِب فيه:

انتقلت إلى الأمجاد السماوية السيدة/ ماري أرماني.. نجلة رجل الأعمال السيد/ عبد الملك أرماني.. وزوجة الدكتور/ سامي ميشيل.. وذلك في يوم ٢١ ديسمبر ٢٠٠٠.. وسيُسجى جسدها يوم ٢٢ديسمبر ٢٠٠٠ بكنسية العذراء مريم - المنصورة}

وبينما ينظر خالد إلى النعي، كان طارق يحملق في الرموز السحرية والطلاسم التي نُقِشت في أماكنٍ متفرقة بالغرفة، هذه الغرفة لا تعبِّر أبدًا عن كون صاحبها طبيبًا، إنها غرفةُ ساحرٍ رجيم!

تحرَّكت عينا الاثنين في المكان, حتى توقف نظرهما عند ورقة من عشرات الأوراق المعلقة على الحائط، كانت مميزة عن باقي الأوراق، فنحن لا نرى الكلمات تتحرك في الورق كل يوم!

كانت الورقة مليئة بالطلاسمِ غير المفهومة كديدان كل شيء حولهما، لكن سرعان ما شرع الحبر الذي كُتِبت به تلك الحروف في الذوبان داخل الورقة، وراحت تتشكل من جديد فوق الصفحة الصفراء احرف جديدة!

وهنا تشكلت جملة باللغة العربية مفهومة لكل ناظر(من حيث غادرتَ يجب أن تعود)

صمت خالد للحظات يتأمل الكلمات وهو في حالة من التفكُر، لكنه تفأجأ بشيء يطير ليصطدم بوجهه ويسقط بعدها بين يديه، كان ذلك الشيء هو قصاصة النعي الخاص بماري.

*****

أتمنى أن يكون قد فهم إشاراتي، الوقت يمر بسرعة، ولا وقت للدوران حول أنفسنا.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (نهارًا) ٠٠:٤م

أمر خالد طارق بإجراء بعض الاتصالات السريعة للبحث عن كل ما يخص السيدة "ماري عبد الملك أرماني", وكذلك كل ما يخص عائلة "أرماني" بالمنصورة، وبالفعل خلال ساعات قليلة، كان طارق قد حصل على كافة المعلومات المطلوبة عن الأسرة.

كان خالد جالسًا على أحد الكراسي بمديرية الأمن غارقًا في النوم من شدة إرهاقه، قبل أن يقلق طارق تلك الراحة التي لم تدم أكثر من عشر دقائق.

-استيقظْ.. هيا قُم.. هذا ليس وقتًا مناسبًا للنوم، أمامنا سكة سفو.

فزع خالد من نومه حتى كاد يسقط من فوق الكرسي، وراح يتلفّت حوله يحاول تجميع شتات أفكاره.

نظر إلى وجه طارق لثوانٍ نظرة خاوية، قبل أن ينتبه للعالم من حوله ويقول بسرعة:

-ماذا حصل؟ هل توصّلْتَ لشيء؟ أخبرني بسرعة.

قال طارق بهدوء:

-لا وقت للأسئلة, علينا أن نسوع بالذهاب إلى المنصووة حالاً وبسوعة, معي عنوان كل أفواد العائلة، لم أتمكَّن من معوفة مكان دفنها، لكن عائلتها بالتأكيد تعوف.

قفز خالد من فوق الكرسي:

-هيا بنا إذًا.

-ألم نأتِ ببعض الدعم؟ (سأل طارق)

-سيتطلَّب هذا المزيد من الوقت، لا وقت لدينا، فليلحقوا بنا. (أجاب خالد)

وهكذا انطلق الاثنان إلى المنصورة، إلى بيت عائلة أرماني.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) ٦:٣٠م

جلس طارق وخالد داخل إحدى الشقق بمنزل عائلة أرماني بعد أن استقبلهما الابن الأكبر والأم بترحاب بالغ، تزدان جدران المنزل بالعديد من الصور والأيقونات، صورة للمسيح بملامحه الملائكية كما رسمها دافنشي منذ خمسة قرون في لوحة (المُخلِص)، إطار آخر مُعلّق على إحدى الجدران يحمل صورة القديس مارجرجس وهو يقتل التنين الذي وقع تحت حدوة حصانه، بالإضافة إلى العديد من الصلبان وتمثال للسيدة العذراء تفرد يديها بجانبها موضوع في إحدى زوايا الشقة، هذه أسرة متدينة ولا شك.

تكلم الاثنان خالد وطارق مع "روماني", الأخ الأكبر لماري والذي بدا في الأربعينيات، وضيقا عليه الخناق، فبعد أن تأكد من هويتهما، طلبا منه أن يجيب على أسئلتهما لضرورة أَمنية قد تهدد حياة هذه الأسرة, وأخبره أيضًا أنّ دكتور ميشيل زوج أخته المتوفاة متورطٌ في قضية كبيرة تستدعي عمل

بعض التحريات عن كل من لهم علاقة به. سأله العديد من الأسئلة غير المترابطة، كانت تلك هي الطريقة الوحيدة لمعرفة المكان؛ فلو حاولا اخباره بحقيقة ما يجري، ستكون النتيجة شيئًا من اثنين؛ إما أن يسخر منهما ولا يصدقهما, وإما سيفزع.. وقد يعطلهما هذا.

قرر طارق أخيرًا أن يرمي السؤال المهم:

-وأين دُفِنت أختك ماري التي كانت زوجة د.ميشيل؟

تعجّب روماني من السؤال لكنه سرعان ما أجاب:

-كان من المفترض أن يتم دفنها في مقابر العائلة في إحدى القرى القريبة؛ فلقد كان القُداس هنا بكنيسة العذراء، لكن سامي أصر على أن تُدفَن في مقابر أسرته، وتوسّل لنا جميعًا, حتى أنه راح يقبّل يد أمي وأبي رحمه الله كي يوافقا على هذا، وبالفعل وافقت العائلة؛ فجميعنا نعلم بمدى حب سامي لأختي، وهكذا دُفِنَت ماري في مقابر عائلته.

اندفع خالد يسأل:

-وأين هذه المقابر؟

تعجّب روماني من طريقة خالد, وانتبه الأخير لذلك, فعاد لسكونه وهدوئه مجددًا، صمت روماني لثوانٍ قبل أن يجيب:

-إنها في المنيا.. لا أتذكر أين تحديدًا, لكن اعتقد أنّ والدتي تعرف.

لقد صعقت الإجابة خالد وطارق، يبدو أن أمامهما سكة سفر طويلة هذه المرة، والوقت لم يعد في صالحهما.

*****

بخطوات محسوبة تخطو على طريق مظلم يمتد إلى ما لا نهاية.. يلفها الضباب كقطعة صغيرة من الشوكولاتة البيضاء, بينما ترتعش إثر لمسات النسيم البارد لبشرتها، وقد تخلل النسيم إلى أعماقه فلمس قلبها، فأفقدها الشعور بأي دفء.

تسمع صوتًا.. فتنتبه وتتحفز كافة حواسها، تنظر في اتجاه الصوت فتراها، تمشي وسط الظلام، إنها هي نفسها، للدقة نسخة منها أصغر سنًا، تمشي بتؤدة، بينما تحتضن بين ثناياها دفتر محاضرات وردي اللون.. ومن بعيد، على الجهة الأخرى، رأته يجري نحو النسخة الأخرى منها في الظلام هناك، إنه هو، لكن نسخة أصغر سنًا أيضًا، لا يمكنها أن تنسى ملامح الوجه الذي أحبته أبدًا.

-أنسة مريم.. أنسة مريم.

كان يناديها, أو ينادي النسخة الأخرى منها.. بينما توقفت نسختها الأصغر سنًا عن المشي وهي تنظر ناحيته مُتسائلة:

-ماذا؟ أهذا أنت!؟ ألم تكف عن مطاردتي؟

-أنا آسف, لكنني أود إخبارِكِ بشيءٍ منذ فترة.

ردت وقد بدا السأم على وجهها:

-وأنا لا أريد أن أسمع, وابتعدْ قبل أن يرانا أحدهم.

بسرعة قفز في طريقها كي يوقفها ويحاصرها من كل اتجاه, قبل أن يصيح في وجهها بقوة:

-أنا أحبك.

احمرت وجنتاها من أثر الصدمة والخجل، فامتلأت الصورة باللون الأحمر،

قبل أن يدمث اللون الأسود كل الملامح والخطوط، فيغرق كل شيء في الظلام.

في بقعة أخرى من الظلام, أنارت الأضواء، فالتفتت بسرعة تنظر تجاه الضوء لتجد نسخة أخرى منها وسط الظلام، لكنها تبدو أكبر سنًا هذه المرة، وقد وجدته يقف بجوارها أو بجوار نسختها مجددًا.

صاحت نسختها في حنق:

-لم أعد أحتمل هذه الحياة, لقد تحوَّل الأمر إلى جحيم, إنك لم تعد تهتم بي حتى, أصبحت أنانيًا جدًا ولا تهتم سوى بعملك فقط, ألا تفكر في الوحدة التي أعانيها؟

قال محاولاً تهدئتها:

-وماذا في وسعي أن أفعل؟ أأترك العمل لأجلس بجوارك؟

-لا, هناك حلٌ آخر كان يجب أن نفكر فيه منذ البداية.

-وما هو؟!

-أنا من سأترك البيت حتى لا أشغلك عن عملك, يجب أن ننفصل.

-هل أنتِ جادة؟! هل فكرتِ في الأمر؟ أعني...

قاطعته:

-نعم, أنا أعي ما أقول وقد فكرت فيه جيدًا, هذا هو الحل الوحيد.

نظر لها مُطولاً, وكله أمل أن تبتسم في وجهه وتخبره بأنها كانت تمزح، لكن ملامح وجهها ظلت جافة وقاسية.. قال:

-حسنًا, لكن تذكري أنها لم تكن رغبتي.

هنا وسط نظرات دهشتها, اختفى الاثنان في ثنايا الظلام، نسختها.. وهو، لتعود وحيدة، تحاول الاستيقاظ من هذا الحلم، أو بمعنى آخر.. الكابوس.

*****

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) ٧:٠٠م

-أين أنا؟ ما الذي آتى بي إلى هنا؟

الأسئلة تدور وتتخبط بين جنبات عقلها دون توقف، اللون الأسود يغلِّف كل شيء، تدرك أنها تحلم، لكنها عاجزةً عن الاستيقاظ، حاولت مرة واثنين، لكن محاولاتها جميعًا باءت بالفشل، هناك شيءٌ أو مادةٌ ما تجعل جسدها في حالة خدر لا مناص منها.. مع الوقت بدأت تشعر بأنها أصبحت واقفة عند نقطة ما بين الواقع والحلم، بدأ اللون الأسود ينجلي، ليحل محله اللون الأصفر الساخن لأضواء الشموع المحيطة بها, بدأت تستشعر ملمس الحديد البارد على جلد معصميها، مع الوقت بدأت تدرك الواقع من حولها، وتتبين الموجودات تحت أضواء الشموع، كانت رؤيتها للأشياء ضبابية بعض الشيء، لكنَّ الضباب بدأ ينجلي عن بصرها مع الوقت، لقد غادرت عالم الأحلام بلا رجعة، وها هي تقف في مواجهة واقعها المرعب.

كانت مُقيّدة الأطراف بواسطة سلاسل من حديد صدئ, مُعلَّقةً على جدران حجرية لغرفة مُوحشة، تحيط بها الكثير من الشموع متباينة الأحجام والأشكال.

نظرت إلى الأسفل لتجد أرضًا ترابيةً ترامت على بعض أجزائها بعض العظام, بالإضافة إلى تابوت خشبي موضع في أحد أركان الغرفة، وقد رُسِم في منتصف الغرفة نجمة سداسية الشكل بواسطة مادة بيضاء، خَمَّنت أن تكون

نوعًا من الدقيق أو الجبس، ترامت على خمسة أطراف من الأطراف الستة للنجمة، أشياء لم تستطع أن تتبينها تحت أضواء الشموع الضعيفة والضباب المحيط ببصرها، كانت تنظر للمشهد من حولها في محاولة منها لتذكُّر أو فهم أي شيء, أو تذكُّر ما الذي أتى بها إلى هنا.. لكن دون جدوى.

بدأت تُضيِّق عينيها محاولةً التركيز ببصرها على الأشياء المُترامية على أطراف النجمة، لكنها بصعوبة استطاعت أن تتبين شيئًا كالقش! أو ربما هو شعر.. شعرٌ أصفر! شعر أصفر مُلطَّخ باللون الأحمر على أحد أطراف النجمة, ضيَّقت عينيها المجهدتين أكثر، فرأت لفةً قماشيةً بيضاء على طرفٍ آخر من النجمة، وربما تمكَّنت أيضًا من ملاحظة شيء يشبه قطعة من الملاّبس، أو نوع من أنواع الملابس الضيقة التي يشبه لونها لون البشرة على طرف ثالث من النجمة، لكنها عجزت عن تبين شيءٍ آخر.

فجأة لمحت ظلاً لشخصٍ ما واقف في أحد الأركان المظلمة التي لا يصلها ضوء الشموع، بدأ الرجلٍ يقترب منها قبل أن يقتحم بوجهه دائرة الضوء وهو يبتسم.. فتجتاح الصدمة ملامح وجهها؛ فهي تعرف هذا الوجه، رغم أنَّ الزمن قد غيَّره بعض الشيء:

-دكتور ميشيل!

نطقت مريم العبارة السابقة بصوتٍ واهن, وهي تسترجع أحداث الليلة الماضية.. وكل ما رأت من جثث وكوابيس قبل أن تدرك أخيرًا ماهية المكان التي هي فيه، إنها داخل قبر!

صداع رهيب.. ألم لم تشعر به من قبل يضرب رأسها كالسندان، دارت الغرفة ومادت من حولها، بدأت تشعر بوعيها ينسحب منها من جديد، عاد الضباب يحاصرها من جديد، لكنه هذه المرة أقوى من ذي قبل، وأكثر كثافة.

-لا تخافي, لم يتبقَ الكثير قبل أن تذهبي أنتِ.. وتعود هي.

التقطت أذناها صوته البارد قبل أن ينساب وعيها منها، كما تنساب قطرة الندى عن ورقة شجر، لتختفي الشموع، ويعود الظلام ليحكم.

*****

(٢١)

٢٢- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) ١١:٠٠م

طوال الطريق كان طارق وخالد يتبادلان قيادة السيارة حتى يسمحان لبعضهما بأخذ فترات راحة ونوم قصيرة في طريقهما الطويلة، إلى أن وصلا أخيرًا إلى المنيا، واستطاعا بسهولة أن يعثرا على مكان المقابر التي عرفا مكانها من والدة ماري.

يخفق قلب خالد بقوة مع كل خطوة يخطوها داخل دهاليز المقابر، كان واقفًا مع طارق بين عشرات الأضرحة التي تعلوها الصُلبان والعبارات الدينية، يبحثان عن ضالتهما، بينما صراصير الليل تعزف لحن السكون الأبدي تحت غطاء الليل حالك الظلمة.

بحث كلاهما مُطولاً عن شخص يرشدهما إلى مكان القبر المطلوب، لكنهما لم يعثرا على أي إشارة على وجود بشري, ولوهلة.. شعرا بأنهما وحيدان على كوكب خالٍ من أي حياة؛ فالمكان يوحي بأنه لم يزره إنسيّ منذ قرون، ورغم ذلك لم يعرف الخوف طريقًا إلى قلبيهِما، ولم يعرفا هما أيضًا طريقهما نحو قبر ماري، فَكرا في احتمالية أن يكون ميشيل قد أخفى ملامح القبر حتى لا يُعثَر عليه، لذا قررا المرور على جميع القبور وتفحُّصها والتأكد منها الواحد تلو الآخر.

بحثا مطولاً, لكن بلا فائدة.

والوقت يجري أسرع من أي شيء في الكون.

*****

١١:٣٠م

ضغطتُ على حجر الستار بقبضتي الشبحية الصغيرة وركزتُ، حاولت أن أسترشد بقوته حتى أعرف مكان القبر المطلوب، لكن بلا جدوى، كان الحجر يتوهج في يدي، لكن سرعان ما يخفض وهجه من جديد، أنا عاجزٌ عن معرفة مكان القبر وإرشادهم إليه!

*****

١١:٣٥م

طارق موجهًا كلامه لخالد بينما يتفحص أحد القبور من الخارج:

-نحن نلف وندوو منذ نصف ساعة بلا جدوى.

زعق خالد الذي كان التوتر والرعب قد سيطرا عليه:

-اصمت، أرجوك، أنا لا أتحمل أي كلمة.

شعر طارق أنَّ كلامه لم يزد الأمور إلا سوءً، فقرر التزام الصمت وإكمال البحث، بينما سقط خالد على ركبتيه وهو يقول بخفوت:

-مريم.. أين أنتِ؟

*****

١١:٣٥م

بينما تُحدِّق مريم في ظلام أحلامها، تناهى إلى مسامعها صوت خالد يناديها، ثم رأت قبسًا من النور يضيء وسط الظلام، الصوت يأتي من اتجاه الضوء، شرعت تلوح بيديها يميناً وشمالاً في الفراغ وهي تُنادي بوهن:

-خالد.. هنا.. أنا هنا.

*****

١١:٤٠م

لقد فهمت.. فهمت، إنه يستخدم السحر في حجب مكان القبر عن الأعين، حتى جوهرة الحامي عاجزة عن التعامل مع هذا، أي نوع من السحر ذلك؟!

*****

١١:٤٠م

بداخل الغرفة التي بها قبر ماري، كان دكتور ميشيل يُعد مشرط الجراحة الخاص به قبل أن يقترب من جسد مريم وهو يبتسم ابتسامة شيطانية، ولم ينتبه إلى اختلاج أطراف جسد مريم المعلّق، ولم يسمع أيضًا صوتها الخافت وهي تهمس باسم خالد.

*****

١١:٤٠م

-((خالد))

هل سمعت ذلك؟ (سأل خالد)

-سمعت ماذا؟

لم يفهم طارق عن أي شيء يتحدث رفيقه، لكن خالد قال:

-سمعت صوتًا يناديني من هناك، شيءٌ ما يخبرني أن أتحرك نحو هذا الاتجاه.

كان المُتكلِّم هو خالد الذي أشار نحو بقعة في آخر المقابر، خالية من شيء.

قال طارق متعجبًا:

- لكن ذلك الاتجاه هو نهاية الأضوحة، لا وجود لأي شيء هناك حتى نبحث

فيه.

قال خالد:

-ثقْ بي واتبعني؛ فليس أمامنا الكثير من الحلول.

*****

١١:٤٥م

الحجر يزداد توهُّجًا كلما اقترب كلاهما من ذلك الاتجاه الذي أشار نحوه خالد، أيُعقل أن يكون هذا هو المدخل؟ إذا كان ذلك حقيقًا، فعليَّ أن أرافقهما حتى أسهِّل عليهما العبور.

أشعر بقوة كبيرة تمتد من روح خالد، وتصل بينه وبين المكان المنشود، قوة خفية توجهه، ليس سحرًا، ولا يشبه أي شيء أعرفه، هي مشاعر وتواصلٌ روحي لا يمكنني فهمه، شيءٌ يفوق قوة السحر.

توقَّف خالد عند نقطة معينة وسط فراغ واسع ، ووقف خلفه طارق مُستغربًا، قبل أن يرفع خالد يده أمامه، بينما أضع أنا يدي الخفية فوق يده، ليتوهج الحجر في يدي الأخرى بلون أحمر، فتعبر يد خالد الستار الخفي وتختفي خلفه أمام عيني طارق اللتين تكاد تخرجان من محجريهما من الدهشة، قبل أن يعبر جسد خالد بالكامل إلى ما خلف الستار الخفي.

تبخَّر خالد في الهواء أمام نظرات صديقه الذي وقف ساكنًا لا يعرف ما يجب عليه فعله، لكن، وقبل أن يستوعب أي شيء، امتدت يد خالد من خلف الستار، وجذبه إلى الداخل، وهكذا عبر كلاهما الحاجز الذي كان يحجب عنهما الرؤية، ووجدا نفسهما أخيرًا يقفان أمام غرفة كبيرة قائمة وسط الفراغ، كُتِب عليها مدفن عائلة المرحوم ميشيل جرجس حنا.

هنا رفع خالد مسدسه عاليًا في الهواء، ثم قام بشد أجزاءه قبل أن يوجهه نحو قفل الباب الحديدي، إنَّ ما يقوم به تعدٍ على حرمات الموتى، لكن ما يحدث بالداخل خرج لكل القوانين والمحرمات، ويجب إيقافه.

وانطلقت الرصاصة من فوهة المسدس لتصيب هدفها.

*****

١١:٥٠م

في اللحظة التي اقتحم فيها خالد وطارق القبر، كان دكتور ميشيل قد قام بشق صدر ماري شقًا طوليًا في منتصف الصدر، لكنه توقف عن متابعة ما يفعله بمجرد أن سمع صوت طلقات المسدس وهي تتصادم مع أقفال القبر، وما هي إلا ثوان حتى وجد خالد وطارق يقفان داخل القبر.

جال خالد ببصره سريعًا في تفاصيل المكان..

هو مجرد قبرٍ واسع مبني من الطوب, به تابوتٌ خشبي وبعض العظام المتناثرة، لكنَّ ما جذب انتباهه نجمة سداسية مرسومة بطباشير أبيض على الأرض..

على الطرف الأول برطمان مليء بالفورمالين وُضِع بداخله زوج من العيون الزرقاء، وعلى الطرف الثاني من النجمة وُضِع جلدٌ أبيض كامل لبشري قد تمَّ سلخه، أما الطرف الثالث من النجمة وُضِع فوقه طبق طعام استقر به عقلٌ كامل لبشري، فوق الطرف الرابع للنجمة شعرٌ أصفر طويل مُلطَّخ بالدماء، بينما وُضِع على الطرف الخامس لفة قماشية أو كفن لميت بداخله رُفات، هو رفات ماري زوجة ميشيل، وقد تُرِك الطرف السادس فارغًا في انتظار قلب مريم النابض، وقد وُضِع في وسط النجمة كتاب مخطوط الظلام, وقد فُتِح على مصراعيه.

١١:٥٢م

نظر خالد إلى جسد مريم المعلَّق على الجدار كالمصلوبة، ورأى بوضوح الشق الطولي في صدرها والدماء تنز منه.

-سأقتلك يا ابن الملعونة.

صرخ خالد وهو يوجه مسدسه نحو رأس د.ميشيل، فرفع دكتور ميشيل يده عاليًا وهو يبتسم، ليشعر خالد في تلك اللحظة بتصلُّب إصبعه السبابة فوق الزناد، قبل أن يصيح ميشيل بصوتٍ مُختلف عن الصوت الذي يعرفه خالد، صوت أجش ترتجف له القلوب:

-يا حراس الكِتاب.. وحماة العهد من الذِئاب.. أُناديكم فاسمعوني.. ومن الكِتاب اخرجوا وأطيعوني.. طقشيد.. طقشيد.. تصفيد.. تصفيد.. تصفيد.. ضامش.. ضامش.. اخرجوا بحق الشيطان العظيم.. بليعال اللئيم.

١١:٥٣م

بمجرد أن انتهى من كلماته، راحت صفحات الكتاب وسط النجمة السداسية على الأرض تتقلب في سرعة وجنون، إلى أن استقر الكتاب عند صفحة معينة قبل أن يخرج من بين تلك الصفحات العديد من الأشباح والكيانات السوداء، التي راحت تدور حول الكتاب بحركات عشوائية لتتصادم ببعضها البعض، ثم خرج فجأة من وسط زوبعة الأشباح تلك شبحان عملاقان يتمتعان بقبضتين كالقيود، هجما على خالد وطارق وقيداهما إلى الجدار، لترتسم علامات الدهشة والفزع على وجهيهما، وهما يدوران بعيونهما في المكان غير مدركين لما يحصل. استنتجتُ حينها عجز الأحياء عن إبصار تلك الأشباح،

فبالنسبة لطارق وخالد هما مقيدان إلى الجدار بواسطة شيء غير مرئي لا يستطيعان رؤيته، ولَعَمرِي هذا أكثر فزعًا من كل الأشياء المرئية.

يا لغبائي! ها أنا أقسم بعمري وأنسى أنني ميتٌ في الأساس!

١١:٥٤م

انفرجت أصابع خالد من شدة الألم الذي شعر به حين قبضت الأشباح على معصمه، فوقع المسدس من يده وقال فزِعًا:

-أي سحرٍ لعينٍ هذا؟!

لم ينطق دكتور ميشيل بأي كلمة، بل اكتفى بأن وقف ينظر إليهما في ثبات وهو لا يزال يبتسم.

صرخ خالد متسائلاً:

-لماذا؟

لم يبدُ على وجه دكتور سلامه علامات الفهم قبل أن يستطرد خالد:

-لماذا قمت بمداواتي والجلوس بجواري عندما فقدتُ الوعي في تلك الليلة؟ لماذا لم تستغل الفرصة وتحقنني بأي شيء لتتخلص مني؟

١١:٥٥م

أجاب الدكتور ميشيل:

-لأنك لا تخصني في شيء، أنا لست سفاحًا مجنون، أنا فقط أريد أن تعود

لي حبيبتي.

نظر له خالد في دهشة وهو يتابع:

-مهمتي هي قتل خمس فتيات فقط والحصول على أجزاء منهن, ليس أكثر من ذلك.. أنا لست سفاحًا ولم أفكر في قتلك, لكنني نصبت لك فخًا, وللأسف ارتكبت بعض الأخطاء التي أفشلت مخططي, لكن لا يهم.. كل شيء سيكون بخير، بمجرد أن تعود ماري فقط, سوف أصحح كل شيء, سترى.. أنا متأكد من وجود طريقة لإعادة الفتيات الخمس للحياة (ضحك ضحكة خافتة) صدقني.

لأول مرة أرى نظرة الشفقة من جانب خالد إلى دكتور ميشيل، فلقد جُنَّ الرجل فعلا! إنه غير طبيعي على الإطلاق، ويعتقد في أنه قد يتمكن حتى من إحياء زوجته؟!

١١:٥٦م

-أنت مجنون, كل ما تقوله جنون.. الموتى لا يعودون للحياة.

كان المتكلم هو خالد.. وتبعه بعدها طارق في الكلام:

-أنت لا تدوك ما تفعله حقًا، أيًا كان ما تفعله الآن، أو تحاول استحضاوه، فهو ليس ماوي زوجتك أبدًا، أنت تعبث مع الشيطان.

صرخ ميشيل:

-كفاكم كذبًا.. لقد جعلوني أراها وأتكلم معها, أنا واثقٌ من عودتها.

١١:٥٧م

ركَّزتُ حجر الستار نحو دماغ د.ميشيل لأعرف ما يدور في مخه، إنه مخدوعٌ بشدة، لقد تلاعب الكتاب حراي بعقله تمامًا, وجعلوه يرى ماري ويتحدث معها ليقتنع بتنفيذ الطقوس! إنَّ عقله مُخدَّرٌ بالكامل، وهو في حالة عدم اتزان كامل.

حمل مشرطه الطبي واقترب من صدر مريم الذي راحت الدماء تنز منه، ثم غرس المشرط في جسدها من جديد، ليسقط قلب خالد في قدمه وهو يصرخ:

-لاااااااااااااااااا.

لكن الصراخ لم يمنعه من تعميق الجرح قدر استطاعته فتنز الدماء أكثر.

١١:٥٨م

يُحضر منشارًا طبيًا من حقيبة أدوات طبية على الأرض، ثم يبدأ في نشر عضمة القَص بهدوء، فيفقد خالد كامل تحكمه بأعصابه، وينتفض جسده بالكامل وهو يصرخ:

-توقف يا ابن العاهرة, سأنهش لحمك كالذئاب بمجرد أن تطالك يدي.

يقول د. ميشيل في هدوء:

-اصرخ كما يحلو لك، فالقبر هنا معزولٌ عن العالم الخارجي تمامًا، لا أحد يرانا أو يسمعنا.

تابع ميشيل نشر العظام وهو مبتسم، لقد كان مستمتعًا بهذا.

وأنا واقفٌ وسط كل هذا لا يمكنني أن أمنعه أو أمسه بسوء؛ فهو مُحصَّنٌ ضد سحر الحجر، وأنا أضعف من أن أستخدم القوة الكاملة له.

١١:٥٩م

انتهى من نشر العظام بسرعة، وبخفة وحرفية استخد يديه الاثنتين في إزاحة الضلوع للخارج ليبعدها عن مجال الرؤية، قام بعمل ذلك بحرفية شديدة مُتجنبًا كسرها، لا أعتقد أنه يقصد عدم كسرها، لكنه اعتاد فعلها بهذا الشكل، ثم قام باستخدام أداة تساعده على إبقاء الصدر مفتوحًا بهذا الشكل, فهي تمسك بطرفي الشق عن طريق مسَّاكتين تصل بينهما قطعةٌ ثالثة تتحكم في مساحة البُعد بينهما.

هكذا أصبح القلب واضحًا وظاهرًا للجميع.

كل هذا وخالد لم يكف عن الصراخ، لكنه زاد فوق صراخه بكاءً.

*****

(٢٢)

في وقت حكم الظلام.. ومع اقتراب ساعة الذئب.

حينما تجتمع القرابين فوق رمز الوجود السداسي.. ويُسقى ترابُ العالم بدمائهن..

فتتحرك كياناتُ الظل العالقة في نسيج الستار..

وتصفَرُّ الأرواح الخالدة.. لتُقلق ثبات الموتى..

حينئذٍ يخرج الظلام.

(فصل طقس الظلام- كتاب مخطوط الظلام)

*****

٢٣- ديسمبر- ٢٠٠٦ (ليلاً) ٠٠:٠٠

بدأ المكان يهتز من حولنا بقوة، الأشباح التي تدور فوق النجمة السداسية بدأت في الدوران بشكلٍ أكثر عشوائية وجنونًا، أستشعر موجات صفير قوي من حولنا، لكن يبدو أنه لا أحد يشعر بها غيري، والحيوانات القريبة من مجال الصوت كما أظن، فنباح الكلاب يتعالى بالخارج، حتى العظام وذرات التراب، بدأت في الطيران والتصرُّف بشكلٍ مجنون، الكتاب يرتفع عن الأرض وسط النجمة السداسية، الرسم على الأرض نفسه بدأ يتحول إلى اللون الأحمر القاني، وكأنه يتشرَّب دماء مريم التي تسيل فوق التراب، كل هذا يجري بينما ميشيل يتمتم بكلمات غير واضحة، تعزيمة استدعاء!

لهيب الشموع يتراقص من حولنا, فتبدأ الظلال في التمايل فوق جدران المكان لتتشكل ظلالٌ لأجسام وأشكال قادمة من أسفل دركٍ في الجحيم، وصوت د. ميشيل يرتفع أكثر.

في تلك اللحظة صرخ خالد:

-توقف.(هدأت نبرة صوته و تحولت إلى الرجاء): أرجوك توقف.

نبرة خالد جعلت د. ميشيل يتسمر في مكانه للحظات، لكنه عاد يتحرك ويكمل عمله, قبل أن توقفه كلمات خالد مجددًا:

-أرجوك اسمعني.. اتركها, خذني أنا مكانه, أنا أحبها.. بالتأكيد ستتفهم كلامي.. أنا أحبها بقدر ما أحببتَ أنتَ زوجتك ماري.

ارتعش جسد ميشيل من وقع كلمات خالد على قلبه، وبدأ المشرط في الاهتزاز بين أصابع يده اليمنى، وتابع خالد الكلام وقد ابتلت الأرض من تحته بفعل تساقط العبرات من عينيه:

-أنت لست بهذا الشر.. أنا متأكد, هناك شيءٌ ما يسيطر عليك.

انفعل د. ميشيل أخيرًا:

-لا شيء يتحكم فيَّ سوى إرادتي المطلقة.

-إذًا أوقفْ هذا, أنت طبيب.. أنت تعرف أنَّ هذا خطأ.. ليس من العادل أن تأخذ قلبًا من شخص حي لتحاول أن تحيي به شخصًا ميتًا.. النتيجة ستكون موت الاثنين في النهاية, الحيوات لا تُقايَض.

صرخ ميشيل غاضبًا وهو يحاول أن ينفض كلام خالد عن رأسه:

-توقف عن التراهات.

رفع يده بالمشرط واقترب أكثر من الشريان الأورطي ليقطعه، زاد دوران الكيانات السوداء الغاضبة في المكان، وارتفع صوت الصفير ليغطي على صوت خالد, فصرخ خالد وصوته مختنقٌ من أثر البكاء:

-لماذا مريم؟

للمرة الثانية يتراجع دكتور سلامة عن إكمال مهمته، وتختلج عضلات وجهه ويده وهو يرد بصوت لا يكاد يسمع:

-لأنَّ قلبها نبض لك بصدق كما نبض لي قلب ماري يومًا.

اتسعت عينا ميشيل وتراجع للخلف، لم يكن يدري ما يجب عليه فعله حقًا حينها، تراجع للخلف خطوتين وهو يكاد ينهار باكيًا من أثر صراع كبير يدور بداخله، ووضع يده اليسرى فوق جبهته قبل أن..

-سامي.

انتبه د. سامي ميشيل على أثر الصوت، والتفت بسرعة أمام نظرات الدهشة مني ومن خالد وطارق؛ فلقد كانت هناك امرأة واقفة أمام عيوننا جميعًا، امرأةٌ ذات عينين زرقاوين وشعر أشقر، تقف أمامه وتبتسم، وأنا لا أدرك أو

أفهم.. من أين جاءت؟ ولماذا جاءت؟ الأكيد في الأمر أنَّ الواقفة أمامنا ليست حية، إنه شبح، أو خدعة ما.

-ماري! هذه أنتِ؟ لقد عدتِ.

نزلت الدموع من عين ميشيل، وسبقها للأرض المشرط الذي كان بيده قبل أن يجري نحوها ليحتضنها، وبمجرد أن أطبق ذراعه حولها، مرت أطرافه من خلالها وكأنها سراب، أو صورة هولوجرامية.

اتسعت عيناه من الدهشة، وكاد يُجن وهو يحاول مرارًا وتكرارًا أن يقبض عليها بيديه, لكنها تتسرب منه كذرات التراب، ابتعد عنها خطوة وهو ينظر لها بعدم فهم، فقالت له ماري، أو الشيء المُتجسِّد على هيئة ماري:

-لم أعد تمامًا.. لكنك اقتربت, خطوة واحدة ونصبح معًا من جديد.

تجمدت ملامح ميشيل من أثر كلماتها، وبدا أنه قد اتخذ القرار.

ضغطت على الحجر في يدي وحاولت التركيز بأقصى ما لديّ، لكنه أَبَى أن يساعدني، هناك طريقة بالتأكيد لإيقاف كل ذلك، الأمر لا يتعلق بمريم فقط، بل بهذا البُعد بكامله.

التفت نحوها, وما حدث بعد ذلك أمام عيني وعين طارق وخالد كان الجزء الأشنع والأصعب؛ فلقد قام دكتور ميشيل بكل سرعة بقطع شريان كبير يخرج من القلب إلى ناحية الشمال، ثم قطع بعدها شريانين في الجهة اليمنى، في أقل من دقيقة، كان القلب في يد السفاح المجنون، ورأيت روح تلك المسكينة تنفصل عن جسدها.

أشاح طارق ببصره بعيدًا عن كل ما يحصل، بينما خالد يصرخ، بل يبكي، صراخ امتزج بدموع غزيرة، دموع توازي ما نزفته مريم من دماء.

وضع المجنون قلب المسكينة على طبقٍ معدني، وقام بوضع الطبق فوق الطرف الأخير من النجمة السداسية، فزاد جنون كل شيء من حولنا، في الهواء، أعلى الكتاب والرسم السداسي، ظهرت فتحة من العدم، دوامة سوداء اللون، زاد مع ظهورها صوت الصفير المزعج وأُضِيف إليه صوتٌ يشبه الرنين، والمخبول ينظر إلى كل هذا ويبتسم:

-انتهى كل شيء.. أخيرًا.

ابتسمت النسخة السرابية من ماري الواقفة أمامنا، ثم تحللت في الهواء، فاختفت الابتسامة عن وجه ميشيل، وبدأ شيءٌ ما في الخروج من الدوامة المفتوحة، يدٌ تتشبث بطرف الدوامة، ثم يدٌ أخرى تحاول توسيع ثقب الستار، انا لم أرَ كائنًا حيًا على الأرض يمتلك يدًا تشبه تلك اليد المرعبة، من الصعب عليّ وصف شكلها حتى، إنها كارثة، يجب أن أجد حلاً، بالتأكيد هناك حلٌ يمنع هذا الشيء من الخروج، لقد بدأ الظلام يزحف بقوة على أطراف المكان، الشموع تنطفئ الواحدة تلو الأخرى، في تلك اللحظة فقط توقف كل شيء من حولي، وبدأت الأفكار تتدافع داخل رأسي.

*****

سيقوم القاتل بعمل طقوس الإحياء في يوم الثالث والعشرين، وهو اليوم الذي ماتت فيه زوجته منذ ستة أعوام.. أعتقد بأنك الآن صرت تعرف كيف سيختار القاتل الضحيتين المتبقيتين.. سيستمر في القَتل إلى أن يحقق مراده, فإذا نقص أي عنصر من العناصر الستة، ستبطل الطقوس.

(من رسالة د. ميشيل إلى طارق)

*****

الحل أمامنا من البداية، لكننا لم نكن نفهم، إما الآن وإما فلا.

أحكمت قبضتي على الحجر وتمنيت منه أن يساعدني فيما أريد أن أفعله، نظرت نحو د. ميشيل الواقع على الأرض، لأجد أن الهالة السوداء التي كانت تمنعني عن المساس به قد اختفت، وهذا يسمح لي بأن أنفذ إلى جسده بسهولة، وبالفعل, وفي أقل من الثانية, كنت قد نفذت إلى عقله.

وجدت نفسي أمشي في طريق مُظلم بلا هدف أو نهاية، الظلام يسيطر على هذه الروح بالكامل، شعرت لوهلة أنني قد ضعت داخلها ولا سبيل لعمل شيء بصدد هذا، لكني أخيرًا لمحت بؤرة ضوء!

اقتربت أكثر لاكتشف أنها باب، بابٌ ملطخٌ بآثار الدماء، أخيرًا تبينت شيئًا وسط كل هذا، دلفت إلى الداخل، لأجد نفسي في مكانٍ يزحف الظلام على جدرانه، لكنه ينتهي عند بؤرةٍ ما تخلو من الظلام، ركن من أركان هذه الغرفة، يجلس به رجلٌ خائف يرتعش، اقتربت أكثر لأستكشف من هذا، فلم يكن سوى د. ميشيل نفسه!

-هل انتهيت؟

التفتُ خلفي بسرعة أنظر إلى صاحب أو صاحبة الصوت لأجدها ماري، لكن هذه المرة هذا ليس مجرد شبح، بل هو من تجسيد عقل ميشيل، رد قائلًا وهو ينظر نحوها.

-أجل.

-وكم كلَّفك هذا؟

سألته فلم يرد، فاستطردت:

-كل شيء، لقد خسرت كل شيء، وخسرت نفسك قبل أي شيء، ألم تعدني

بأن تحافظ على أرواح الناس؟!

رد بسرعة:

-لكني وعدتك قبل أي شيء أن أحافظ عليكِ.. وفشلت, لقد كسرت الوعد منذ زمن.

قالت ماري:

-لقد خسرت كل شيء بالفعل، لكن لا زال في إمكانك أن تفعل شيئًا صحيحًا.

بينما أتابع حديثهما، ازداد توهج حجر الستار بيدي، وبدأ الظلام ينسحب لتتسع بؤرة الضوء من حولنا، وفي اللحظات التالية كنت قد تحكمت في عقل وجسد د. ميشيل.

أصبحت أرى كل شيء من خلال عينيه، لقد زحف الظلام على جزء كبير من المكان، والكيان الشيطاني خلف تلك الفتحة السوداء، مستمرٌ في محاولة تمزيق الستار وخلق فجوة كبيرة بين الأبعاد، يجب أن تُقفل هذه الفُتحة وبأي ثمن، قفزت بجسد ميشيل نحو مسدس خالد الواقع على الأرض، وأمسكته بكلتا يدي، وشعرت حينها بأنه ليس أنا من أتحكم بالجسد، وكأن تحركاتي نابعةٌ من إرادة ميشيل نفسه.

في اللحظة التي تلت حصولي على المسدس، صوَّبتُ نحو أسهل شيءٍ يمكن تدميره وأقرب الأشياء مني، قلب مريم الموضوع على أحد أطراف النجمة السداسية.

وضغطت الزناد، وتفجّر القلب، وتمنيت حينها أن تكون فكرتي صحيحة وأن ينجح هذا.

سمعت صرخة أبشع من صرخات آلاف الأرواح المُعذّبة، انطفأت كل الشموع،

وبدأت الفُتحة في جذب كل الأشياء الصغيرة بها إلى داخلها، الشموع.. العظام.. التراب.. حتى الكيانات السوداء بدأت تنسحب إلى الداخل، كل شيء يعود من حيث أتى، حتى يد ذلك الشيطان اختفت مجددًا داخل الفُتحة، وتحرَّرخالد وطارق من قيدهما وسقطا على الأرض, وكان من الواضح أنه قد أغشي عليهما.

اعتقدت أنَّ الأمر انتهى عند ذلك الحد، لكني تفاجئت بيد الشيطان تخرج من تلك الفتحة بسرعة لتتشبث بقدمي، أو لأكون دقيقًا, بقدم د. ميشيل، وكأنه يأبى الرحيل دون أن ينتقم، حاولت أن أتحكم في الجسد وأقاوم، لكني فشلت، فقد تشبث بالجسد العديد من الأذرع الشيطانية، وأصبحت على بُعد خطوتين من الدخول في الفتحة المؤدية إلى الظلام.

وقتها أغمضت عيني، رأيت نفسي أقف أمام ميشيل داخل عقله، ابتسم لي ثم قال:

-شكرًا.

اختفى من أمامي وفتحت عيني مجددًا, فألفيت نفسي وقد انفصلت عن جسده، قبل أن يبتلعه الظلام، وتُغلق تلك الفُتحة.

تمنيت حينها أن تكون قد أُغلِقت إلى الأبد.

حينما هدأ كل شيء، لمحت كتاب مخطوط الظلام لا يزال في مكانه وسط النجمة السداسية, لكنه كان مغلقًا، ثم بدأ يغرق، وكأنَّ الأرض تحولت من تحته إلى رمال متحركة ابتلعت الكتاب وكل الأشياء التي كانت حوله.

*****

(٢٣)

-نهاية كل شيء-

إنه في يوم ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٦

تم العثور على جثة لسيدة في الثلاثين من عمرها , وقد تم شق صدرها وسرقة قلبها، وذلك بداخل مقابر **بمحافظة المنيا.. وقد عُثر بجوار الضحية على القلب وقد تهتّك* من أثر ضرب بالرصاص. أثبتت تحريات المعمل الجنائي أنه قد تم بعد استخراج القلب من الضحية، كما تم العثور أيضًا على: عين بشرية في برطمان زجاجي، ومخ بشري موضوع في برطمان آخر، جلد بشري، شعر أصفر مضرج بالدم، ومن خلال تحريات المعمل الجنائي, تم إثبات صلة تلك الأشياء بأربع سيدات تمّ قتلهم في الفترة من ١٦ ديسمبر إلى ٢١ ديسمبر..

ولم يتم العثور على أي أثرٍ للجاني أو دلائل تشير إلى مكانه أو هويته.

وقد قررت النيابة العامة حفظ القضية وتأيدها ضد مجهول.

٢٠٠٦/١٢/٢٦

* الأمر بحفظ الأوراق هو أمر إداري من أوامر التصرف في الاستدلالات يصدر من النيابة العامة وليس له أي حجية

*****

تغيّب الدكتور/ سامي ميشيل الجراح السابق بمستشفى الدمرداش عن بيته من يوم ٢٢ ديسمبر ولم يتم العثور على أي أثر له حتى الآن.

على من يعرف أي معلومات عن مكانه , التوجُّه بالمعلومات إلى قسم شرطة مصر القديمة أو الاتصال بمنزل أسرته بالمنيا عن طريق الرقم التالي *******

(خبر من جريدة الأهرام بتاريخ ١٠ يناير ٢٠٠٧)

*****

٢٣-ديسمبر ٢٠٠٧ (نهارًا)

-مريم؟ مريم؟ أين أنتِ؟

النيل يمتد على يساره بينما هو يدور في المكان من حوله باحثًا عنها.. الطريق خالٍ من السيارات, وكذلك ضفة النيل خالية من البشر, لكن صوتها يتردد في أذنه بعيدًا:

((خالد.. أنا هنا))

كاد يُجَن أثناء محاولته معرفة مكان الصوت.. راح يجري خلف الصوت، ونبضات قلبه تتعالى والعالم من حوله ينبض ويهتز.. إلى أن شعر بالتعب وركع مستندًا بيده على ركبتيه، وراح يلهث.

لكنّه سمع صوتًا يُكلِّمه من خلفه:

-خالد.

التفت بسرعة ينظر إلى صاحبة الصوت وقد أشرق وجهه وصوته معًا:

-بحثت عنك طويلاً.

كانت مريم تقف أمامه مرتديةً فستانًا أبيض اللون بسيطًا يتدلى فوقه شعرها

البني الطويل.

نظرت بعيونها العسلية في عينيه وسألت:

-وهل وجدتني؟

تحوَّلت ملامح وجهه للحزن وهو يقول:

-ربما.. في اللحظة التي اعتقدت فيها أنني وجدتك.. فقدتك بعدها للأبد.

ابتسمت:

-انت لم تفقدني إطلاقًا. (اقتربت منه ولامست موضع قلبه بأطرافها الحانية وتابعت) أنا أقبع هنا دائمًا, ولن أغادرك أبدًا.

ثم التفتت ببصرها نحو النهر وسألته:

-أتذكر أيامنا بجوار النيل؟ كان مكاننا المفضل, لطالما حلمنا أن يكون لنا مركبٌ شراعي تأخذنا عكس مجرى النيل من الشمال إلى الجنوب, ونشاهد الغروب خلف ضفته معًا, بينما نغني أغنيتنا المفضلة.

اجتاح الحزن كيان خالد وشعر بانقباض قلبه, فأمسك يدها الموضوعة فوق قلبه بيديه الاثنتين, قالت وهي ترفع بصرها نحو السماء:

-انظرْ.. الشمس تغرب.

التفت خالد نحو الضفة الغربية ليرى الشمس تختفي تدريجيًا خلف البنايات، فتصطبغ السماء بلون برتقالي داكن, وكأنها دماء شمس هذا اليوم.

-عليَّ أن أغرب أنا الأخرى.

سمعها خالد فعاد ببصره نحوها, فوجدها تبتسم وقد أضاء جسدها بنور برتقالي كلون الشمس.

-لا تتركيني مجددًا.

بدأت العبرات تتسلل من بين جفنيه, فقالت له:

-أخبرتك أنني كنت دائما بداخلك, أنا لم أتركك أبدًا, ستظل روحي تحرسك, وستبقى تذكرني مع كل غروبٍ للشمس, وحينما تذبل شمس العالم وتموت.. ستبقى شمسنا تضيء العالمينِ, عالم الأحياء والموتى.

بدأ جسدها في التحوُّل إلى ذرات غبار مضيء.. يتطاير مع نسمات الغروب، فاتسعت عينا خالد وأحكم قبضته على يدها, فاتسعت ابتسامتها وهي تغني:

-بكتب اسمك ياحبيبي عالحور العتيق

بتكتب اسمي يا حبيبي عارمل الطريق

هنا بدأ يردد معها هو الآخر وقد بدأ الدمع يترقرق في عينيه:

-وبكرة بتشتي الدني .. عالقصص المجرحة

بيبقى اسمك يا حبيبي واسمي بينمحى

بيبقى اسمك يا حبيبي واسمي بينمحى

وبينما هي تردد الكلمات معه, تحوَّلت يدها بين يديه إلى ذرات تراب وانسابت من بين أصابعه لتطير تجاه الغروب، واختفى صوتها ولم يبقَ سوى صوته وحيدًا، والدمع من عينيه يسقط مرهفًا.

*****

فتح عينيه وهو يشعر بالشلل يجتاح كل أطرافه، حالة من الحزن تقيده وتشعره بالغصة والمرارة، تلك الحالة التي تجعل المرء غير عابئٍ بالحياة. يتمنى لو سقط عليه السقف الآن ليمحيه من الوجود. إنَّ قلبه يُعتَصر.

يُحدِّق بالسقف زائغ النظرات، ويبقى ساكنًا هكذا لفترة غير معلومة قبل أن يسمع صوت الطرق على الباب، قام عن السرير بتثاقل واعتدل على طرفه جالسًا، فشعر بدمعة انحدرت من فوق وجهه لتسقط فوق يده، نظر إليها لوهلة ثم رفع يده نحو خده الأيمن ليكتشف أنَّ وجهه غارقٌ في الدمع، إنه يبكي حتى دون أن يشعر.

مسح الدمع من فوق وجنتيه، وخرج يجر قدميه خلفه متوجهًا نحو الباب، الذي لم تتوقف طرقاته لخمس ثوانٍ حتى، وما أن وصل، قام بفتح الباب، ليجد طارق واقفًا أمامه؟ لم يتفأجاً؛ فهو يعلم بقدومه، كما أنه الوحيد الذي يُطل عليه في هذه الدنيا.

-أفتقد الجوس الكهوبائي بشدة، فلقد كانت صوت صوصوته تجبوك دائمًا على الاستيقاظ في أسوع وقت.

قال خالد باقتضاب:

-تفضل بالدخول.

دخل خالد ليفسح المجال لطارق ليدخل الأخير، فسأل طارق مستغربًا حالة خالد:

-ماذا بك؟ لا تبدو ليّ بخيو على الإطلاق.

قال خالد:

-صدقني لا شيء مهم ليُذكر، هذه هي حالتي العادية، اجلس فقط وأخبرني ما أخبار إبراهيم؟

تعجَّب طارق من السؤال:

-إبواهيم! إبواهيم بخيو, لقد عرفت من والدتي أول أمس أنَّ زفافه على

الفتاة التي يحبها سيكون في الشهر المُقبل, وبالطبع أنت وأنا أول المدعوين.

-أسعده الله في حياته.

قالها خالد، فتكلم طارق بصوت خجول:

-سيظل إبواهيم مدينًا لك طوال حياته، كان في إمكانك أن تراميه في السجن وتدمو حياته، لكنك فضّلت أن تخفي أمو تعاونه مع ميشيل.

ابتسم خالد إبتسامة باهتة وقال:

-لقد خسرنا الكثير، ولم أرده أن يخسر كما خسرت أنا، أنا سعيدٌ لأنه حصل ما أراده في النهاية وسيتزوج من حبيبته.

-لكني لم أقتنع حتى الآن بتغطيتك على توومط د. ميشيل.. أنا أتجنب دائمًا أن أسألك في هذا.. لكن ووغم أنني ساعدتك, فالأمو لم يكن مقنعًا بالنسبة لي.

أجاب خالد :

-لقد مات ميشيل أو اختفى لا فرق بينهما, ومعرفة الناس بكونه مرتكب كل تلك الجرائم سوف تؤذي سمعته وتُحزِن أسرته ليس إلا. ميشيل كان ضحية لخدعة, لكنه قام بتصحيح, ولو جزء من خطأه, ومنع ذلك الشيء المجهول الذي استحضره من الخروج.. لم أكن غائبًا عن الوعي بشكل كامل يومها. لقد رأيته وهو يطلق النار ويفسد تلك الطقوس قبل أن يختفي بداخل الفُتحة.. وفيما بعد عندما دقّقت في الرسالة التي أرسلها لنا, اكتشفت أنّ تلك كانت الطريقة الوحيدة لإيقاف طقس الاستدعاء, وهو كان يعلم بذلك, لقد تراجع في نهاية الأمر, وربما لو كنت مكانه, لفعلت نفس الشيء.

أثناء حديث خالد, لاحظ طارق أن عيني خالد منتفختان من أثر البكاء,

فسأله:

-لماذاعيناك منتفختان هكذا؟

أجاب خالد بسرعة:

-لا شيء.. فقط لأنني استيقظت توًا.

لم يشأ طارق أن يضايق خالد, فتجنب الكلام عن هذا:

-هيا بنا.. علينا أن نسوع بالتحوك حتى لا نتأخو.

-نتأخر عن ماذا؟ (سأل خالد)

-وكِّزْ يا صديقي, اليوم هو.. اليوم هو ذكوى وفاة مويم.. لقد اتفقنا على أن أصطحبك بسياوتي إلى هناك اليوم.

سكت خالد ونظر في عيني صديقه لثوانٍ ثم استجمع قوته، وقام من مكانه ليغير ملابسه.

*****

البرزخ - قصر الحامي

بعد أن انتهى كل شيء وتم إيقاف شيطان الظلام من الخروج عبر الثقب الذي تم خلقه في ستار الأبعاد، تم إحضاري، ومثلت أمام حماة الشرق الأربعة داخل قصر الحامي الثالث، حامي الشرق الأوسط الذي قمت بسرقة الحجر منه، لا أعرف كيف تم إحضاري إلى هنا أو متى، لكنني وفي غمضة عين وجدت نفسي أمام هؤلاء العمالقة الأربعة، قبل أن يطير الحجر من يدي ويعود ليد الحامي الثالث من جديد.

ثم شرع الأربعة في محاكمتي. وُجِّهت إليّ العديد من الاتهامات؛ العبث في ستار الواقع, خرق قوانين الستار, سرقة حجر الحامي, التعالي على سُلْطة الحماة، وأُعطيت الحق في الدفاع عن نفسي.. وكان عليَّ أن أحكي ما حصل خلال عشرة أيام قضيتها في عالم الأحياء، وبعد أن انتهيت، ساد الصمت فيما بينهم، قبل أن يسألني الحامي الأول، حامي الشرق الأقصى:

-أين مخطوط الظلام؟

أجبت بثبات:

-لقد اختفى.. ابتلعته الرمال.

تبادلوا النظرات, قبل أن تتركز نظراتهم نحوي مجددًا ليقول الحامي الثالث الذي سرقت منه الحجر:

-كنا نعرف أنَّ هناك شيئًا شريرًا يحاول الخروج، لقد حذَّرتنا الأحجار، لكننا لم نتوقع أن يكون مخلوق الظلام هو الخطر الذي يهدد الستار، يجب أن تعلم شيئًا مهمًا؛ الأحجار لا تستجيب سوى لحماة الستار، الحجر لم يكن ينفِّذ أوامرك طوال الفترة السابقة، بل كان يتصرف بناءً على إرادته الحرة، كان يبحث عن الخطر الذي يهدد الستار، وأنت قدته إليه وساعدته في إيقافه، لذلك فمجلس الحماة يشكرك على مساهمتك في إيقاف الخطر الذي هدَّد الستار والواقع.

ابتسمت وتهللت أساريري, لكنَّ فرحتي لم تستمر طويلاً؛ فقد استطرد:

-لكنَّك لا تزال مُذنبًا رغم كل شيء، لذلك فيجب معاقبتك، وبناء على ما وُجِّهت إليك من اتهاماتٍ تم إثباتها، فيجب علينا الحكم بنفيك إلى البعد صفر.. الظلام.

اختلجت ذراتي الشبحية وسرت رعشة فيّ، كدت أسقط باكيًا كأي طفل في مكاني, لولا أنَّ الحامي أردف:

-لكننا لن نحكم عليك بذلك.. لقد خدمت العالمين, ولذلك قررنا أن نخفِّف عنك العقاب أو نرفعه عنك، لكننا في النهاية، رأينا الآتي: لقد حكم عليك مجلس حماة الستار بالحرمان من عبور الستار، ستُحبَس داخل عالم البرزخ إلى يوم يُبعثون.

كان الحكم قاسيًا رغم كل شيءٍ، سوف أُحرَم من رؤية أمي وأبي. نظرت نحوهم وقلت متوسلاً:

-أقبل حكمكم العادل، لكن اسمحوا لي أن أعود هناك, ولو لمرةٍ واحدة. أريد أن أرى أمي.

ساد الهدوء المجلس لثوانٍ، ثم أضاءت أحجارهم الواحد تلو الآخر، فتكلم الحامي الثاني، حامي الهند والتبت وقال:

-لقد تمت الموافقة على طلبك، وسيُسمح لك بالعبور إلى عالم الأحياء مرة واحدة في كل عام بميقات الأحياء بدايةً من العام القادم.. هذا هو حكمنا النهائي ولا تعديلات أخرى (ثم طرق الأربعة بصولجاناتهم التي تحمل الأحجار على الأرض, قبل أن يقولوا سويًا بصوتٍ كالهزيم):

-نَفُذَ الحُكم.

*****

عندما كُنت في الثامنة، ماتت جدتي من أبي، كنت شديد التعلق بها، لذلك بكيت حتى جفَّ دمعي، وقلَّت شهيتي للأكل، حينها قررت أمي أن تجلس معي وتُحدثني، أخبرتني أنَّ جميع أحبائنا الذين فقدناهم يأتون ليطمئنوا

علينا، قد لا نراهم، لكنهم يروننا، قد تتجسد أرواحهم على هيئة فراشة صغيرة، أو طائر صغير، تأتي دون أن نشعر بها ثم ترحل في سلام، مُنذ ذلك اليوم وأنا أنظر إلى كل فراشة تقترب مني, أو حتى حشرة بأجنحة كبيرة على أنها جدتي، لم أعد أشتاق إليها؛ فلقد أصبحت أشعر بها حولي، تحتضنني في كل وقت وكل مكان.

مرّ عامٌ على آخر مرة دخلت فيها أرض الأحياء، الأحوال تتغير بسرعة في هذا العالم بينما يتغير البشر ببطء، أصبحت ألعب دور الروح الوحيدة التي تزور أحبائها, لكن دون أن أتحوّل لفراشة، زرْتُ عائلتي، رأيت أبي وأمي، واحتضنتهما بنظري، لاحظت التعب البادي على أمي، فوضعت يدي الخفية عليها أتحسس أحوالها، واتسعت عيناي حينما شعرت بالنبض، لا ليس نبضها، بل نبضًا لإنسانٍ آخر يعيش بداخلها!

ذهبت إلى المقابر، ووقفت بجوار خالد وطارق أمام قبر مريم، لمحت الدموع تحتشد في عيني خالد, بينما يحاول طارق أن يهوِّن عليه. لم أفهم ذلك الشيء المُسمى بالحب ابدًا، لكن أعتقد أنه لا يختلف كثيرًا عن ما أشعر به تجاه أبي وأمي، أعتقد أنَّ الحب يعني ألّا تشعر بالوحدة أبدًا.

تركتهما وذهبت أقضي باقي ساعاتي في هذا العالم بين الأحياء.

أسير في إحدى الحدائق العامة، أراقب الأحياء وهم يجرون ويلعبون.. يضحكون ويبكون.. بينما ترتسم على وجوه الكثير منهم ابتسمات الرضا غير مُبالين, لا يفكرون سوى في لحظاتهم الحالية وكيف يعيشونها سُعداء, بينما سأبقى أنا العام بعد العام أتابعهم بينما ينضمون إلى البرزخ الواحد تلو الآخر، أراقبهم بينما يُحَبون ويُخدَعون، وفي النهاية يُثبت الحب الصادق أنه أقوى من الزمان والظروف.

أدركت الآن كم كان الحامي محقًا حينما قال لي:

"من الجيد أن يؤمن الأحياء بوجود عالم آخر حولهم.. فهذا يعطيهم الأمل في الحياة بعد الموت, لكنه لمن السيء أنّ يتعرّفوا على ملامح ذلك العالم قبل أن يتعرّفوا على ملامح الموت أولاً"

*****

-٢٠١٢-

يمنى..طفلة جميلة جدًا، بريئة جدًا، تملؤ المنزل على الدوام بصوت ضحكاتها وصراخها، وعلى الرغمِ من كونها في الرابعة من عمرها، إلا أنها شديدة الذكاء، والأطفال الأذكياء عادةً يأتون بالكثير من الخراب والمصائب للمنزل كله، فهي تستكشف أي شيء وتعبث بأي شيء، في إحدى المرات, وبينما هي تكتب وتشخبط في بعض الكشاكيل والأوراق القديمة، لمحت الأم شيئًا جعلها تترك تقشير البطاطس، لتنهر يمنى عن العبث في تلك الأوراق، قبل أن تمسك بدفتر مُلوّن موجود وسط الأوراق المبعثرة، سألت الأم ابنتها الصغيرة والشرر يتطاير من عينيها:

-من أين أتيتِ بهذا الدفتر؟

خافت الصغيرة من لهجة أمها وردت بصوتٍ مرتعش:

-وجدتها فوق الكومود وأعجبني شكلها, فهو يبدو دفترًا للأطفال, بالتأكيد ليس ملكًا لكِ أو لأبي.

تضايقت الأم من رد ابنتها, فانحنت تشدها من خدها كنوعٍ من العقاب وقالت:

-لا تتفاصحي معي أيتها الشقية وإلا سأحرمك من الشيكولاتة.

-أنا آسفة, لن أفعل هذا مجددًا.. لكن لا تحرميني من الشيكولاتة.

قالتها الصغيرة وهي تمط شفتها السفلية وتفتح عينيها على وسعيهما، فنظرت الأم لها للحظات قبل أن تستسلم لنظراتها البريئة وتقول:

-حسنًا.. لا تكرريها.

كانت الأم على وشك أن تتابع عملها, لكن يمنى أوقفتها لتسألها:

-لكن لمن هذا الدفتر يا أمي؟

انقبض قلب الأم لسؤال ابنتها وسكتت لثوانٍ قبل أن تجيب:

-لقد كان ملكًا لأخيكِ الأكبر.

تعجبت الفتاة:

-هل لديَّ أخٌ أكبر؟!

أجبت الأم:

-نعم, كان لديكِ, وكان اسمه أيمن.

-وأين ذهب؟ (سألت الصغيرة)

-لا أحد يعرف.. لكنكِ جئتِ لتعيدي الأمل لحياتنا, وعندما تكبرين قليلاً, سأحضر لكِ واحدًا أفضل منه. (أجابت الأم)

فرحت الفتاة بكلام أمها، وجلست الأم فوق كرسي الأنترية وفتحت الدفتر لتنغمس بداخله، كانت تحفظ كل صفحات الدفتر، وكل ما كُتِب فيه، لذلك ثارت ثورتها عندما وجدت تلك الجمل المكتوبة في إحدى الصفحات، لكنها حاولت أن تسيطر على غضبها وأن تسأل فتاتها بهدوء:

-هل أنتِ من كتبتِ تلك الجمل بداخل الدفتر؟

أجابت الفتاة بنظراتٍ بريئة:

-لست أنا يا أمي صدقيني.

لم تكذِّب الأم فتاتها؛ فصغيرتها لا تكذب أبدًا، كما أن يمنى صغيرة على أن تكتب تلك الجملة الواضحة بذلك الخط الذي تميِّزه الأم جيدًا من بين آلاف الخطوط، لقد كُتِب داخل الدفتر " أحبك يا أمي.. اشتقت إليكِ "

*****

(تمت بحمد الله)

٢٠١٨/٥/١٠

(؟)

المكان: ؟؟؟؟ الزمان: ؟؟؟؟

وقف شابٌ في المرحلة الثانوية أمام فَرشة كبيرة لبيع الكُتب، وراح يُقلِّب بصره بين الكُتب يبحث عن أي شيء قد يُثير اهتمامه، إلى أن استرعى انتباهه كتابٌ ضخم ذو غُلاف مميز، فسأل صاحب الفرشة:

-كم سعر هذا ياحاج؟

سأل وهو يشير إلى الكتاب، فطلب منه الرجل أن يُقرِّب الكتاب إليه حتى يراه بشكلٍ أوضح، قرَّب الشاب الكتاب من الرجل الذي راح يتفحصه بتعجب قبل أن يقول:

-هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها هذا الكتاب! ربما كان موضوعًا ضمن الكتب القديمة التي كانت في المخزن وأحضره إيهاب إلي هنا داخل كراتين الكتب.

قاطع الشاب تساؤلات الرجل وحاول أن يتصنَّع عدم اهتمامه بالكتاب:

-هل ستخبرني بالسعر أم أبحث عن شيءٍ آخر في مكانٍ آخر؟

فكر الرجل قليلاً بينما يقلِّب في صفحات الكتاب التي امتلأت بالطلاسم والرموز غير المفهومة, وقال في نفسه إنَّ الكتاب قديمٌ وغير ذي قيمة على ما يبدو، لذلك ناوله للشاب وقال:

-٢٠ جنية.

امتعض الفتى وقال:

-خمسة جنيهات تكفي.

-ربما أنقصهم من ثمن الكتاب ليُصبح بخمسة عشر جنيهًا.

أخرج الشاب من جيبه عشرة جنيهات وناولها للرجل:

-هذه عشر جنيهات، اقبلهم؛ فأنا زبونك.

نظر الرجل للعشرة جنيهات بتردد ثم أخذها في النهاية مستسلمًا. قبَّل النقود ووضعها في جيبه، بينما تحرَّك الفتى مع كتابه بعيدًا عن الفَرشة، وطوال الطريق راح يتأمل غلافها الأسود، ونقش الجمجمة المرعب مع الأفاعي المُقرنة المُلتفة حولها، ثم نظر إلى العنوان الذي كُتِب أسفل هذا النقش.. مخطوط الظلام!

إلى أبطال الرواية الحقيقيين

أحمد خالد الشاذلي

محمد طارق صالح

إبراهيم مراد

سامي ميشيل

ماري أرماني

شكر وامتنان

إلى الذين ساهموا في خروج العمل بهذا الشكل..

الكاتب/محمد عصمت (بتاع الرعب).

الصحفي/إسلام عبد الخالق.

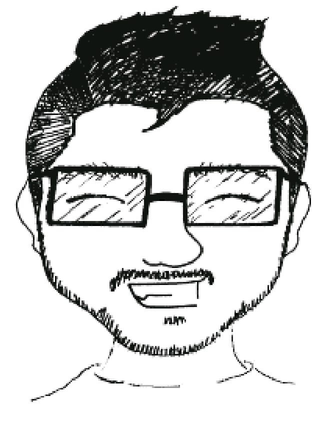
الكاتب/ د.علي مغنم.

أ.محمد جويلي (مُقدم برنامج رعب المحكمة على يوتيوب).

الفنان/ شادي سيد عتاب.

الفنان/ إسلام مجاهد.

الصديق/يوسف فراج.



المؤلف في سطور

أحمد مسعد (المدون)

مواليد القاهرة ١٩٩٧م، طالب بكلية الفنون الجميلة جامعة حلوان الفرقة الثانية بقسم الجرافيك.

كاتب قصصي وروائي اشتهر بكتابة قصص الرعب الإذاعية في العديد من البرامج أشهرها برنامج كلام معلمين للمذيع أحمد يونس.

رصيده من القصص الإذاعية ٢١ قصة بالإضافة إلى ملفات التجارب الحقيقية أهمها (ثلاثية بلا عودة، الراصد، معزوفة الزهاد،أبجدية الموتى،خادم الشيطان..)

صدرت روايته الأولى (خطايا آدم) في معرض القاهرة للكتاب ٢٠١٨ وكانت كتابة مشتركة مع الكاتب سامي ميشيل.. وحقّقت حتى الآن طبعتين.

تُعتبر رواية خلف ستار الموت العمل الروائي المنفرد الأول له.

عمل صحفيًا في العديد من المواقع والمبادرات الشبابية مثل زوووم نيوز ولأبعد مدى).

للتواصل مع الكاتب:

https://www.facebook.com/a7mad.moss3d